جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ظهر المهراز- فـــــــــاس

مركز دراسات الدكتوراه: الجماليات و علوم الإنسان
تكوين الدكتوراه: تاريخ وتراث دول المغارب
تخصص: التاريخ

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في موضوع:

مدينة شفشاون زمن الحماية:
دراسة في التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية

إعـــداد الطـــالبة الباحثة:
فاطمة الزهراء البريويل
ر.و.ط : 0623769310

تحت إشـــراف الأستـــاذ:
الدكتور خالد صقلي

السنة الجامعية:
2017-2018م

الاختصارات والرموز:

ج. : الجزء

خ.ح.ر. : الخزانة الحسنية بالرباط

خ.ع.ت. : الخزانة العامة بتطوان

خ.ع.ر. : الخزانة العامة بالرباط

د.ت.ط. : بدون تاريخ الطبع

ص. : صفحة

ط. : الطبعة

م.س. : مرجع سابق أو مصدر سابق

مح. : محفظة

A.C.E.M: Alta comisaría de España en Marruecos

A.T. : Archivo de tetuan

BOZPE : Beletín oficial zona de protectorado Español en Marruecos

D.A.I. : Delegación de Asuntos Indígenas

N. : Número

P. : Pagina/page

S.N.P : Sin Número pagina

T. : Toma

VOL. : Volume

مقدمة عامة:

حظي البحث في تاريخ الحماية بالمغرب باهتمام متزايد خلال العقود الأخيرة، وذلك راجع لاعتبارين اثنين: يتجلى الأول في كون هذه الحقبة شكلت مرحلة حاسمة في تاريخ المغرب إذ تفصل بين مرحلتين اثنتين –قبل وبعد الحماية- ويصح اعتبارها المحرك الرئيس في مجمل الأحداث والتحولات التي عرفتها البلاد، والتي لا زالت مكرسة حتى في حاضرنا، من خلال المعالم التي تركتها في شتى الميادين السياسية والاقتصادية والعمرانية والاجتماعية، وهو دليل على موقعها البارز في مسار التاريخ و تأثيرها في المجتمع المغربي.

وبالنسبة للاعتبار الثاني، فيكمن في الإنتاج المعرفي الوفير الذي خلفه المستعمر، من خلال مجمل الدراسات التي كونت الرؤية الأولى لتاريخ المغرب الذي ظل مجهولا لفترات متباينة، ساهمت في إغناء ميادين العلم في العديد من المجالات الجغرافية والاقتصادية والتاريخية والسياسية، يمكن أن تفيد الباحثين.

وقد حظيت القضايا التاريخية الكبرى بنصيبها من البحث والدراسة كالتاريخ العسكري والسياسي، بينما تعرضت مجمل قضايا التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي إلى التهميش، رغم أنها تشكل القضايا المحورية لتاريخ المجتمعات وأن وراءها تكمن حقائق هذا التاريخ.

وقد تطلع العديد من المؤرخين في الآونة الأخيرة إلى تجاوز نطاق التعميم في الكتابة التاريخية، وتسليط الضوء على المناطق المغمورة، ورصد الثابت والمتحول في البنيات الاجتماعية والاقتصادية، والبحث في مظاهر العمران في المدن والبوادي، اعتمادا على الدراسات المونوغرافية التي استقاها الباحثون من التجربة الأوروبية في مجال

البحث التاريخي، تعود إلى مرحلة القرن التاسع عشر إذ اعتمدت المقاربة المونوغرافية كمنهج يسمح بالتعمق في القضايا المطروحة للوصول إلى الدقة وشمولية المعرفة. ولا يخفى على متتبعي مسار البحث التاريخي بالمغرب أن هذا الاختيار أخذ يلهم توجه العديد من الباحثين المغاربة، وكان من ثمراته إعداد سلسلة من الأطاريح والأبحاث التي أغنت المكتبات الوطنية.

ورغبة في الإسهام بكتابة جزء من تاريخ إحدى المدن المغربية الصغرى، ارتأينا أن نبحث في تاريخ التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية بمدينة شفشاون زمن الحماية، باعتبارها من القضايا التاريخية التي تحتاج المزيد من الدراسة والبحث الجاد، ولطالما تجاهلتها الدراسات التاريخية المغربية. فصيرورة التحضر والتحولات الذي شهدته المدن لم تكن نتاجا لتطور طبيعي لمجتمعها، بالقدر الذي كانت فيه انعكاسا مباشرا لعنف التدخل الاستعماري في حياة المجتمع.

والحقيقة أن الكتابة في تاريخ شفشاون تواجهها العديد من الصعوبات وتعتبر ضربا من المغامرة، والتي تتجلى أساسا في ندرة المعلومات الواردة في مختلف المصادر التاريخية. فعلى الرغم من وجود عدة دراسات اهتمت بتقديم مونوغرافيات حول شمال المغرب إلا أن جلها تمحور حول مدينة تطوان(1)، وقد كان تركيز أغلبها على هذه المدينة، نابع أساسا من الدور الذي لعبته في مرحلة الحماية، على اعتبار أنها شكلت محطات كبرى نالت اهتمام إدارة الحماية بشكل كبير التي خلفت بعد رحيلها مخزونا ثقافيا غنيا. وحتى عندما تطرق بعضها إلى الحديث عن شفشاون، فإن هذا الحديث يظل ناقصا

[1]) Alcaraz Cánovas, Ignacio.**Españoles y marroquíes en el protectorado : historia de una convivencia** - 1ª ed.. - Madrid : Catriel, 2009. Álvarez Gendín, Sabino. **La Administración española en el Protectorado de Marruecos**, plazas de soberanía y colonias de África, Madrid : Instituto de Estudios Africanos, 1949

بعيدا عن الدقة والتفصيل. والواقع أننا إلى حد الآن وباستثناء كتابات تناولت مجال المقاومة والحركة والوطنية مثل دراسة ياسين الهبطي([2])، فإنه لا يوجد بحث درس صورة المدينة من مختلف جوانبها.

الإشكالية

لم يكن من السهل في البداية، عند اقتحام هذا الموضوع، الانطلاق من إشكالية واضحة المعالم، نظرا لتعدد مستويات الطرح. وبعد الاطلاع على مضامين الحصيلة الأولى من المصادر والوثائق، توقفنا على حقائق تاريخية تخص صيرورة تطور المجتمع بمدينة شفشاون، التي هي في حاجة إلى تفسير. ومن خلال تتبع تاريخ المدينة والوسائل التي اعتمدتها الإدارة الإسبانية لإعادة هيكلة هذا المجتمع، يمكن فهم معالم التحول الذي أحدث في هذا الأخير، والذي ساهم بقسط وافر في صنع آفاق ومستقبل هذا المجال، وتعتبر هذه الدراسة مناسبة للإجابة عن إشكاليتين مركزيتين مفادهما: هل التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الشفشاوني في هذه الفترة هي امتداد لنمو وتطور طبيعي نابع عن ذلك المجتمع؟ أم ترجع إلى ظروف ومؤثرات طارئة؟ وهل كانت السياسة الإصلاحية التي أتت بها إسبانيا سبيلا لخدمة المجتمع الشفشاوني، ومرادف لحياة أفضل كما كانت تزعم الإقامة العامة؟ أم كانت وسيلة للاستغلال والتوسع وتكريس الوضع الذي كانت تعيشه المدينة من قبل؟

---

[2]) ياسين الهبطي، **مساهمة في دراسة تاريخ المقاومة المغربي للاستعمار الاسباني: مقاومة مدينة شفشاون نموذجا**، ط 1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 2012

إن البحث في موضوع التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية بمدينة شفشاون، يستوجب الإحاطة بجميع جوانبه، ومن هذا التصور انبثقت عن إشكالية الموضوع جملة من التساؤلات، أهمها:

- ما هي التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عرفتها المدينة؟ وما هي العوامل التي أدت إلى هذا التغيير؟ وماهي نسبة تأثير كل عامل على حدة؟ وبالتالي ما هي الإفرازات التي انبثقت عن هذا التحول؟ وما أثرها على المجتمع الشفشاوني؟
- ما مدى تجاوب الساكنة المحلية مع المدرسة التي أنشأتها إسبانيا؟
- أين تتجلى مظاهر الاستمرارية والتحول في المجتمع؟
- وما هي المظاهر الثقافية والاجتماعية والمعرفية التي أفرزتها صدمة الحداثة، واللقاء مع الأجنبي المختلف والغريب؟

لأن تفاعل الساكنة مع مختلف هذه التحولات أثر من دون شك على سلوكيات ونمط عيشها وإنتاجها.

المنهج:

فرضت طبيعة الموضوع وتنوع مصادره، الخروج من النظرة الضيقة لقضايا البحث التاريخي ومناهجه، والانفتاح على أدوات منهجية أخرى مرتبطة بالتاريخ الكمي، على اعتبار أن الجزء الأكبر من هذا العمل يدخل في هذا الاتجاه، فتم إدراج مجموعة من الوسائل التوضيحية المرتبطة بالمنهج الإحصائي كالجداول والرسوم البيانية مع تحليلها وفق المتوفر من المعلومات تجنبا للخوض فيما لا علاقة له بمعطيات تخص المدينة دون غيرها إلا في إطار المقارنة.

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أهمية التحريات الميدانية رغبة في نسج هذا العمل، وضبط جزئياته، وسد بعض ثغراته، ووضع ما يلزم من خرائط وصور

توضيحية. فقد تكررت زياراتنا لمدينة شفشاون وربط الاتصال بعدة شخصيات تميزت في الماضي بحضورها البارز في المجتمع، والواقع أننا وجدنا صعوبات كبيرة في الحصول على معلومات موثقة تبرز تجربة ونظرة هؤلاء لمرحلة الاستعمار، وخوفا من السقوط في هفوات منهجية لزم تجنب إيراد عدد من الروايات التي استقيناها من أشخاص عاصروا المرحلة الاستعمارية، والاعتماد فقط على روايتين، للحصول على معلومات جديدة تخص المدينة ومظاهر التحولات التي لحقتها.

دراسة المصادر والمراجع المعتمدة:

لمقاربة موضوع التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية بمدينة شفشاون زمن الحماية، تم الاعتماد على مادة مصدرية ومرجعية متنوعة تجمع بين الكتابات الأجنبية والدراسات الأكاديمية التي اهتمت بتاريخ الاستعمار الإسباني بالمنطقة الشمالية، تتصدرها الوثائق التي استخرج منها معلومات يسيرة من دور الأرشيفات الوطنية والخزانات بالمغرب، وفي طليعتها الخزانة العامة بتطوان نظرا لما تخفيه من نوادر الوثائق والمجلات وأرشيف الجرائد، وتتضمن هذه الخزانة مجموعة من المحفظات المهمة حول التاريخ الاقتصادي والثقافي للمنطقة الخليفية، لكنها غير مصنفة، وهو الشئ الذي حال دون الاستفادة منها، فتم الاقتصار على ما تقدم لنا حول مدينة شفشاون من محفظات التي لا يتجاوز عددها الخمسة(3) ويمكن تصنيفها على الشكل التالي:

- وثائق تتضمن معلومات تخص سياسة إسبانيا تجاه حرفة النسيج، وقم تم استغلال مضامينها في دراسة الفصل الثالث من الأطروحة المتعلق بالتحولات الاقتصادية.

---

[3]) A.T, Carpeta N 10 5/2748, Esuelas de Al fombrase de Chauen
A.T, Carpeta N 15, 9/2748, instituto "Ramon de meztu
A.T, Carpeta N 17, 11/2748, istituto Jalifiano de muley el hassan
A.T, Carpeta N 3, Documenteción de los espirantes
A.T, Carpeta N 8, 8/2749, escuela de Artes *indígenas* de *Tetuán*

- وثائق حول التعليم الاستعماري، تستقي أهميتها من طبيعة المعلومات التي تقدمها، بما في ذلك التقارير المرتبطة بالفقهاء والمدرسين المغاربة المرشحين للتدريس داخل المدارس الاستعمارية، وإحصائيات عدد التلاميذ المسجلين بهذه المؤسسات.
- وثائق أخرى تتعلق بعدد المستفيدين من منح التعليم الثانوي بمدينة شفشاون، والوسائل التربوية المعتمدة بمؤسسات المرحلة الاستعمارية.

وهناك صنف آخر من الوثائق التي خلفها التأليف الأجنبي والتي تمثلت في تقارير البعثات العسكرية، وتقارير الإقامة الإسبانية العامة(4) ومندوبية الشؤون الأهلية. فعلى الرغم من الهفوات وبعض النقائص التي تشوب إحصائيات الأرشيف الإسباني خلال فترة الحماية، فإن الأهمية العلمية والموضوعية لهذه الإحصائية تبقى حاضرة، حيث لا يمكن فهم الآليات الاقتصادية والاجتماعية لمجتمع شفشاون دون الرجوع إلى هذه المعطيات التي تعتبر الأساس الضروري الذي يجب الانطلاق منه.

بالإضافة إلى عدد لا بأس به من الوثائق الخاصة أمدنا بها السيد **عبد الإله العلمي**، ويتألف معظمها من الأحكام القضائية والشرعية حول النزاعات المعروضة على القضاء في الفترة المدروسة، وهذه المشاكل تتشابه في الدعاوي وتتقارب في الخصومات المتحورة على التملك التعسفي لعقارات الغير، والتسلط على الأراضي الزراعية وغيرها من القضايا التي تقدم نظرة عن جوانب من التنظيم الإداري والاجتماعي بالمدينة.

---

[4]) Alta comisaría de España en Marruecos, **Accion de España en Marruecos**, la obra material, Tetuan, 1948**.**

- Alta comisaría de España en Marruecos, **delegación de Asuntos indígenas Datos estadisticos de la superficie ultivada produción agrúcola obtenida y artabolado correspondiente a los años 1935-36-37 y 1938**

وبالنسبة للمصادر والدراسات المعتمدة عن تاريخ مدينة شفشاون، يمكن القول أنها متناثرة في ثنايا العديد من المؤلفات والمصنفات التاريخية والرحلات الجغرافية، ولكل صنف من هذه المؤلفات دور في إغناء هذا البحث.

ومن الدراسات التي كانت لها الريادة في دراسة تاريخ تطور التعليم بمدينة شفشاون، منها على وجه الخصوص كتاب (في ضيافة القرآن) لابن يعقوب محمد(5)، الذي يعتبر القاعدة الأساسية لفهم خصوصيات التعليم التقليدي بالمدينة وانعكاسات التدخل الاستعماري في إصلاح هذا القطاع.

ثم كتاب (مفتون منسيون بغمارة وشفشاون) لمحمد الهبطي(6)، الذي تضمن فصلا كاملا عن العلماء والقضاة البارزين في منطقة غمارة وشفشاون خلال فترة الحماية، الذي تم استحضاره لفهم تطور التعليم بشفشاون، ومدى مساهمة علماءها في تنشيط الحياة العلمية خلال الحماية الإسبانية.

وبالنسبة للمصادر والمراجع باللغة الاسبانية فإنني استفدت منها كثيرا وفي طليعتها الموسوعة التاريخية(7) للمستشرقين دي هيريرا كارلوس De Herrera Carlos وفيكيراس Figueras، التي شملت اثنا عشر فصلا (من الصفحة 335 إلى 642) تناولت بالدقة والتفصيل مراحل ووسائل الاحتلال العسكري الإسباني للمدينة، استنادا على وثائق عسكرية مهمة.

---

[5]) محمد ابن يعقوب، **في ضيافة الكتاب وأشهر معلمي القرآن الكريم بشفشاون في عهد الحماية (1920-1956)**، ط 1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2012

[6]) محمد الهبطي، **مفتون منسيون بغمارة وشفشاون**، ط1، نداكوم للصحافة والطباعة، الرباط، 2000

[7]) De Herrera carlos Hernandez y Figueras Tomas Garcia, **Acción de España en Marruecos**, imprenta Municipal, Madrid, 1929-1930

ويعد التقرير الإحصائي الإسباني لسنة 1946(8)، مصدرا مهما أتاح إمكانية دراسة جوانب اقتصادية واجتماعية من تاريخ المدينة، حيث مكن من إعطاء فكرة عن حجم الإنتاج، وإحصائيات الساكنة، فكان لهذا التقرير الفضل في الإلمام بجزء مهم من أنشطة سكان مدينة شفشاون خلال فترة الحماية.

أما مؤلف الكاتب فالديراما Valderrama(9)، فإنه يعتبر من أهم الدراسات من حيث المادة العلمية التي تتضمنه والطريقة التي تناول بها موضوع التأثير الثقافي الإسباني بالمنطقة الخليفية، ويعود ذلك أساسا لتمرس صاحبه في مجال التعليم بالمنطقة الشمالية، حيث شغل منصب أستاذ بالجهاز التعليمي الاستعماري، وقد كان اعتلاؤه لهذا المنصب أهم فرصة أتاحت له إمكانية الاستفادة من رصيد هام من الوثائق لإنجاز دراسته، وقد حظيت مدينة شفشاون بنصيبها من المعلومات القيمة حول تاريخ التربية والتعليم سواء التقليدي منه أو العصري.

ولتغطية النقص الحاصل في مختلف هذه المصادر والمراجع تمت الاستعانة بعدد كبير من الصحف الاسبانية والعربية التي كانت تصدر خلال مرحلة الحماية، وكذا المجلات التي تم توظيفها في هذا المجال: كجريدة ABC و La Vanguardia ، ومجلة Africa و Mauritania التي أفردت مواضيع مهمة عن حياة مدينة شفشاون في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية.

وتعتبر الجرائد التي صدرت باللغة العربية خلال مرحلة الحماية مرآة عكست أحوال المجتمع وقضاياه ومن بينها جريدة الريف وجريدة الحرية، نلمس من خلالها مدى

---

8) Datos Estadisticos del Territorio de chauen, Año 1946, imprenta del majzen, tetuan

9) Valderrama Martinez Fernando**, Historia de la acción cultural de España en Marruecos**, Tetuan, 1956

التحولات التي شهدتها المدينة في مختلف الميادين، دون أن ننسى الظهائر والمراسيم التي كانت تصدرها الدولة بالجريدة الرسمية باللغتين العربية والإسبانية.

وبناء على ما توفر من معلومات تم تقسيم البحث إلى سبعة فصول، ومقدمة وخاتمة، وقد جاء تصميم الأطروحة على الشكل التالي:

الفصل الأول: ويشكل مدخلا للدراسة، تناول الظروف التي أحاطت بتأسيس المدينة على يد بنوا راشد، وأصل تسمية شفشاون، كما تطرق هذا الفصل إلى علاقة المدينة بباديتها المجاورة والتي فرضتها ظروف اقتصادية وديمغرافية وثقافية بل وأيضا جغرافية ناجمة عن تداخل المجال الذي يتم استغلاله بين الطرفين. وقد نتج عن هذا التقارب علاقات تميزت حينا بالتكافل والتكامل وطورا بالتصارع والتنازع بين المجالين، وقد اوردنا أمثلة عن هذا الاختلاف وطرق تدبيره.

وتناول **الفصل الثاني** الأهمية التي احتلتها المدينة في المخططات العسكرية الإسبانية، وأهم الدراسات الكولونيالية التي ساهمت في فتح الطريق أمام التوسع الإسباني لغزو شفشاون، وعن الكيفية والوسائل التي استخدمت في هذا الاحتلال، وكذا الفترة التي استغرقتها قوات الاحتلال في بسط نفوذها على هذا المجال، وبحث الخطة التي رسمتها تلك القوات من أجل السيطرة على هذه المنطقة ذات الموقع الاستراتيجي بوقوعها على الطريق الرابطة بين تطوان وقبائل جبالة.

أما **الفصل الثالث** فخصص لدراسة ملامح الأنشطة الاقتصادية التي عرفتها المدينة خلال فترة الحماية، في كافة القطاعات الصناعية والخدماتية، من الحرف النسيجية وبعض الصناعات التقليدية والأنشطة الفلاحية التي كان يمارسها الشفشاونيون، وآليات التدخل الإسباني لاستغلال هذا القطاع والآثار السلبية الناتجة عنه، إضافة إلى التحولات التي

عرفتها التجارة في مدينة شفشاون والتي تغيرت صورتها عما كانت عليه من قبل، حيث تراجعت المبادلات التجارية نتيجة التوترات والاضطرابات التي شهدتها المنطقة إثر الحصار الذي فرضته قوات الاحتلال العسكري عليها. كما تطرق هذا الفصل إلى مسألة النقل والمواصلات وتطور القطاع السياحي.

وعالج **الفصل الرابع** مظاهر الحياة في المجتمع الشفشاوني من حيث تركيبته السكانية الغير متجانسة، وكذا عوامل تطور الساكنة التي ساهمت في ارتفاع عددها عدة عوامل، وعلى رأسها توافد الإسبان الذين استقروا بالمدينة خلال فترة الحماية. ولكي تقوم الإدارة الإسبانية بضبط هذا الخليط من الأجناس عمدت على إدخال مجموعة من التحولات التي مست مختلف القطاعات والهياكل التقليدية لحياة السكان، إذ تغيرت أنماط العيش نتيجة للاحتكاك مع العنصر الإسباني الذي جاء بثقافة تختلف كل الاختلاف عن ثقافة المجتمع الشفشاوني، الذي شهد تراجعا نتيجة للاستغلال الاقتصادي المتزايد لإدارة الاستعمار واستفرادها بالخيرات الفلاحية والصناعية للمنطقة.

ثم الفصل **الخامس** الذي خصص للحديث عن الوضعية التعليمية بمدينة شفشاون، والمؤسسات التعليمية التي أنشأتها إسبانيا بالمدينة خدمة لأغراضها الاستعمارية، وأهم السياسات التي انتهجتها للنهوض بهذا القطاع، أما على المستوى الثقافي فقد تكونت نخب مثقفة أسهمت في بروز ثقافة عصرية تعتمد على التواصل الإعلامي، والمسرح واتجهت إلى تكوين صحف فسحت المجال أمام أبناء المدينة للكتابة في ميادين معرفية متنوعة تختلف عن الطابع التقليدي القديم.

ويناقش **الفصل السادس** من الدراسة الأدوار التي لعبتها الحركة الوطنية بمدينة شفشاون في مواجهة الاستعمار الاسباني، وتحديد مميزاتها والخلفية التي تحكمت في

رؤيتها ومواقفها، فعلى غرار باقي مدن المنطقة انخرطت المدينة في مسلسل الاحتجاجات والحركات السياسية الوطنية قبل أن تخلص للاستقلال سنة 1956. وفي ظل التجاوزات التي عمدت على تطبيقها إسبانيا في ميدان التعليم، انتبهت هذه النخب إلى القيمة التي يشكلها ميدان التعليم في توعية المجتمع، فبادرت إلى تكوين مؤسسات تختلف عن المؤسسات التي أنشأتها اسبانيا، وفضلت التعايش مع مختلف النماذج التعليمية (الإسبانية- الإسلامية- التعليم الوطني).

وفي **الفصل السابع** تم التطرق إلى جوانب من العمارة والعمران، ودور الاستعمار في تشكيل الهيكلة العمرانية للمدينة الحديثة. فبمجرد إرساء نظام الحماية على المنطقة اتخذت إسبانيا مجموعة من التدابير في مجال إعادة التهيئة العمرانية والمعمارية خدمة للإسبان الوافدين على المدينة، ولم تخف الإدارة الإسبانية إعجابها بالطابع الأندلسي الذي ظلت المدينة تحتفظ به لوقت طويل، فحملت على عاتقها مهمة المحافظة على هذا التراث الثقافي، غير أن هذا الإجراء لم يخل من عنصرية جردت من خلالها المدينة القديمة من جميع خصائصها لحساب الأحياء الأوروبية الجديدة.

وكانت نهاية هذا العمل عبارة عن خاتمة تتضمن مختلف الخلاصات والنتائج التي حققتها السياسة الاستعمارية الإسبانية بمدينة شفشاون.

أما بالنسبة لعملية إخراج هذه الأطروحة فيرجع الفضل في ذلك إلى الأستاذ الفاضل خالد صقلي الذي أشرف عليها عن قرب وتتبع مجرياتها، فكان الموجه الصارم والملتزم الأمين لقناعاته العلمية وتوجيهاته النيرة، فله مني جزيل الشكر والتقدير.

الفصل الأول

مدينة شفشاون: التاريخ والمجال

لعبت مدينة شفشاون كغيرها من المدن التاريخية العتيقة التي تقع بين جبال الريف بشمال المغرب دورا تاريخيا مهما عبر حقبها التاريخية ابتداء من تأسيسها إلى الفترة التي تهمنا، وبالرغم من أن هذه المدينة تميزت عن باقي المدن المغربية الأخرى بكونها عاشت فترة طويلة من تاريخها منفردة بنوع من الاستقلالية والخصوصية، فإنها نظرا لعمق علاقتها مع المخزن من جهة، ووثق صلاتها بالقبائل المجاورة لها من جهة أخرى، ظلت في ارتباط قائم مع داخل البلاد في جل الميادين.

I. الأصول التاريخية لمدينة شفشاون

1.إشكالية الاسم

اختلف جل الذين اهتموا بتاريخ شفشاون عن مدلول هذه الكلمة، فهناك من رأى بأن اسمها اشتق من اللغة البربرية لتعني محل نزول المجاهدين، وقيل أيضا أنها مأخوذة من الشفشان وهو الاختلاط(10).

لكن أغلب المؤرخين ذهبوا إلى أن اسم المدينة مركب من كلمتين (شف) بمعنى انظر، و(إشاون) وهو جمع كلمة إش الأمازيغية التي تعني القرن وتطلق على قمة جبل حادة(11). فسار الاسم شوف إشاون (انظر القرون) أي قمم الجبال.

إضافة إلى كل هذا نجد مسألة الصيغة التي يكتب بها هذا الاسم، تختلف في عدد من المؤلفات والمصادر الأجنبية نوردها على هذا النحو:

---

[10]) محمد الصادق الريسوني ، **موجز تاريخ شفشاون**، ط **I**، مطبعة القدس، شفشاون، 1986، ص 35

[11]) محمد بن عزوز حكيم، **مولاي علي بن راشد مؤسس شفشاون**، بدون طبعة، دار الشويخ للطباعة، تطوان، ص 54

Xexauao- Xauen- Chauen-Xexauen- Chefchaouen- Chefchaoun- chefchauen(12)

وهذا الاسم الأخير هو الذي أقرته مدريد سنة 1918 بناء على تقرير المستشرق خوان دي لاسكيطي Juan De lasquetti(13)، وقد عثر على قطعة نقدية تحمل اسم "شفشاون" في ترغة أيام الحماية الاسبانية، في حين تم استخدام اسم Xauen من قبل الجنرال بيرينكير Berenguer في تقاريره الرسمية ومراسلاته(14).

ويرى بعض المؤرخين أن مدينة شفشاون الحالية هي تجديد لمدينة رومانية كانت تدعى (أبينوم) Appinum أو تجديد لمدينة أخرى كانت توجد بجوارها وقريبة من موضعها الحالي، كانت تسمى (البليدة) وما زالت بعض أسوار هذه البليدة قائمة إلى يومنا هذا(15).

2. نبذة تاريخية عن المدينة:

لم تكن مدينة شفشاون قبل التأسيس الحضاري العمراني أرضا خلاء، ومرد ذلك إلى العديد من الاحتمالات: أولهما الاسم الأمازيغي لشفشاون، الذي جعل أصل هذه المدينة يرتبط بفترة وجود الأمازيغ بشمال المغرب، وهذا يرجح احتمال أن منطقة شفشاون شكلت نواة لتجمع ساكنة أمازيغية استمدت منها هذا الاسم(16)، وثاني هذه الاحتمالات يرجع إلى وفرة المياه الذي يجعل من موقع شفشاون مكانا خصبا مجدب

---

[12]) محمد القاضي، " مظاهر الحضارة الأندلسية في شفشاون"، **مجلة التاريخ العربي**، عدد خاص بالتراث الحضاري الأندلسي بالمغرب، العدد 5، 2011، ص 103

[13]) Juan De lasquetti, **chefchauen: informacion hecha el año 1918**, Madrid, 1921

[14]) Sin autor, "Españolas E hispano Americanas: Marruecos xexauen, **la lectura Revista de ciencias y de artes**, año núm. 237, septiembre 1920, p 284

[15]) انظر حول الموضوع: عبد العزيز بن عبد الله، **المعجم التاريخي**، الدار البيضاء، ب ت، ص 63

[16]) Luengo. Fr, "xauen (notas para su historia), **Mauritania**, N 21, 1930, p 108

للاستقرار البشري(17)، وما وصول الفاتحون المسلمون إلى هذه المنطقة، إلا دليل قاطع على كون هذه الأخيرة لم تكن خالية وإنما كانت مأهولة وعامرة بالسكان(18)، وما يزال مسجد موسى بن نصير، ومسجد الشرفات المنسوب إلى طارق بن زياد شاهد على المآثر التي تركوها بالمنطقة(19). من ناحية أخرى يؤكد المؤرخ عبد السلام المكي أن المدينة بنيت وهدمت عدة مرات(20)، لكن في ظل غياب مصادر مكتوبة يصعب تأكيد هذا المعطى.

ومع مطلع القرن الخامس عشر ميلادي، وعلى إثر الأحداث التي عرفها المغرب جراء الاحتلالات الإيبيرية لشواطئه في الشمال مثل سبتة سنة 1415م وطنجة وأصيلا سنة 1471م، وأمام تهاون السلطة المركزية وتفككها انبثقت إمارة بني راشد(21) بقيادة الحسن بن أبي جمعة(22) وابن عمه علي بن راشد(23) لإعلان الحرب ضد البرتغاليين. فشرع أبي جمعة في وضع مخطط لتأسيس حصن شفشاون بجبل حبيب، كانت غايته في ذلك أن يتخذ منها قاعدة يتجمع فيها المجاهدون لمقاومة التدخل البرتغالي بشمال

---

[17]) Ibidem.

[18]) Antonio Barceló Romaguera, **Historia de chauen**, Edición limitad a cien ejemplares, Año 2001, p 5

[19]) عبد القادر العافية ، **الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها خلال القرن السادس عشر الميلادي**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1982، صص 23-24

[20]) عبد السلام بن يحيى المكي، **حج وحاجة**، ب د م، 1973، ص 10

[21]) بني راشد: أسرة من قبيلة بني عروس الهبطية، ذات الأصل الإدريسي العلمي من فصيلة المشيشيين وفي بداية القرن 7 ه استقر علي بن عبد السلامبن مشيش بقرية غزورم بجوار شفشاون، فأصبحت مركزا لأبنائه وأحفاده، كان منهم راشد والد علي مؤسس مدينة شفشاون، حازت هذه الأسرة مكانتها في المجال السياسي بإقليم الهبط منذ تأسيس مدينة شفشاون سنة 1471م. حسن الفكيكي، **معلمة المغرب**، ج 5، صص 1526-1527

[22]) هو الحسن بن محمد العلمي الحسني المعروف بأبي جمعة، مؤسس النواة الأولى لمدينة شفشاون سنة1471م ويعود نسبه إلى قبيلة الأخماس موطن مدينة شفشاون حاليا، قتله البرتغاليون اثناء جهاده ضد احتلالهم لشمال المغرب

[23]) هو علي بن موسى بن راشد، سليل الشرفاء العلميين من حفدة مولاي بن مشيش (ت625ه/227م)، ولد هذا الأمير سنة 844ه/1440م، بقبيلة الأخماس الغمارية، كان منذ شبابه متطلعا للزعامة السياسية. انتقل إلى الأندلس وشارك إلى جانب ملك غرناطة في الحروب التي كانت تعرفها. استمر في حكم شفشاون إلى أن توفي سنة 922ه/1516م، الحسن الوزان، **وصف افريقيا**، ج 1، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، دار الغرب الإسلامي، الرباط، 1980، ص 249

المغرب(24)، لكن مخطط مدينة شفشاون لم يكتب له تحقيق مشروع بنائها، لأن البرتغاليين تمكنوا من استمالة سكان قرية الخروب إحدى قرى هذا الجبل، ودبروا أمر اغتياله(25).

أدى مقتل أبي جمعة إلى مراجعة ابن عمه علي بن راشد لسياسته، والبحث عن موقع أكثر أمنا وأنصارا أكثر ولاء وثقة، لذلك فكر في نقل هذا الرباط إلى مسقط رأسه بقرية غازوريم، داخل مجال جغرافي جبلي يسمح بقيام نشاط عسكري ضد البرتغاليين(26)، وقد فضل اختطاط المدينة في العدوة اليسرى لواد شفشاون (رأس الماء) بدلا من العدوة اليمنى سنة 1471م(27)، لدواعي استراتيجية كالقرب من منبع الماء والتحصين بالجبال المحيطة بهذا الموقع، والبعد عن المناطق المهددة بأخطار الهجمات البرتغالية.

ومسألة تأسيس شفشاون بغرض جعلها قاعدة للجهاد يؤكدها النص الآتي:" **إن بعض شرفاء العلم اختط مدينة شفشاون بقصد تحصين المسلمين من نصارى سبتة إذ كانوا بعد استيلائهم عليها يتطاولون على أهل تلك المداشر في أواخر دولة بني وطاس**"(28)، نفس الشئ نجده عند الناصري(29)، ومحمد داود في تاريخ تطوان(30). وبذلك تكون

---

[24]) محمد ابن عزوز حكيم، **مولاي علي بن راشد...**، م س، ص 50

[25]) Barceló Romaguera, op cit, p 7

[26]) فاطمة بوشمال ، " إمارة شفشاون طموح سياسي أجهضه جوار صعب"، **ضمن مجالات الجوار المغربية استحضار لماضي تواصلي عريق**، أشغال الأيام الوطنية الثانية والعشرين للجمعية الوطنية المغربية للبحث التاريخي، أيام 2 و3 و4 أبريل، 2015، بكلية الاداب والعلوم الانسانية، وجدة، ص 205

[27]) مارمول كربخال، **إفريقيا**، ج 2، ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، وأحمد بنجلون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1988-1989، ص 33

[28]) أحمد الرهوني، **عمدة الراوين**، ج 1، تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي، ط 2، منشورات جمعية تطاون أسمير، مطبعة الطوبريس، 2001، ص 411

[29]) أحمد بن خالد الناصري ، ج 4 **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص 121

[30]) محمد داوود، **تاريخ تطوان**، مطبعة المهدية، تطوان، 1963، ج 1، ص 90

المصادر والمراجع القديمة منها والمحدثة تتفق حول الدافع الأساسي الذي كان وراء تأسيس المدينة، أي جعلها قاعدة لانطلاق العمليات الجهادية ضد الإيبيريين المحتلين للثغور الشمالية للبلاد.

تولى علي بن راشد ولاية إمارة شفشاون، فخاض عدة عمليات عسكرية أسهمت في إضعاف القوى الإيبيرية ومنعها من التوغل داخل البلاد، كسب بها ثقة المغاربة، فكان على السلطة المركزية أن تأخذ هذه المكانة بعين الاعتبار، التي جعلت من مدينة شفشاون صعبة المنال، فسارت بذلك سلطة المخزن تعرف نوعا من التراجع لصالح إمارة بني راشد، التي امتدت سيادتها نحو مناطق من قبائل غمارة شمالا، إلى حدود منطقة أبي حسون ببادس شرقا([31])، وهو ما يؤكد تمكن علي بن راشد من توحيد الشمال المغربي على الرغم من الحركات الانفصالية عن الحكم المركزي التي شهدتها المنطقة، ويستشف من خلال ما جاء عند كل من الوزان([32]) ومارمول كربخال([33])، بأن الأمير الراشدي تمكن بقوة السلاح الاستبداد بمداخيل وموارد الجبل الذي هو ملك للسلطة الحاكمة بفاس بقيادة محمد الشيخ الوطاسي، استطاع خلالها من تكوين عصبية حقيقية دفعته إلى فرض الضرائب على مختلف المناطق المجاورة، باستثناء مدينة شفشاون التي منحها صبغة خاصة من الاهتمام والأسبقية، لأن جل ساكنتها هم جنود للأمير الراشدي([34]). واعتمادا على هذه المداخيل خاض عدة معارك لوقف الزحف البرتغالي، هو ما زاد من ثقة المغاربة في هذه الإمارة الحديثة النشأة التي كانت تدير شؤونها بنفسها دون الاعتماد على

---

[31]) انظر ذلك بالتفصيل عند العافية، **الحياة السياسية والاجتماعية**...، م س، صص 49-50

[32]) الوزان، م س، ج 1، ص249

[33]) مارمول كربخال، **إفريقيا**، م س، ج 2، ص 268

[34]) الوزان، م س، ج 1، ص 281

السلطة المركزية من حيث التسيير، الأمر الذي لم يمنعها من إضفاء طابع الاستقلال السياسي، بإدارتها وجيشها وعلمها وعملتها(35).

وقد فقدت مدينة شفشاون ميزة تمتعها بشبه استقلال عن الحكم المركزي الذي عاشته في فترة بني راشد، وذلك بعد استئصال آخر أمير منهم على يد السلطان عبد الله الغالب(36). ومنذ ذلك التاريخ أصبحت شفشاون إقليما من الأقاليم المغربية يعين المخزن عليها القياد ويستخلص منها الجبايات، وبالتالي يمارس بها سلطة اعتيادية تراعي وضعها الجغرافي وخصوصيات نظامها الاجتماعي.

وطيلة حكم العلويين عاشت مدينة شفشاون فترة هدوء وانقياد لسلطة المخزن، وقد تعاقب على حكمها عدد من القياد الذين يتم اختيارهم من قبل السلطة الحاكمة، وبما أن فرض سيادة الدولة على منطقة شفشاون باستعمال القوة كان من الصعوبة بمكان، فقد لجأ العلويين إلى الاستعانة بأعيانها وعلمائها في إقامة التوازن بين ساكنة المدينة وفرض احترام السلطة المخزنية، عبر استقطابهم للاشتغال داخل البلاط السلطاني، حيث استوزر المولى اسماعيل أحد أبنائها وهو الأديب عمر الحراق([37]). كما ظلت الصلة العلمية قائمة بين السلطة الحاكمة وكبار علماء شفشاون أمثال القاضي عبد الكريم بن عبد الملك الخيراخي(38) ومحمد الصادق الريسوني وسليمان الحوات(39) وعبد القادر الورديغي

---

[35]) العافية، **الحياة السياسية والاجتماعية**، م س، ص 87

[36]) الناصري، ج 5، م س، ص 41. وأيضا القادري، **نشر المثاني**، م س، ص 220

[37]) محمد الضعيف، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة العلوية السعيدة)**، ط 1، دار المأثورات، الرباط، ص 92. وراجع عبد السلام الحضري، **"**علاقة شفشاون بالملوك العلويين**"**، **دعوة الحق**، عدد 4، السنة17، 1975، ص 174

[38]) أبي القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى**، تحقيق عبد الكرم الفيلالي، وزارة الأنباء، الرباط، الطبعة الأولى، 1967، ص. 63

[39]) سليمان الحوات من مواليد مدينة شفشاون سنة 1160ه/1747م من مؤلفاته قرة العيون في الشرفاء القاطنين بالعيون، البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية، توفي بفاس ودفن خارج باب العجيسة، وقد عرف بنفسه في

الشفشاوني(40) وغيرهم من العلماء الذين قاموا بأدوار سياسية وطنية ودولية ساهمت في تسيير دواليب الحكم بالدولة المغربية بصفة عامة وبشفشاون بصفة خاصة.

كما استقطبت مدينة شفشاون اهتمام السلطان المولى الحسن، ليقوم بزيارتها في طريقه إلى الجولة التي قادته إلى كل من مدينتي طنجة وتطوان عبر كل المناطق الجبلية التي قدمت ولاءها وبيعتها للمولى الحسن(41)، وقد كان ذلك في شهر شتنبر من سنة1888م.

II. مدينة شفشاون ومحيطها القبلي

1. التشكيلات القبلية لمدينة شفشاون ومحيطها

تقاسمت هذا المجال قبائل جبلية صغيرة هي من الغرب إلى الشرق: بني زيات، وبني بزرة وبني جرير وبني سميح وبني زجل وبني سلمان وبني منصور وبني خالد وبني رزين(42) وقبائل الأخماس، احتفظت هذه القبائل بانتمائها إلى منطقة غمارة القديمة، إلا أن حدودها ومساحتها غير ثابتين من الوجهة التاريخية بشكل واضح ومضبوط، وكل المعطيات التاريخية تفيد أن مجالها كان خاضعا للتوسع تارة وللتقلص مرات عديدة تبعا للظروف السياسية السائدة، وكلما تقدمنا في الزمن ازداد مجال غمارة في التقلص لينحصر خلال الفترة المعاصرة في مساحة ضيقة، بلغت 50 ,4154 كلم، تحدها من الشمال قبائل

كتاب ثمرة **أنسي في التعريف بنفسي**، ومن مصادر ترجمته أيضا الكتاني محمد بن جعفر، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب ومحمد حمزة بن علي الكتاني، ط 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004، ج3، صص 116-119. ليفي بروفنصال، **مؤرخو الشرفاء**، ترجمة عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977، صص 241-244.

[40]) صاحب التآليف المفيدة منها شمس الهداية على المذاهب الأربعة، وسعد الشموس والأقمار وزبدة شريعة النبي المختار، وبغية المشتاق لأصول الديانة والأذواق، ثم سلوة الإخوان في الرد على أهل الجحود والعدوان-رسالة وردت ترجمته في خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ط 15، دار العلم للملايين، لبنان، 2002، ج 4، ص 39

[41]) Luengo FR., "xauen notas para historia", **Mauritania**, año 3, n :25, 1mayo, 1930, pp . 139-140

[42]) محمد عمراني ، **الشرف والمجتمع والسلطة السياسية بالشمال الغربي المغربي بين النصف الثاني من القرن 15 ونهاية القرن 19**، ط 1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2015، ص 82

جبالة (قبائل بني حزمر وبني سعيد)، ومن الجنوب وزان، وشرقا مع قبائل مستارة وكتامة، وغربا مع إقليم اللكوس (قبائل بني سيكار وبني يسف وبني عروس)(43). والملاحظ أن هذه القبائل اندمجت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في قبيلة واحة هي غمارة، أي أن القبائل القديمة تحولت إلى فرق وأصبحت جزءا من القبيلة الأصلية(44).

خريطة رقم 1: المجال الجغرافي لقبائل منطقة شفشاون

Source: D.E. del territoria de chauen, op cit (S.N.P)

وتبوأت مدينة شفشاون مكانة القاعدة الرئيسية لقبائل غمارة، وأهلها موقعها لأن تستقبل العديد من الوافدين إليها من أبناء القبائل المجاورة خاصة الأخماس وغمارة، الذين استقر البعض منهم بها، والبعض الآخر كان إما يتعامل تجاريا مع أبناءها أو دخل في علاقة

43) Datos estadisticos del territorio de chauen 1946, op cit, p 206

44) محمد عمراني ، **الشرف والمجتمع والسلطة السياسية...**، م س، ص 83

مصاهرة معهم(45). وقد انعكس هذا التكامل والتكافل إلى حدوث تأثيرات عميقة على مستوى العادات والتقاليد أو على مستوى لهجات هذه القبائل(46) المشابهة تماما لنمط ولهجة شفشاون. إلا أن تأثير المدينة على البادية لم يكن تأثيرا اقتصاديا كبيرا من شأنه أن يؤدي إلى إحداث تغييرات جذرية في تنظيماتها الاجتماعية، وكما أن البادية لم تستطع تقديم سوى عون متواضع بينما كانت المدينة مركزا للتجارة والإنتاج الحرفي، وهذا التوزيع في العمل والأرض نتجت عنه علاقات تكافل وتكامل وفي نفس الوقت علاقات تصارع وتنازع بين المجالين.

2. مظاهر الصراع وتدبير الاختلاف بين مدينة شفشاون وقبائلها

تمثل وظيفة الجهاز المخزني مجالا لاختبار قدرة السلطان على أرض الواقع، ومدى فاعليته في تسيير البلاد، وتجدر الإشارة إلى أن الجهاز المخزني شكل نقطة جوهرية لعدد من الدراسات التاريخية والاجتماعية خاصة في القرن التاسع عشر، سواء على مستوى تركيبته أو على صعيد العلاقات التي تربط المخزن بمختلف القبائل المغربية، والتي انبنت وفق الكثير على أساس جباية الضرائب(47)، ونظرا لمعارضة العديد من هذه القبائل عن تأديتها فغالبا ما كان يقابلها بالعنف كأسلوب دائم بهدف جباية المزيد من الضرائب(48). كما أن السلطة المغربية ظلت لوقت طويل تحكم بواسطة أجهزة حكومية وإدارية بدائية لا تستجيب لمتطلبات المجتمع، "ولا تقدر على تحسين أي وضع

---

[45]) ياسين الهبطي، **مساهمة في دراسة تاريخ المقاومة المغربي للاستعمار الاسباني...**، م س، ص 27

[46]) حيث أن سكان البوادي كان يضيفون حرف (د) (له نفس المعنى لحرف الإضافة DE في اللغة الاسبانية والفرنسة)، التي تسبق الأسماء مثلا يقولون (واد (د) النخلة- جبل (د) الأخماس). شارل دو فوكو، **التعرف على المغرب**، ترجمة المختار بالعربي، دار الثقافة، 1999، ص.22

[47]) عبد الرحيم العطري، "الحضور المخزني في المجتمع المغربي- استراتيجية الاختراق والهيمنة"، **مجلة وجهة نظر**، عدد 22، ص 46

[48]) جون واتربوري، **أمير المؤمنين**، ترجمة عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي، عبد اللطيف الفلق، ط 1، مطبعة فضالة، المحمدية، 2004، ص 57

من الأوضاع"(49)، ومن الطبيعي أن ينعكس هذا الوضع على مجموع التراب المغربي، ومن ضمنها المنطقة الغمارية، ونظرا لبعدها الجغرافي عن السلطة المركزية استعصت على امتداد تاريخها على الدول المتعاقبة في حكم المغرب في فرض السيطرة عليها، ويحتفظ تاريخ جبال غمارة بأمثلة عديدة عن ثورات القبائل الغمارية ترجع إلى عهد المرابطين(50).

وقد توالت هذه التمردات وزادت حدتها في ظل الدولة العلوية، وارتبطت بشكل كبير بقبائل الأخماس التي شكلت مركزا لحماية المتمردين على المخزن، وأشهرها ثورة العربي أبي الصخور سنة 1757(51)، وثورة محمد بن عبد السلام الخمسي المعروف بزيطان سنة 1794(52)، وقد لقي السلطان المولى سليمان صعوبة في تهدئة ثورات تلك القبائل التي لم تتقبل تنحية زعيمها، فتأكد أنه لا مناص له من تولية زيطان على هذه الناحية للتخفيف من هذا التوتر، خاصة وأن قبائل الأخماس كانت تنصاع كل الانصياع لهذا القائد(53).

إن مختلف الأحداث التي أوردناها سابقا تدفعنا للقول إن التمردات القبلية ترتبط أساسا بغياب طريقة معينة يعتمد عليها في انتقال الحكم من سلطان لآخر، فكلما توفي

---

[49]) عبد الوهاب ابن منصور، **مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد 1880**، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1986، ص 83

[50]) انظر في هذا الموضوع العافية عبد القادر، **الحياة السياسية** ..، م س، ص 10

[51]) لمزيد من التفاصيل انظر: (**إتحاف أعلام الناس**)، لعبد الرحمان ابن زيدان، ط2، مطابع إديال، الدار البيضاء، 1990، صص 190-191. وأيضا (**تاريخ الضعيف**)، م س، ص 160

[52]) جاءت كردة فعل ضد تعسفات القائد الغنيمي الذي ابتدأ تسييره للمنطقة بقتل القائد قاسم الصريدي، وانطلاقا من ذلك ثار زيطان واستطاع من تحريض قبائل الأخماس من أجل القضاء على الغنيمي الذي خرج بدوره لمواجهة المتمردين لكنهم قضوا عليه وهزموه نهائيا. انظر الناصري، م س، ج 8، صص 95-96. وأيضا Luengo FR, xauen (notas para su historia), 1930, op cit, p 311

[53]) الناصري، م س، ج 8، ص 95

سلطان إلا ويحدث نوع من التسيب والفوضى، ويفتح هذا المشكل أمام مجموعة من الزعامات القبلية التي تصبو لاستقلاليتها باب التمرد على السلطان الجديد، دون أن تفسح له المجال لإيجاد منفذ سوى استعمال العنف من أجل إعادة استتباب الأمن أو جباية الضرائب وغيرها. "وقد كان تجدد رجال المخزن يتم بنفس الوتيرة"(54).

ولم تكن شفشاون لتفلت من آثار هذا التمرد، حيث عانت طويلا من هجومات هذه القبائل، فاختلفت البواعث والمسببات المؤدية إلى ذلك، حيث نراها مرتبطة بأسباب اقتصادية تارة أو لتسلط قائد ضد المخزن تارة أخرى، ونجدها في أحيان أخرى مرتبطة بحسابات شخصية. وأمام هذا التوتر الحاصل في علاقة المدينة بمحيطها القبلي، بادرت السلطة المخزنية إلى اتخاذ جل التدابير التي يمكن أن تحد من شراسة هذه النزاعات على الرغم من المعيقات التي كانت تمنع المخزن من تأدية وظيفته كما يجب. فأين يمكن أن نصنف هذا النزاع القائم بين قبيلة الأخماس ومدينة شفشاون؟ وإلى أي حد استطاعت السلطة المركزية توقيف العنف والانسياب الأمني الذي شهدته المنطقة؟

إن القلق الحاصل في مدينة شفشاون وناحيتها بسبب الثورات اللامتناهية للمتمردين الخمسيين، لم يتم بسبب غياب وعي السلطة المركزية للبلاد، وهو ما جعلهم يتخذوا جل الحلول التي يمكن أن تحد من حدة هذه النزاعات، عبر تعيين قياد للمنطقة كما سبق الذكر، ولم يتوانوا كل مرة في استبدالهم بأشخاص أكثر شدة وحزما من ذي قبل، لكن على ما يبدو فهذا الأمر لم يجد نفعا مع قبائل الأخماس، فغالبا ما كان تعيين القائد يخضع لأمرين اثنين: إما لتزكية من صاحب نفوذ أو رغبة من أعيان الأهالي([55]). وقد أعطيت

---

[54]) والتر بوري، **أمير المؤمنين**، م س، ص 57

[55]) عبد العزيز السعود ، **تطوان خلال القرن التاسع عشر**، منشورات جمعية تطاون أسمير، 1996، ص 124

للقائد كل الصلاحيات في التدخل والتصرف في المناطق الموكلة إليه، بيد أن بعض القياد ممن حازوا ثقة سلطة البلاد استغلوا منصبهم للقيام بأنواع من التصرفات تهدد في أحيان كثيرة استقرار البلاد.

إن وضعية غمارة كانت ملفتة للانتباه نتيجة لتردي أوضاعها الاقتصادية وظلم وبطش ولاتها، ويمكن أن نجمل الحالة الأمنية للمنطقة فيما نقله إلينا الأستاذ العربي اللوه بالقول: "**إن المدن وغالب القبائل المجاورة لها الواقعة غرب الشمال من المغرب، كانت تعيش تحت القهر والاقطاع وفي فوضى لا تتصور، فمن القهر والاضطهاد والاقطاع التي كان ينتهجها الباشوات والقواد الذين تعينهم الدولة على تلك المدن والقبائل إلى النهب والسلب والخطف والسرقة، فالفوضى كانت ضاربة أطنابها في تلك الجهة إلى حد بعيد**"([56]).

وأمام توالي الضغوطات المخزنية على الأخماس، إضافة إلى تردي الأوضاع الاقتصادية كما سبق الذكر، استأنفت هذه القبائل تمرداتها على السلطة، فأضحت مدينة الشاون ضحية للهجومات المتواصلة لها، وفي هذا الصدد تخبرنا الوثائق أن اختلال التوازن بين المدينة وقبائلها قد بدأ سنة 1840 وهو ما دفع بالسلطة المخزنية إلى توجيه إنذار لقبائل الأخماس وأمرهم بالتوقف عن عمليات النهب والاعتداء فألزمهم "**بأداء عشرة آلاف مثقال ذعيرة**"(57)، غير أن الأمر لم يجدي نفعا، فسرعان ما تجدد هذا

[56]) العربي اللوه، **المنهال في كفاح أبطال الشمال**، مطابع الشويخ ديسبريس، تطوان، 1982، ص 210

[57]) رسالة موجهة من السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام إلى القائد محمد أشعاش، بتاريخ 2 ربيع الثاني، 1256 / 8 يونيو 1840، خ.ح.ر، مح 15/8.ك

التمرد سنة 1844(58)، إذ أقدمت قبيلة الأخماس على محاصرة مدينة الشاون، مما أحدث أضرارا اقتصادية في المدينة وساكنتها، فلم يعد يجرؤ هؤلاء "**على المجازفة خارج الأسوار على إثر نهب بعض القوافل في الطريق**"([59]) وفي ذلك إشارة إلى الارتباط الوثيق بين أفراد قبائل الأخماس بمدينة شفشاون الذين كانوا يتوجهون إليها لقضاء حاجاتهم على الرغم من انعدام الالتحام بين الجانبين.

وبناء على هذه الأحداث وجه السلطان أوامره لباشا تطوان بضرورة تكوين لجنة مكونة من أعيان وشرفاء العلميين للتدخل بين الطرفين، فتم عقد مؤتمر حضره علماء وفقهاء المنطقة، وقبل الطرفان الصلح بناء على شروط من ضمنها، أنه في حالة نقضه أو خرقه سيرفع الأمر إلى السلطان ليبث فيه(60).

لقد كان من الطبيعي أن نجد الطرفان ينساقون بشكل مباشر وبدون تردد إلى قبول الوساطة التي تكلف بها الشرفاء العلميين، وذلك راجع لا محالة إلى المكانة الروحية التي كانت لهؤلاء في المنطقة ككل، وإن كانت هذه المبادرة جاءت بأمر من السلطان، إلا أن ذلك دليل على أن المتنازعين كانوا ينتظرون حلا يوقف ويحد من هذا الصراع.

لم يدم السلم طويلا فسرعان ما واصلت الأخماس هجوماتها على الشاون([61])، وقد استمر هذا النزاع خلال فترة حكم السلطان محمد بن عبد الرحمان احتجاجا على هذا الأخير بعدما قام باستبدال قائد المنطقة الفزياني خوفا من تحريضه للمتمردين الموجودين

---

[58]) رسالة السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى القائد محمد بن عبد الرحمان أشعاش، بتاريخ 6 جمادى الثانية، 1260 هـ ، خ.ح.ر، مح، 16/14ك

[59]) عياش جرمان، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط 1، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، 1986، ص 159

[60]) نفسه، ص.160

[61]) رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى الطيب بوسلهام، بتاريخ 11 رجب 27/1260 يوليوز 1844، خ ح ر، 2/12 ك 3

بالمنطقة، فنصب مكانه عبد الله الخالد مما أغضب أهالي القبيلة الذين لم يرضوا بعزل الفزياني من منصبه، وقد عبروا عن موقفهم هذا عبر مهاجمة القائد الجديد بمنزله وسرقة أشيائه، مما اضطره الفرار إلى مدينة تطوان (62).

وتولى منصب القايد في الشاون بعد ذلك الحاج محمد التلمساني الذي نجح في تهدئة الأوضاع، فخلال فترة حكمه القصيرة لم تحدث أي تجاوزات، إلى أن تم تعويضه بالعربي الشاوني الذي أدار الحكم بتوفيق وسداد. كما عزز علاقاته مع مدينة تطوان، لكن هذا الانصياع لسلطة المخزن لم يرق القبائل المتمردة، التي لم تعتد أن يسود الأمن والنظام بالمنطقة لأن هذا الأمر لم يخول لهم الاستحواذ على الأشياء التي كان يمنحها لهم تمردهم الدائم(63)، فامتنعوا عن أداء الواجبات المخزنية كما حصل مع التاجر الهاشمي البعبوع حيث رفض أداء مستحقات الضريبة السنوية لأمناء المدينة، ولما ألقي عليه القبض ثارت عليه قبائل الأخماس فتمت مهاجمة المدينة إلى أن تم تسريحه(64). فاستأنفت وتوالت بذلك النزاعات بين الطرفين، وكانت أشرسها حينما توجه خمسي مسمى ابن العافية لبني حسان في الشاون، ودخل القصبة حيث يوجد العربي غير مهتم بنتائج ما يحدث، فأطلق عليه النار وهرب، لكن بعض الشاونيين الذين سمعوا طلقات النار تبعوه وألقوا عليه القبض قرب باب العين، ورجعوا به نحو القصبة، لكن حين علموا بمقتل القايد أعدموه فورا دون تقصي ومعرفة السبب الذي دفعه لارتكاب الجريمة، التي كانت بمثابة النقطة التي أفاضت الكأس وأسفرت عن حروب بين الشاونيين والخمسيين معلنين بداية حرب جديدة، والتي من خلالها أظهر الخمسيون أشد همجيتهم، فقد اقتلعوا أشجار الزيتون

---

[62]) Antonio romaguera barcelo, op cit,p.16

[63]) Ibid, p.17

[64]) رسالة الأمينين محمد الدويري وعبد الكريم برشة إلى أمين الأمناء محمد بن المدني بنيس حول كنطردة شفشاون، بتاريخ 18 حجة 1288، خ و ر، 22765

وأشجارا من الفواكه لإلحاق الأذى بأبناء المدينة، خاصة وأن الحقول الفلاحية والزيتون كانت بمثابة مصدر العيش الوحيد لسكان المنطقة(65).

اكتشف سكان شفشاون أطماع أعدائهم، فبادروا إلى تكوين لجنة تقصي بغية إنهاء هاته الخروقات وتتكون من أربعة أعيان من المدينة، ثم توجهوا إلى السلطان، احتياطا للوقوف في وجه همجية الخمسيين([66]). ورغم ذلك لم يتمكنوا من الالتقاء بالسلطان لأن عددهم قليل فأضافوا عشرة أعيان لكن بدون جدوى. فرجعوا إلى مدينة الشاون في ظروف أسوء من قبل، مما هيج الخمسيين وجعلهم يتجهون إلى المدينة ليقتحموا أسوارها ويسرقوا كل ما وجدوه في طريقهم، زارعين الرعب في قلوب الشاونيين حتى أغلقت أبواب المدينة، ولم يصبح أحد من السكان يتجرأ ويفتح باب منزله. وقد دامت هذه الوضعية حوالي تسعة أشهر(67).

وقد اجتمع من جديد عدد من أعضاء المدينة، لطلب المساعدة من السلطان لأجل وضع حد للوضعية القاسية التي تعيشها شفشاون. هاته اللجنة كان حظها جيدا هذه المرة، وتمكنوا من الالتقاء بالسلطان محمد بن عبد الرحمان الذي أرسل الفرياني قائد الشاون سابقا، على رأس بعثة عسكرية من أجل معاقبة الخمسيين. وعلى الرغم من حنكة الفرياني وتجربته، فإن قبائل الأخماس عملوا على استدراجه عن طريق الهدايا للمثول لهم، وبذلك عاد ليخبر السلطان أنه لا داعي لاستعمال السلاح، وأن الأمور عادت إلى مجراها وأن كل شيء أصبح عاديا(68).

---

[65]) Antonio romaguera barcelo, op cit, pp.17-18

[66]) Luengo FR, xauen (notas para su historia), N 32, op cit, pp 395-398

[67])Ibidem.

[68]) Luengo FR, xauen (notas para su historia), N 32, op cit, pp 395-398

لم يكد الفرياني أن يختفي من الإقليم حتى ابتدأت مجددا السرقات والاعتداءات، فاشتكى الشفشاونيون لعبد السلام ابن ريسون، المقيم بمدينة تطوان، الذي كان يتمتع بسلطة ونفوذ في قبيلة الأخماس، وطلبوا منه أن يتدخل لسلطته ومكانته من أجل تهدئة الأوضاع وإحداث السلم. ولم يكن صعبا على الشريف عبد السلام أن يجمع بين الطرفين حيث أقسموا على الصداقة في مأدبة، وخلال هذه الفترة تم تعيين الحاج محمد الفيلالي قائدا على مدينة شفشاون، والحاج محمد الزيري قائدا لقبيلة الأخماس(69).

لم يدم السلم طويلا كما ظنه ذلك عبد السلام الريسوني، إذ عادت الفوضى السابقة، وقد تسبب فيها قائد شفشاون وقائد الأخماس اللذان لم يتفقا حول طريقة تسيير المناطق، فبادر السلطان إلى تعيين اليعقوبي قائدا للشاون، لكن مدته كانت قصيرة فخلفه أحمد بوجمعة (أو بوبنة) الذي كان أمينا للمحتسبين في ذلك الوقت(70).

كانت هذه هي المرحلة الأولى من حضور المخزن العلوي في النزاع بين مدينة الشاون وقبائلها، أما المرحلة الثانية من هذا التدخل فظهرت ملامحها مع تولية السلطان المولى الحسن لعرش المغرب، فاستتب الأمن وهدأت الأوضاع ونظمت المحلات العسكرية للقضاء على الفتن، وكان من خططه نهج سياسة الحركات أو الرحلات للعديد من المناطق، وقد حظيت مدينة شفشاون بدورها بزيارة هذا السلطان، ومن أجل الحد من تمرد قبائل الأخماس قام بإعادة هيكلة هذه الأخيرة، فعوض الأشكال القمعية القديمة بتقسيم الأخماس إلى عليا وسفلى، وذلك بهدف تسهيل تطويع المنطقة([71])، وبما أن قوة هذه

---

[69]) Antonio romaguera barcelo, op cit , p.23

[70]) Ibid, p. 18

[71]) عمراني، م س، ص 238

القبائل كانت رهينة بقوة تكتلها واتساع مجالها، فقد تحتم عليه أن يقوم بنهج أسلوب فرق تسد دون حاجته لاستعمال العنف. فإلى أي حد ساهم هذا القرار في كسر شوكة العصيان التي تحرك هذه القبائل الجبلية المتمردة؟

بالفعل فقبائل الأخماس هذه المرة هي التي سارعت إلى توجيه وساطة لدى السلطان نفسه، فظهرت الحاجة مرة أخرى إلى ضرورة تكليف زعيم ديني تكون كلمته مسموعة احتراما لسلطته الروحية والرمزية، وكان أبرزهم علي شقور العلمي(72) الذي كانت له شهرة مسموعة في مناطق جبالة، ومن ضمنها قبائل الأخماس، إذ التجأت هذه الأخيرة إلى هذا الولي للتدخل في شأن القرار الذي اتخذه السلطان المولى الحسن، إضافة إلى رغبة أعيان الأخماس في التوسط لدى السلطان نفسه لتغيير القائد المخزني المفروض على القبيلة واستبداله بآخر من اختيارها، فنجحت وساطة علي بن شقور، واستطاع خلال هذه الفترة من إخضاع القبيلة وإلزامها بدفع التكاليف والمستلزمات المخزنية(73).

وبموت السلطان الحسن الأول سنة 1894 عادت الاضطرابات والفوضى إلى المدينة وناحيتها، فظهر بوحمارة في مسرح الأحداث، مستغلا ظروف وواقع السلطة المركزية وضعفها، فزار هذه المناطق التي شكلت دوما مجالا للتمرد والعصيان، فزار منطقة الشاون وناحيتها سنة 1903، وعرض على الصادق الريسوني الانضمام إليه واعدا إياه بأن يجعل منه وزيرا له، لكنه رفض رفضا كليا التعاون معه فنصحه بالإقلاع عن فكرة التمرد(74).

---

[72]) علي شقور بن أحمد الحسني العلمي، اشتهر بالتصوف والزهد وإليه تنتسب الزاوية الشقورية بشفشاون توفي سنة 1898، عبد العزيز بن عبد الجليل، **معلمة المغرب**، ج 12، ص 5400

[73]) عمراني، م س، ص. 238

9) الصادق الريسوني، م.س، ص. [74]

إن وجود بوحمارة في منطقة الشاون ما هو إلا نتاج لما كانت تعيشه المدينة من توترات، ظنا منه بأن عملية انتشار دعوته بهذه المنطقة سيكون أمرا سهلا، فرغب بذلك إلى استمالة الصادق الريسوني إليه لعلمه بالمكانة العلمية والاجتماعية التي يتمتع بها هذا الأخير في مدينة شفشاون، معتبرا أن انضمامه إليه سيسهل من مهمته في استمالة الشفشاونيين، لكن موقف الريسوني دفعه لأن يعيد حساباته ويعود أدراجه. ومن الراجح أن العمليات الهجومية التي قامت بها قبائل الأخماس على مدينة شفشاون قد تمت بإيعاز من خليفته محمد بن الحسن السملالي([75]).

لكن ما زاد من تأزم الوضع الأمني بشفشاون هو انعكاسات حركة أحمد الريسوني عليها، حيث قام هذا الأخير باختطاف الضابط الانجليزي "هاري ماكلين" مدرب جيش المولى عبد العزيز، فوجه السلطان حركة بقيادة بوشتى البغدادي من أجل تحرير الكولونيل المحجوز لدى الريسوني، فأخذت هذه المحلة تعتقل وتقتل في قبائل الأخماس(76). لكن سرعان ما عادت أدراجها بعد أن تلقت أوامر من قبل السلطان بضرورة التوجه نحو مدينة الدار البيضاء حيث يوجد الجيش الفرنسي، بالإضافة إلى وقوع نزاع بين السلطان عبد العزيز وأخيه المولى عبد الحفيظ، وبذلك لم تحقق هذه الحملة المخزنية أي نتائج تذكر(77).

---

[75]) ياسين الهبطي، **مساهمة في دراسة تاريخ المقاومة المغربية**، م س، ص 37

[76]) الصادق الريسوني، م س، ص 9

[77]) Antonio romaguera barcelo, op cit , p. 23

وما كاد جيش المولى عبد العزيز يغادر منطقة شفشاون، بتاريخ 28 غشت عام 1907م، حتى توجه أفراد من قبائل الأخماس إلى مدينة شفشاون، حيث قاموا بتخريب دور كل من كان إلى جانب محلة المخزن(78).

يلاحظ أنه كلما اشتد النزاع واستعصى على أهل المدينة الالتقاء بالسلطة المركزية للبلاد، إلا يلجأ أعيان شفشاون إلى الأشخاص الذين كانت كلمتهم مسموعة عند قبائل الأخماس. وهو الأمر الذي لم يمكن من فهم موقف قبيلة الأخماس من السلطة المركزية، فتارة تقبل بتدخل سلطان البلاد وتارة أخرى تقبل بالشروط التي يضعها أعيان المنطقة، الذين هم بدورهم يتم تعيينهم من قبل السلطان. وهو ما يؤكد على أن تمرد هذه القبائل لم يكن تمردا على السلطان في حد ذاته وإنما كان تمردا على قواده وسياستهم الجبائية التعسفية.

78) رسالة من السلطان المولى عبد العزيز إلى محمد الطريس بتاريخ 22 ربيع الأول 1312، خ ع ت، 26/40 مح انظر الوثيقة رقم 3 ضمن ملحق الوثائق . إضافة إلى الصادق الريسوني، م س، ص 10

الفصل الثاني

الاستعمار الإسباني لمدينة شفشاون: الأهداف والآليات

شكلت الكتابات التاريخية الأوروبية رصيدا هاما ومتنوعا حول تاريخ المغرب، فمهما كانت البواعث والخلفيات الداعية إليها، فإنه لا مناص لأي باحث في تاريخ الحماية بالمغرب من العودة إلى مختلف هذه الإنتاجات المعرفية. لكن يجب ألا ننظر إلى هذه الحصيلة من الدراسات من حيث الكم، بقدر انتباهنا إلى جوهر هذه البحوث بحد ذاتها، أي أن هذا الإنتاج لم يكن يخلو من أخطاء نظرا لتوجهها الأيديولوجي، إذ شكلت نوعا من التحضير الفكري للمشروع الاستعماري، حيث ركزت أساسا على معرفة المجال المستهدف تسهيلا لمأمورية الاستعمار. وقد تنبهت إسبانيا بدورها في وقت متأخر إلى أهمية البحث العلمي وتوظيفه كأحد الأسلحة التي تعبد الأرضية للزحف نحو مدينة شفشاون.

تعد الكتابات التي تطرقت لتاريخ مدينة شفشاون في حكم النادر، خاصة فيما يتعلق بالكتابات الاسبانية، لذلك سيعمد هذا الفصل للتطرق إلى الأهمية التي اكتستها المدينة في المخططات الاستعمارية الاسبانية، نظرا لاستعصائها على الأوربيين الذين فشلوا في ولوجها حتى سنة 1920، كما ركز على النصوص التاريخية الأوربية التي تناولت تاريخ المدينة منذ القرن التاسع عشر، وكذا السياسة التي نهجتها المؤسسة العسكرية في الاحتلال.

I. الاهتمام الإسباني بمدينة شفشاون

1. البعد الاستراتيجي

تمتاز مدينة شفشاون بجغرافية جعلتها موضع اهتمام وجذب وأطماع، وذلك راجع للعديد من الاعتبارات التي اكتسبتها انطلاقا من موقعها أولا ومن طابعها المغربي الأندلسي الإسلامي ثانيا، الأمر الذي جعلها محط أنظار الاستعمار الاسباني.

إذ تبين لإسبانيا بعد احتلالها للعديد من المراكز بشمال المغرب القيمة التي تمثلها مدينة شفشاون لمخططها الاستعماري، لكونها المدينة الأكثر "عمقا في منطقة جبالة([79])، ولكونها تحتل موقعا عسكريا هاما للغاية، وهي المعبر الوحيد للتغلغل داخل المنطقة الشرقية من جبالة([80])، وبالتالي فاحتلالها شكل قيمة استراتيجية ملموسة وقد اعتبرها الإسبان الخطوة الأكثر أهمية في المنطقة، لكونها تشكل منتصف الطريق الرابط بين العديد من المراكز التي تؤدي إلى تطوان وفاس ووزان ومليلية([81]). كما أن ولوجها يحل العديد من المشاكل التي كانت تعترض جيوش الاحتلال وعلى رأسها مقاومة الريسوني، الذي كان يتحكم في العديد من المواقع الجبلية. ويقتضي المنطق العسكري الاحتلال الشامل لإحكام السيطرة على جميع المناطق([82]). ونظرا لموقع المدينة الدفاعي، فقد تم اختيارها من طرف السلطة الاستعمارية الإسبانية للقيام بوظيفة عسكرية لضمان مراقبة الجبل، وبالتالي تأمين مدينة تطوان عاصمة المنطقة الخليفية(83).

---

[79]) Angel Cabrera, **Magreb el Aksa, recuerdos de cuatro viajes por yebala y por el rif**, madrid, 1924, p 175

[80]) Sin autor, "xexauen", **la época**, vienes 24 de septiembre 1920 Año LXXII, N 25090

[81]) ibidem

[82]) الهبطي، م س، ص 46

[83]) Mohamed EL DAHAN, « la promotion admistrativa et ses effets sur l'urbanisation des petites villes : escemple de chefchaouen », **espace domestique en milieu jbala purtait d'un micro-bignage et tableau de son ablissement**, jawhar vignet du13 au 23, p. 139

2. البعد الاقتصادي

احتلت مدينة شفشاون مكانة اقتصادية لم تغرب عن بال منظري الاستعمار، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال مختلف الكتابات الإسبانية، التي كان البعد الاقتصادي الاستعماري هو المتحكم فيها، وهي دلالة واضحة على أن السياسة الإسبانية كانت تتجه نحو تحقيق أهداف أكثر طموحا في مجالات متعددة ومن ضمنها الاقتصاد، ومن أجل ذلك فقد اتجهت للبحث عن وجهة تتوافر فيها شروط التنوع والغنى الطبيعي. فاجتمعت هذه المقومات في مدينة شفشاون، ولا أدل على ذلك من غنى ثرواتها الطبيعية وهو ما أشار إليه ألفونسوا غيزيان Alfonso Guizan في مقال نشر في مجلة Mauritania بالقول: "**من الصعب حصر ما تزخر به مدينة الشاون في مجال واحد، بل تعددت الثروات الفلاحية في المنطقة، فهي تتوفر على منتوج هائل من الزيتون، وحبوب وقطاني، وكذلك زراعة الفواكه، باللإضافة إلى طبيعتها الغابوية التي تمكنها من كم هائل من صناعة الخشب، أما في المجال الصناعي، فتتوفر المدينة على محلات لصناعة النسيج**"(84).

وفي السياق ذاته أكد المستشرق أنخيل كابريرا Angel Gabrera أن احتلال مدينة شفشاون يشكل أهمية قصوى في اقتصاد المنطقة الخليفية لكونها إحدى المراكز الصناعية الأكثر أهمية بالمغرب الشمالي، وذلك راجع لخصوبة أراضيها وشهرة منتوجاتها الفلاحية والصناعية([85]).

3. البعد التاريخي

شكل البعد التاريخي كأحد أبرز أسباب الاهتمام الإسباني بالمدينة، فهذا البعد تحكمت فيه من دون شك تاريخ الحضارة الإسلامية، التي كانت ولازالت متغلغلة في

---

[84]) Alfonso Guizan, "xauen la ciudad santa", **Mauritania**, Año 8, N 86, 1 de enero 1935, p. 47

[85]) Angel Cabrera, op cit, p 175

عمق التاريخ الإسباني، ومنذ ذلك الحين أضحت صورة المغربي متعلقة بكل ما هو سلبي في ذهنية الإسبان، الذين قدموا إلى المغرب وهم مشحونون بأحقاد تاريخية ترسبت في قلوبهم منذ أن كان المسلمون يحكمون الأندلس.

وقد عبرت عن ذلك العديد من الدراسات من بينها دراسة نشرت بمجلة Mauritania، جاء فيها: "**الطريق إلى شفشاون هو ملتو ومعوج لأنه يمر عبر جبال وعرة، لكنه رغم ذلك هو الطريق نفسه الذي سلكه الإسبان والمسلمون والأندلسيون، للوصول إلى المدينة وبنوا فيها مساكنهم واستقروا فيها. كما أن شفشاون كانت كذلك قبلة الآتين من غرناطة، حيث سكنوا جبالها للاختباء والحماية، معتبرين أن هذه المنطقة هي تذكار لوطنيتهم وهويتهم التي فقدوها في غرناطة بعد أن طردوا منها**"(86).

والظاهر كذلك من تصريحات الضباط الإسبان أنهم حاولوا تقديم تبرير تاريخي لعملية احتلال مدينة شفشاون، وذلك ما نستخلصه مما جاء عند الضابط والمؤرخ الإسباني ماريانو فيرير برافو Mariano Ferrer Bravo بالقول: "**كان السكان بشفشاون يشاهدون حفدة الذين أرغموا أسلافهم على عبور المضيق بعد أن استولى الملوك الكاثوليك على غرناطة، والذين جاءوا ليخلصوهم من عبوديتهم**"**(87).**

فالإسبان لم يغرب عن بالهم القيمة التاريخية التي تمثلها مدينة شفشاون، لكونها احتوت العديد من الأندلسيين، ومن جانبه صرح الضابط دي لاسكيطي De Lasquetti بأن مدينة شفشاون تشكل المأوى الحقيقي الذي تختبئ فيه روح الموريسكيين النازحين من إسبانيا خلال القرن الخامس عشر(88)، وخلص بنبرة استعمارية واضحة إلى القول: " **عرفنا خلال زيارتنا للمدينة أن قلوب الجبليين وأمعاء الريف هم إسبان**"(89). في حين قال المؤرخ طوماس غارسيا فيغيراس Tomas Garcia Figueras " **أن هذه المدينة**

---

86) Sin autor**, «** chauen ciudad de turismo **»**, **mauritania**, Año 17, N :207, 1 de febrero, 1945, p.51

87) Mariano ferrer bravo, **Descripción de xexauen y also sobre tanger**, 1921, p 9

88) Juan De lasquetti, **chefchauen,** op cit, p 10

89) Ibidem

كانت لها أهمية خاصة في المخططات العسكرية لإسبانيا لما تمثله من مكانة دينية، ولكونها دائما صعبة المنال"(90).

إذا بين ميزة الشاون التقليدية ببيوتها وجبالها، ومقوماتها الاقتصادية وخيراتها الطبيعية من جهة، وطموحات الأوروبيين من جهة أخرى، تحركت وتشكلت غريزة الإسبان لاحتلال هذه المدينة، ونظرا للغموض الذي كان يحيط بشفشاون بالنسبة لهم، فلم يغامروا بالشروع في احتلالها دون جمع أقصى ما يمكن من المعلومات حول تاريخ هذه المدينة وساكنتها حتى يتسنى لهم التسرب إلى داخل مجتمعها، فما هي إذن أهم الدراسات التي تناولت الحديث عن مدينة شفشاون؟

II. نماذج من الكتابات الكولونيالية حول مدينة شفشاون

1. الكتابات التاريخية خلال القرن التاسع عشر

ارتبطت هذه الفترة بثلاثة أسماء فقط ممن برعوا في تقديم صورة ولو جزئية عن المدينة قبل القرن العشرين، وهم الراهب الفرنسي شارل دوفوكو Charles de Foucauld والمراسل الانجليزي والتر هاريس Walter Harris وموليراس Mouliéras. وهي مرحلة غيبت فيها الكتابات الإسبانية، ويمكن اعتبارها اللبنة الأولى التي بنيت عليها مختلف هذه الكتابات الموالية لهذه الفترة. وقد أفرزت هذه النصوص التي نشرت في أواخر القرن التاسع عشر توجها عدائيا غلب عليه انعدام التسامح من قبل ساكنة المدينة، ويصعب اختراق المدينة من قبل المسيحيين، ويرجع أسبابها في فشل العديد من الأوروبيين الدخول إليها، وبالتالي أصبح تاريخ المدينة مجهولا وأكثر غموضا.

---

(90) Tomas Garcia Figueras, **Marruecos la acción de españa en el norte de África**, Ed Barcelona, 1939, p 174

أ- رحلة دوفوكو De Foucauld

لقد كان شارل دوفوكو من أبرز رواد المرحلة ومن أوائل الذين كان لهم الفضل في التعريف بالمدينة فعلى الرغم من كونه لم يتمكن من التوغل إلى داخلها إلا أنه خصص فصلا عنونه رحلة إلى الشاون في كتابه "التعرف على المغرب" Reconnaissance du maroc استطاع من خلاله أن يرسم ضواحيها وعدد ساكنتها التي بلغت حسب ما أورده فيما بين 3000 أو 4000 نسمة من ضمنها نحو 10 عائلات يهودية ([91])، ولم يخفي إعجابه بمظهر المدينة الذي اعتبره خلابا. إضافة إلى ما تزخر به من ثروات مائية([92]). كما قدم هذا الكاتب مجموعة من الأوصاف لساكنة الشاون المليئة بالأحكام المسبقة المبنية على عدم التسامح والعصبية، إلا أنه استثنى الفئة التي كانت تنفتح على ثقافات أخرى ونعتهم بالتحضر، وقدم مثالا على ذلك الحجاج الذين تأثروا بالبلدان التي مروا بها([93]).

فأصبح كتاب التعرف على المغرب، وخاصة الجزء المتعلق بمدينة شفشاون مرجعا أساسيا تعود إليه السلطات الاستعمارية الإسبانية، وقد أشادت الكتابات الإسبانية ونوهت بهذا العمل، ومن أبرزها تقرير دي لا سكيطي De Lasquette الذي اعتبر بأن دوفوكو قد فاجأ الأوروبيين من خلال ما نشره في كتابه من معلومات حول مدينة شفشاون معتبرا إياه جريئا وذكيا في استكشاف المدينة على الرغم من أنه لم يتمكن من الدخول إليها"([94]).

إضافة إلى أنخيل كابريرا Angel Cabrera الذي ذكر في إطار حديثه عن المدينة أنه: "**لا يمكن وصف جمالها لأنها ظلت ممنوعة من دخول المسيحيين إليها... ويعتبر**

---

[91]) شارل دوفوكو ، **التعرف على المغرب 1883-1843**، ترجمة المختار بالعربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1996ص 20

[92]) نفسه.

[93]) دو فوكو، م س، ص 21

[94])Juan De Lasquetti, op cit p 14

دوفوكو المسافر الوحيد الذي تحدث عنها"([95])، غير أن كابريرا اعتبر هذا الوصف بغير الكامل.

كما أشادت جريدة La época بالإنجاز الكبير الذي قدمه دوفوكو واعتبرت أن هذا العمل أفاد الاحتلال العسكري كثيرا، مؤكدة بدورها كونه المسافر الأوروبي الوحيد الذي تمكن من البلوغ إلى محيطها([96]). وهناك من اعتبر بأن هذا العمل مخاطرة في حد ذاتها([97]).

ب- والتر هاريس Walter Harris

وقد نشر بدوره الصحفي البريطاني والتر هاريس فصلا عنونه ب "طريقي إلى شفشاون" My ride to sheshauan، يروي فيه تفاصيل رحلته من طنجة نحو الشاون وكيفية استعداده للرحلة في يوليوز من سنة 1888، ونوعية الملابس التي استخدمها لزيه([98])، وعلى الرغم من تمكنه الدخول إلى المدينة إلا أن رحلته لم تكلل بالنجاح لأنه لم يتمكن من مشاهدة أي شيء فاضطر إلى مغادرة المدينة، إذ بلغته أخبار أن رجال قبيلة بني حسن شاهدوا مسيحيا في الطريق إلى شفشاون، وأن أهل المدينة كلها يتأهبون للقبض عليه. غير أن هاريس يخلط بين أصول المدينة العربية والأمازيغية، ووصفها كونها لا تعترف بسلطة المخزن.

وقد تعددت قائمة الزوار الأوروبيين للمدينة في تلك الفترة، حيث أشار دوفوكو إلى زائر مجهول قائلا: "**لا زال يحكي الناس فيما بينهم ما لقي ذلك الاسباني السيء الحظ**

---

[95]) Angel Cabrera, op cit, p 175

[96]) Sin autor, "xexauen", **la época**, op cit

[97]) Españolos Hispaño Americanas, "marruecos, xexauen, la misteriosa y heromética", **la lectura revistade ciencias y de artes**, Año XX, septiembre, 1920, N 237, p 385

[98]) walter Harris, "my ride to shechaouen", **from the land of on africaain sultan, london,** pp 235-247

من عذاب، الذي أراد قبل عشرين سنة أن يدخل المدينة"([99])، وأثار دي لاسكيطي بدوره إلى أن ساكنة ضواحي المدينة لا زالوا يحكون عن بعض المستكشفين الفرنسيين بشفشاون، وعن طالب يسمى عبد الرحمان الذي أقام بها مدة سبعة عشر سنة في الأخماس، وقد اختفى فيما بعد ليظهر من جديد بمدينة فاس مرتديا زيا أوروبيا([100]).

ت -موليراس ***Mouliéras***

يعتبر كتاب "المغرب المجهول" Le Maroc inconnu لموليراس Mouliéras كواحد من المصادر التي تناولت بالدراسة والتحليل المجتمع المغربي خلال القرن التاسع عشر بكل تجلياته، خدمة لأهداف الامبريالية الفرنسية، ويعد هذا الكتاب تقريرا عسكريا لأنه جاء بمعلومات دقيقة شملت معظم مناطق وقبائل الجهة المدروسة، التي يمكن توظيفها في إطار الهدف الذي كانت الإدارة الاستعمارية تنشده، وقد تمكن موليراس من خلال ما جمعه من معطيات ومعلومات أن يقدم دراسة خصص الجزء الأول منها لقبائل الريف، والجزء الثاني لقبائل جبالة. وتعتبر مدينة شفشاون من بين المدن التي تناول الحديث عنها، وقد اعتمد في جمع معلومات عنها على محمد بن الطيب(101)، إضافة إلى بعض المصادر المغربية التي اعتبرها المكون والمرشد الأساسي له بخصوص تاريخ المدينة، ومن بينها كتاب الاستقصا للناصري، ونشر المثاني لمحمد الطيب القادري وكدا مرآة المحاسن لمحمد الفاسي الفهري.

---

[99]) دوفوكو، م س، ص 20

[100]) Juan De Lasquetti, op cit, p 14

[101]) من المصادر الشفوية التي اعتمد عليها موليراس في كتابة مؤلفه

بدأ موليراس حديثه محاولا تأصيل مفهوم كلمة شفشاون(102)، بعد ذلك حاول إعطاء نظرة تاريخية حول تأسيس المدينة وعن مؤسسها أبي جمعة، انطلاقا من نصوص مأخوذة من المصادر التي سبق ذكرها([103])، واصفا منشآتها والطريقة التي بنيت بها منازلها، متحدثا عن مواردها المائية وأثرها على النشاط الفلاحي، إضافة إلى الأنشطة الصناعية والتجارية التي تزاول بالمدينة، فخلص إلى كونها تعتبر مركزا صناعيا هاما(104).

حاول موليراس نقل الصورة التي لدى الشفشاونيين عن الأوروبيين، والتي مردها إلى تعصبهم، ودليله في ذلك أن المدينة ظلت تمنع الأوروبيين من دخولها اعتقادا منهم أنها ستفقد رونقها([105])، كما سعى إلى رصد مختلف المؤسسات الدينية في شفشاون من مساجد(106) وزوايا وأضرحة(107) وهو تعبير عن كثافة الحضور الديني عبر التاريخ في هذه المدينة. وعن علاقة مدينة شفشاون بالسلطة يورد الكاتب أنها علاقة صورية يطبعها التوتر نظرا لاستبداد المخزن، الذي انحصرت وظيفته في استخلاص الضرائب والجبايات(108). ركز موليراس أيضا على دراسة المؤهلات الاقتصادية للمنطقة من أنشطة تجارية وحرف وصنائع تقليدية بشفشاون، مبرزا التأثير الذي تركه الموريسكيون في فن الحرف والزخرفة والهندسة المعمارية، معتبرا الفنانين المغاربة هم وحدهم الذين تكونوا مباشرة على يد الأساتذة الكبار الذين شيدوا القصر الشهير بغرناطة

---

[102]) Mouliéras auguste, **le maroc inconnu,** 2partie, augustin challamel, paris, 1899, pp. 121-122
[103]) Ibid, pp 123-124
[104]) Ibid , p126
[105]) Ibid, p 127
[106]) Ibid, PP 130-131
[107]) Ibid, pp.127-128
[108]) Mouliéras, pp 127-128

(قصر الحمراء)، معبرا عن أسفه لكونه لم يستطع الإطلاع على هذه المخطوطات الفنية لضرورة التزامه بإنهاء كتابة مؤلفه([109]).

نقل موليبراس صورة عن المدينة بأنها تفتقد الأمن والأمان، وعلى أن كل شخص هو مسؤول عن حماية نفسه كما يشاء، بما فيهم قائد المدينة الذي سار يعيش كالمطارد(110). وذكر حدث زيارة السلطان الحسن الأول للمدينة سنة 1888م(111)، ثم استرسل في الحديث عن الصراع الذي كان قائما بين مدينة الشاون وقبيلة الأخماس(112)، ليختم في الأخير الحديث عن حي الملاح، فأعطانا صورة مقيتة حول هذا الحي، الذي يفتقر لعوامل النظافة(113)، واصفا المرأة اليهودية وكيفية عيشها داخل السور المنيع المحيط بهذا الحي، ذلك السور الذي تم بناؤه لفصله عن أحياء المسلمين، كونهم يمثلون أقلية داخل هذا المجتمع، بعد ذلك ينتقل الكاتب إلى الحديث عن الحرف والصناعات التي يزاولها اليهود داخل هذا المحيط لتنتهي بذلك رحلته داخل المدينة(114). ومن الأخطاء التي ارتكبها موليبراس وصف المجتمع الشفشاوني بالمغلق، واختزل تاريخ المدينة بشكل بسيط، وأصدر أوصاف عنصرية، فكثيرا ما تردد لديه مصطلح العصبية الذي يطبع علاقة المسلمين باليهود في المدينة.

2. صورة مدينة شفشاون في الكتابات الإسبانية

تمتاز مدينة شفشاون بجغرافية جعلتها موضع جذب واهتمام، وفي الوقت ذاته شكلت عاملا من عوامل عزلتها، وعلى الرغم من أن تاريخها شهد أحداثا متفاوتة وهامة،

---

[109])Ibid, pp. 128-129-130
[110]) Ibid, pp. 130-131
[111]) Ibid, pp.134-135-136
[112]) Ibid, pp.136-137-138
[113]) Ibid, pp.139-140
[114]) Ibid, pp.144-145

إلا أن معالمها بقيت مطبوعة بالغموض والانغلاق، فكثرت الرغبة في التعرف على المدينة التي ظلت تخفي سحرها عن جل المتطفلين، فعلى الرغم من طابعها التاريخي العريق إلا أن الكتابات حولها لم تشفي غليل الدارسين ولا الباحثين، ونستحضر هنا مقال نشر بمجلة Mauritania، حينما وصفت مدينة الشاون كونها "**فردوس المغرب المفقود الذي لم يستطع فك لغزه لا الباحثين في المجال الجغرافي ولا المؤرخين**"([115]). ولا غرابة أن نجد فترة ما بعد الاستعمار من أكثر الفترات إثمارا فيما يتعلق بالدراسات التي تناولت المدينة. كان المقصود من ذلك هو مساعدة المشروع الاستعماري ودعمه عبر تقديم تعريف للمدينة لفهم مجتمع منغلق على نفسه مثل المجتمع الشفشاوني. فتعددت بذلك النعوت التي أطلقت على المدينة من قبل المستعمرين، وقد اختلفت مواقفهم تجاه هذا الوصف باختلاف نظرتهم وتجربة كل واحد منهم فيها، فامتزجت مشاعر الخوف والقلق والضياع عند البعض، وبين الإعجاب والتغني بتاريخهاعند البعض الآخر، لكن جل هؤلاء الذين كتبوا عن مدينة الشاون، وصفوها بالغامضة، فيرى سانتياغو أوتيرو Santiago Otero "**بأن غموضها يرجع إلى موقعها إذ لا يمكنك مشاهدتها حتى تصل إلى أبوابها، غامضة من خلال عادات وتقاليد سكانها، ومن خلال الجبال المحيطة بها**"([116])، وسميت أيضا "بالأسطورة"([117])، و"المكتنفة بالأسرار"([118]). وهناك من حرص على تسميتها ب "المدينة المقدسة"([119]) La Ciudad Santa ، لكونها ظلت ممنوعة على كل مسيحي من

---

[115]) Sin autor, "chauen ciudad de turismo", **Mauritania**, op cit , p 51

[116]) Santiago Otero Rotundo (1930),**En el corazón del Rif,** impresiones de viaje efectuado en a la zona del protectorado español y plazas coberanía en marruecos, cueta, revista África p.100

[117]) Mariano ferrer bravo, **Descripción de xexauen**, op cit, p 14

[118]) Angel cabrera, **Magreb el aksa**, op cit, p 175

[119]) Guizan, op cit, pp 46-47-48 también Arqués Fernandez Enrique, "xauen la ciudad santa", **Lagaceda de Africa**, tétuan, 1936 , p 139

ولوجها، وهو ما جعل منها مدينة متعالية ينجذب إليها الباحثون وينشغلون بها وبالبحث في خباياها، وفي عبق تاريخها الذي تطبعه البساطة لكونها لم تتأثر بالتطورات الحديثة، فبقيت تحتفظ بالتراث القديم الذي يمزج بين الثقافة المغربية والأندلسية، وهو ما جعل كل من فرانكو(Franco [120]) وسوريا ماركو(Soria Marco [121]) يشبهانها بالقرى الأندلسية. ولعل هذا التمازج بين هاتين الثقافتين هو ما جعل الاسبانيين يتغنون بتاريخها العريق رغم الغموض الذي يكتنفها.

3. مدينة شفشاون من خلال تقرير دي لاسكيطي De Lasquetti

أ - ***التعريف بالدراسة***

ظل اهتمام الباحثين الإسبان بتاريخ مدينة شفشاون محدودا إن لم نقل منعدما، من هنا يمكن اعتبار تقرير دي لاسكيطي De Lasquetti محاولة رائدة في هذا المجال، إذ وكلت إليه مهمة جمع المعطيات الأساسية حول مدينة شفشاون، وقد جاء ذلك تلبية لحاجية الأوساط الاستعمارية الإسبانية والتعرف على مجال ظل يكتنفه الغموض، لذلك فطن المستعمر الإسباني إلى أهمية البحث العلمي في تيسير وتسهيل عملية الاحتلال، حتى يكون التدخل العسكري مبنيا على المعرفة الشاملة للمنطقة، خاصة وأن المدينة تنتمي إلى مجال يتميز بتضاريسه وخصائصه الجبلية الوعرة، وعلاوة على ذلك استطاع دي لا سكيطي أن يقدم دراسة اعتبرت الأولى من نوعها، اهتمت بالبحث حول المدينة.

لم تكن إسبانيا لتغامر في الشروع في احتلال مجال ظل غامضا من دون أن يكون لها معرفة مسبقة بخصائصها، فجاءت بذلك هذه الدراسة التي أنجزها دي لاسكيطي وهي عبارة عن تقرير عسكري تم جمعه قبيل دخول الاستعمار الإسباني، ونشر سنة 1921

---

[120]) Francesco Franco Bahamonde, op cit, p 181

[121]) Soria Marco, **Al través de Marruecos Español**, Barcelona, 1948, p 113

تحت عنوان شفشاون معلومات أخذت سنة 1918" **Chefchauen, Información hecha en Año 1918**"، ويقع في 48 صفحة، وأهم ما يثير الانتباه في هذا التقرير أن دي لاسكيطي لم يزر قط مدينة الشاون، بل اعتمد في إنجاز هذا التقرير انطلاقا مما تلقاه من معلومات شفهية قدمها له بعض الفقهاء الشفشاونيين الذين كانوا مقيمين بمدينة تطوان([122]).

جاءت دراسة دي لاسكيطي تلبية لمتطلبات العمل الاستعماري الإسباني، وهي تعتبر من الدراسات السباقة التي أنجزت حول مدينة الشاون، هدفها الأساسي هو تقديم مجموعة من المعلومات المتعلقة بالمدينة.

لعب هذا التقرير دورا هاما في عملية الاحتلال، وقد أكد هذا دي لا سكيطي De Lasquetti نفسه حينما أشاد بأهمية دراسته بالقول: "**بأن مدينة شفشاون ظلت لغزا، وبأن الفضل يرجع إلى طيارينا الذين تمكنوا من إزاحة الستار الذي كان يحجبها، وإلى هذا العمل الاستخباراتي**"([123]). إن أهم ما نلمسه في قول دي لاسكيطي أن عملية غزو المدينة لن يكتمل من دون المزاوجة بين العمل العسكري والاستخباراتي، بغية تحقيق مصالح إسبانيا المتمثلة بالأساس في استكمال مشروعها الاستعماري، فجاء بذلك هذا التقرير خدمة لهذا المشروع، وهو دليل على أن الغاية من دراسته كانت عسكرية بالأساس، ويتجلى ذلك بالملموس من خلال المعطيات الإحصائية الرقمية التي تطبعها الايديولوجية الاستعمارية والمعلومات المهمة التي تكشف لأول مرة للمستعمر الإسباني خصائص المدينة خلال مرحلة ماقبل الحماية، ملما بجل مرافقها وكذا بنياتها الإنتاجية ليقدم لنا تقريرا مفصلا وشاملا.

---

[122]) De lasquetti, op cit, p 33
[123]) Ibid, p 15

ب - <u>محتويات التقرير:</u>

تطرق الكاتب في مقدمته لمظاهر الطبيعة واصفا تضاريسها وإطارها الجغرافي انطلاقا من موقعها الجبلي المتميز الذي ساهم بشكل فعال في بناء اقتصادها، كما تناول الحديث عن غنى المنطقة من الناحية الطبيعية مبديا إعجابه بالمياه التي تزخر بها المدينة، ومنشآتها الرئيسية ومواد بنائها، متحدثا عن قصبة المدينة وأسوارها، ليصوغ لنا صورة تختلف عن الصورة التي رسمها الأجانب عنها، حيث وجدها نظيفة بأحيائها وساحاتها([124])، كما تطرق لأصل تسمية شفشاون ومحاور اتصالها مع المدن والقبائل المجاورة([125]).

ويلاحظ القارئ المتتبع لأهم محاور التقرير أن دي لاسكيطي De Lasquetti كان همه الأساسي هو تقديم إحصائيات دقيقة. يتعلق الأمر بمختلف المرافق والتجمعات السكنية وكذا البنيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، حيث تطرق لأبواب المدينة الإحدى عشر بأحيائها([126])، ومراكزها الدينية من مساجد([127]) وأضرحة وزوايا ومريديها([128])، وانتقل لأهم أسواقها([129])، وكذا فنادقها([130]).

---

[124]) De lasquetti, op cit, p 9

[125]) Ibid, p 13-15

[126]) Ibid, p 17

[127]) تضم إثنا عشر مسجدا موزعة على أحياها، كحي السويقة الذي يضم أربعة مساجد وهي: الجامع الكبير، جامع الجنائز، جامع بن يلون، جامع سيدي الحاج الشريف، ثم جامع سيدي بوخنشة بحي الحرازين، جامع العنصر بحومة العنصر، جامع العاقل وريف الأندلس بحومة ريف الأندلس، جامع السوق (حومة السوق)، ثم جامع ريف الصبانين، للا العدوية وجامع الريف.

[128]) De lasquetti , op cit, p 17-18-19

[129]) Ibid, P19

[130]) فندق اليهودي الذي يبيع فيه اليهود منسوجاتهم، والفندق الصغير يتواجدان بحس السويقة، إضافة إلى الفندق الفوقي والفندق السفلي، ثم الفندق الجديد، تتواجد بوطاء الحمام

كما تعرض لملاح اليهود الذي يتكون من اثنين وعشرين منزلا، ويعيش بها حوالي 200 يهودي يمتهنون حرفة التجارة، غالبيتهم من أصول أندلسية([131]).

كما أبرز أهمية المنطقة فلاحيا فضلا عن ثرواتها الغابوية نتيجة قربها من الجبال، ويقول في هذا الصدد: "**توجد غابات شاسعة من الفلين بجبل بوهاشم بملكية المخزن، وسيشكل ابتداء من اليوم مادة هامة يمكن استغلالها**"([132])، خلال هذا النص حاول دي لا سكيطي تمرير فكرة ضرورة الحضور الاستعماري بالمدينة، ويظهر ذلك جليا انطلاقا من الإشارات التي أعطاها حول ضعف المخزن في تدبير اقتصاد المنطقة، بدءا من القطاع التجاري الذي شهد تراجعا نتيجة انعدام الأمن، ووصولا إلى القطاع الفلاحي الذي لم يستغل بشكل جيد.

وحول الإمكانيات الصناعية وبنياتها الإنتاجية، فقد تحدث عن مؤهلاتها فيما يتعلق بدباغة الجلود والنسيج وطحن الزيتون وصناعة الجلباب والنجارة، وقد أحصى عدد الأرحى المتجلية أساسا في إحدى وعشرين رحى مخصصة لطحن الحبوب وأخرى لعصر الزيتون، وكذا دور الدباغة([133]). كما أحصى منازل شفشاون والتي قدرت بحوالي الألف، وقد حدد قيمة أهم هذه الدور بالريال الحسني، انطلاقا من ما قيمه خمسة ملاكين بالمدينة([134]). لينتقل بعد ذلك لإحصاء أقدم العائلات والأسر التي تقطن المدينة، بأسمائها وأصولها، منطلقا بالحديث عن العائلات التي ساهمت في تأسيس المدينة وقد بلغ عددها 33 عائلة تختلف أصولها باختلاف المناطق المنحدرة منها، وقد أعطى حيزا هاما بالتعريف بعائلات الشرفاء بمدينة شفشاون نظرا للقيمة التي احتلتها هذه العائلات من

---

[131]) De lasquetti, op cit, p 20
[132]) Ibidem
[133]) Ibid, pp 21-22
[134]) Ibid, pp 23-24

حيث النسب والمكانة الدينية داخل المدينة، وأهم هذه العائلات دون ذكر فروعها: عائلة البقالي والريسوني والعمارتي والعلمي واولاد ابن الأمين وأولاد القاضي والشرافاء العمرانيون. إضافة إلى أسر أخرى ذات أصول مختلفة (من تارودانت والحوز والأخماس وبني كرفط وأنجرة وفاس والجزائر وغيرها)، وأخرى أصلها من الأندلس (أولاد الحضري واولاد السمار واولاد الأيسر واولاد الجرندي وأولاد الغرناطي)([135]).

وبالنسبة لنظام الحكم بالمدينة فقد عرض جردا بأسماء خلفاء باشوات تطوان خلال حكم ثلاث سلاطين وهم مولاي الحسن والمولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ([136]) وهي كتالي:

جدول رقم 1: أعيان وباشوات المنطقة خلال 1873-1912

السلطان	باشا تطوان	الخليفة في شفشاون
مولاي الحسن من 1873 إلى 1894	أحمد السلاوي	محمد الرشدي
	محمد السلاوي	سي أحمد عبد الرحمان
		محمد كريكش
		أحمد الجباري
		عبد القادر كريكش
		الحاج المختار الفاسي
	سي ادريس بن يعيش	محمد البردعي
		عبد القادر كريكش
		العربي كريكش
		محمد كريكش بن عبد القادر
مولاي عبد العزيز 1894- 1908	عبد القادر بن غازي	العربي كريكش

[135]) De lasquetti, pp 25-33
[136]) Ibid, p 41

		عبد السلام البردعي
	عبد الكريم اللبادي	محمد الورديغي
مولاي حفيظ 1908 - 1912	عبد السلام بن الحسين البخاري	عبد القادر الرملي
		سلام البردعي
	مصطفى بن يعيش البخاري	سلام البردعي

كما ضمت دراسته أيضا تصميما لأحياء المدينة ومرافقها، وعددا من الصور القديمة.

وقد حاولت سلطات الحماية استغلال هذه الأعمال التي أنجزت حول المدينة، وتسخيرها لتسهيل مهامها في السيطرة على المنطقة، وتمكين قواتها من المعلومات، وقد أبرز الضابط الإسباني ماريانو فرير برافو Mariano Ferrer Bravo ما قام به من جهد لجمع المعلومات حول شفشاون باطلاعه على كل ما كتب في هذا الجانب، "فقرأ لماكسال Maxal ولليون الافريقي وميرسيي Mercier ودو فوكو De Faucauld وكانوفاس Canovas، وتقرير لاسكيطي Lasquetti، كما رجع إلى بعض المجلات ومنها الأرشيف المغربي Archives Marocianes ومجلة العالم الاسلامي Revue du Monde Musulman، وقرأ كذلك لروض القرطاس، وابن خلدون([137])، وانطلاقا من هذه القراءات حاول هذا الضابط تقديم وصف دقيق لتاريخ شفشاون وتنظيمها وصناعتها.

وما يمكن استخلاصه من خلال هذه الدراسات أنها حاولت تقديم أعمال ذات طابع أنثروبولوجي، قائم على الوصف ومحاولة القيام بمسح شمل مختلف الخصائص الاجتماعية والاقتصادية، كما استطاعت أن تبين خصوصية المجتمع الشفشاوني على أنه متمسك بأرضه، وكان هناك نوع من التركيز على إحصاء المؤسسات الدينية كمحاولة

[137]) Mariano Ferrer Bravo, **descripción de xexauen,** op cit, p 14

لإبراز حضور الطابع الديني في هوية الساكنة، تعكس التزام أفرادها بقواعد صارمة اتجاه الغرب ترجع إلى تشدد مؤسسيها، وإلى وعورة تضاريسها، جعل منها صعبة المنال. وهنا بدأت معالم وسمات المدينة تتضح بشكل أكبر ستكون مرجعا أساسيا لإسبانيا في رسم معالم استراتيجتها العسكرية.

III. سياسة الاحتلال ووسائله

1. سياسة بيرينكير Berenguer في الاحتلال

اتسمت الحركة الاستعمارية الإسبانية بانعدام الوضوح وتباين الآراء والتعدد في مراكز القرار، فراجت في الأوساط الاستعمارية نقاشات واسعة حول كيفية التدخل، فكان هناك من انحاز إلى خيار القوة والسلاح، وهناك من دافع عن الطرق السلمية، ولعل هذا الاختلاف هو الذي جعل السياسة التي نهجتها إسبانيا تشكل عائقا أمام تقدم مشروعها الاستعماري، فكانت النتيجة غير مرضية لم تصل لمستوى طموحات الشعب الإسباني. وهو ما يؤيد الرأي المخالف لاستعمار المغرب، الذين علموا جيدا بأن التحكم في المغرب يتطلب جهدا عسكريا كبيرا(138). فارتفعت الأصوات بإسبانيا بضرورة إيقاف هذه الحركة الاستعمارية، هذه الأخيرة التي أعطت مبرراتها بأن الوجود الأوروبي في المغرب لا بد منه، نظرا لما يعرفه من فوضى وانعدام الاستقرار.

تطورت حدة الانتقادات التي طالت السياسة الاستعمارية الإسبانية بشمال المغرب، بعد فشلها في احتلال مدينة شفشاون لعدة سنوات بعد احتلال مدينة تطوان التي لا تبعد عنها سوى بضع كيلومترات، مما أرخى بظلاله على صورة إسبانيا أمام القوى الإمبريالية، وطال انتظار الرأي العام في تسوية الحكومة الإسبانية لوضعيتها في شمال المغرب، أمام غياب ساسة ممنهجة قادرة على تحقيق ذلك، وهو ما أشارت إليه الصحيفة

---

138) Serra ortza, **recuerdos de la guerra del kert 1911-1912,** barcelona, 1914**, p.31**

الاسبانية el adelante بالقول: "**إن المشكل المطروح هو أن الوجود الإسباني بالمغرب عشوائي ولم تكن له خطة تذكر**"(139)، فالحصول على شمال المغرب لم يكن ثمرة العمل السياسي والدبلوماسي الإسباني بقدر ما كان نتيجة الإتفاق البريطاني-الفرنسي والذي نص على ضرورة منح الضفة الجنوبية لجبل طارق لدولة محايدة وضعيفة نسبيا.

واجهت السياسة الاستعمارية الإسبانية مشكل آخر تمثل في نقص الموارد الاقتصادية للبلاد(140)، فضلا عن عدم الانسجام بين رجال المال والسياسة بخصوص المسألة المغربية، حيث كانت الحكومات الإسبانية تجد صعوبة في إقناع رجال الأعمال بجدوى وأهمية استعمار المغرب.

وقد اجتمعت هذه الأسباب وغيرها لتفرز حركة استعمارية فارغة في مضمونها، ولم يكن التوجه السياسي الإسباني في منطقة الحماية بشمال المغرب يعرف أية استمرارية ما بين مرحلة وأخرى، فبتعداد المقيمين العامين تتعدد السياسات المتبعة في منطقة الحماية الإسبانية، وهي بذلك لا تخضع لبرنامج محدد الأهداف، وهذا ما جعل كل مرحلة تلغي مكاسب المرحلة التي سبقتها.

لقد كان هاجس إسبانيا هو إبراز ضعف الدولة المغربية، كونها غير قادرة على تجاوز التشرذم السياسي والفوضى وذلك راجع حسب رأي العقيد Ortz Serra " **إلى فشل المخزن المغربي في ممارسة سلطته بالشكل الذي يضمن حركة وسلامة أراضيه**"(141)، كما أن الصورة الاستعمارية ركزت على تضخيم دور إسبانيا باعتبارها حاملا لقيم الحضارة والتمدن(142). فكان لا بد لإسبانيا في خضم المفاوضات التي جمعتها بفرنسا أن تستمر في مواصلة اهتمامها بالقضية المغربية، حفاظا على مكانتها الدولية، متناسية المشاكل الداخلية التي تعيشها البلاد، فلم تستطع العدول عن قرارها في استكمال

---

[139]) Alfredo Rivera: "Nuestras conferencias telefónicas", **El Adelanto**, nº 12.073, 4 de octubre de 1923, p. 5

[140]) Bachoud,A, **los españoles ante las campañas de marruecos** , espasa, madrid, 1988 p.99

[141]) Bachoud,A, **los españoles ante las campañas,** op cit, p. 150

[142]) Ibidem

احتلال أراضي منطقة نفوذها، نظرا لتزايد الضغوط الفرنسية خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى حول ضرورة استكمال مشروعها الاستعماري، و الخوف من انعكاسات الحركة التي كان يتزعمها الريسوني على منطقتها. فلم تجد الحكومة الإسبانية بديلا لها سوى مواصلة احتلالها للمنطقة، فتم تعيين الجنرال بيرينكيرBerenguer([143]) كخلف لخوردانا الذي فهم بأن المشكل القائم بالمنطقة يتمثل في غياب سياسة أهلية(144) قادرة على تخطي هذه المعيقات، وقد اشترط لتولي هذه المهمة أن يقدم له جل الوسائل الكافية لإنجاز وإنجاح مهمته، وما إن وصل إلى مدينة تطوان في فاتح فبراير 1919 حيث تولى مهامه كمفوض سامي(145)، حتى بدأ بتطبيق سياسته الجديدة اعتمادا على النقط التالية:

سعى بيرينكير إلى وضع مخطط عسكري مبدأه الأساسي: "هو تطبيق الحماية من دون إراقة دماء لتسهيل سياستة"، وبناء على ذلك أعدت مفوضية العمل لعسكري دراسة اعتنت بالتجربة الفرنسية في الجزائر والمغرب، والحملات التي قام بها قيادها، وخاصة المقيم العام ليوطي، فكشف بيرينكير عن رغبته في تطبيق نظريته القائمة "على ضرورة التوغل في العمق لضمان الأمن"، فكان من اللازم عليه الاتفاق مع السلطة المحلية، عبر نهج سياسة أهلية تقضي بضرورة إشراك المخزن في جل الخطوات التي تم اتباعها(146)، إضافة إلى ضرورة فهم طبيعة المقاومة المغربية وطريقتها في القتال، وسيرا على خطى المارشال ليوطي فقد سعى المفوض السامي جاهدا إلى استخدام سياسة فرق تسد بين القبائل، وخلق الفتن فيما بينها لمواجهة بعضها البعض، ولتحقيق ذلك قدم الرشاوي وعرض المناصب داخل المخزن وتكوين صداقات مع القبائل، و ليتجنب الصراع معها

---

[143]) كانت له دراية واسعة بمجال الحرب بحكم تخصصه الدراسي، ليتم تطبيقها في الحروب الاستعمارية، وقد شغل منصب وزير الحرب سنة 1918 قبل تعيينه كمفوض سامي

[144]) Sin autor, **"**el general berenguer", **la vanguardia,** 1 de febrero 1919, pp. 11-12

[145]) Vivero.a. derrunbaniento, **la verdad sobre el desastre del rif**, caro raggio editor, madrid, 1922, pp.41-42

[146]) Sin autor, "el general berenguer", op cit, pp 11-12

أكد بيرينكير على ضرورة احترام العادات والتقاليد الإسلامية، حتى لا يجد الريسوني وغيره دريعة للتدخل والقتال(147).

وفي إطار الخطة العامة التي رسمها بيرينكير والرامية إلى الاستعانة بالقياد الكبار والحصول على دعم زعيم محلي له سلطة في المنطقة، وقع الاختيار على أحمد الريسوني لكسب تحالفه وفتح الطريق أمام الجيش الإسباني لاحتلال مدينة شفشاون سلميا مقابل تعيينه في منصب الخليفة([148])، وأول ما قام به بيرينكر هو الالتقاء بالريسوني بعد الرسالة التي وجهها هذا الأخير إلى العقيد خوردانا بتاريخ 22 فبراير 1919(149)، يشتكي فيها سوء المعاملة التي تعرفها المنطقة المحتلة من قبل الضباط والقوات الاسبانية، وبناء على ذلك التقى الطرفان للتفاوض حول اعتراف الريسوني بسلطة الخليفة كممثل للسلطان، لكن الريسوني كان يتمتع بسلطة مستقلة بصفته قائدا محليا على جبالة، فجاء رد فعله منافيا لما طمح إليه المفوض السامي، حيث التجأ قائد جبالة إلى تحريض قبائل المنطقة وأعلن تمرده ضد السلطة الإسبانية، وهو ما زاد من الصعوبة التي واجهها بيرينكير، لأنه شكل حاجزا بينه وبين الوصول إلى احتلال منطقتي جبالة وغمارة ومن ضمنها مدينة شفشاون التي ظلت تشكل عائقا أمام تقدم القوات الاسبانية لاستكمال احتلال جل مناطق حمايتها.

وأهم خصوصية طبعت العمل العسكري لبيرينكر Berenguer في احتلال الشاون تمثلت فيما يلي:

---

147) Berenguer Damaso, **compañas en el rif y yebala 1919-1922**, Ed. sucesores de R. velasco, madrid, 1923 p. 132

148) أحمد البوعياشي، **حرب الريف التحريرية ومراحل النضال**، الجزء الثاني، مطبعة أمل، طنجة، 1975، ص 29

149) Texto en berenguer, **compañas en el rif y yebala 1919-1920**, tomo 1, madrid, 1948, pp 55-64

- لم تقم قوات الاحتلال بالهجوم على المدينة من واجهة واحدة، وإنما انطلقت من وجهات مختلفة في آن واحد بعد تحديد مكان الالتقاء من قبل القيادة العسكرية الإسبانية ويستهدف من ذلك تشتيت وإفشال أي رد فعل للقبائل ضد قوات الاحتلال حتى يسهل إخضاعها(150)، وعملت القوى العسكرية بناء على مخطط بيرينيكر Berenguer على تشطيب جل المناطق القريبة من تطوان قبل التقدم نحو مدينة شفشاون(151).
- إزاحة عقبة رباط دار ابن قريش الذي شكل لوقت طويل عائقا أمام تقدم القوات الإسبانية نحو احتلال شفشاون، ولشراسة المقاومة التي كان يقودها أحمد الريسوني، التجأ بيرينكير في سياق إستراتيجيته الجديدة إلى استعمال القنابل الحارقة لقصف التجمعات السكانية والجهادية يصل وزنها مائتي كيلوغراما(152)، والقصف الجوي المكثف لتسهيل عملية احتلال دار بن قريش(153). وتدمير وإحراق ممتلكات المقاومين، وهذا ما أبرزه بيرينكر Berenguer نفسه في رسالة إلى وزير دفاع بلاده بالقول: " أتشرف أن ألح عليكم بأنه من الضروري أن نتوفر على قنابل محرقة من أجل إحراق الغلل وتحطيم المداشر الثائرة، لأنني أعد هذا النوع من التأديب ذا مفعول قوي للضغط

---

[150]) De Herrera C. hernández y Figueras T. Garcia, op cit, pp 283-284

[151]) Alarcón CABALLERA A." la penetración el protectorado español en Marruecos (1911-1912): de la guerra del Kert a la toma de xauen", **cauderno tabor** N 21, junio 2012, p 27

[152]) Davids Woolman, op cit, p 169

[153]) محمد ابن عزوز حكيم، **معركة تازروت**، نشر النجاح هشام، ط ب، تطوان، 2004، ص 108

على القبائل التي يؤثر عليها عملنا السياسي، وحتى لا نكون مضطرين إلى استعمال قواتنا واستنزافها"(154)

- أكد بيرينكر Berenguer على ضرورة التعاون الفرنسي الاسباني، والتنسيق بين قوى الطرفين في احتلال مدينتي وزان وشفشاون في الآن نفسه، الأمر الذي حال دون حدوث أي مجابهة بين مختلف قبائل المنطقة من الجهتين معا(155).
- لقد نوهت مختلف الكتابات بالدور الكبير الذي لعبه بيرينكر في مخططه العسكري، وكذا الأهمية الكبيرة التي أولاها في اختياره للقادة والجنرالات الذين كانت لهم خبرة في مجال الحرب، وسهروا على تنفيذه في مختلف جهات المنطقة أمثال فاييخو Vallejo و كاسترو خيرانا Castro Girona هذا الأخير الذي اعتبره البعض أنه الفاعل الرئيسي الذي تمت على يده عملية احتلال مدينة شفشاون([156]).

إذا يتضح إذا مما سبق أن السياسة الإسبانية الجديدة التي تنوي طبقها عبر مفوضها السامي بيرينكير اعتمدت على اجتذاب رؤساء وكبار القبائل، وقد حاولت إسبانيا أخيرا استثمار هذا المعطى وتسهيل مهمتها والحفاظ على مكتسباتها، فكان لا بد لها من بسط نفوذها باسم المخزن، والتقرب من الشخصيات التي تحظى بنفوذ كوسيلة لتفرقة ووضع المقاومين في خانة ضيقة يسهل القضاء عليها.

---

[154]) محمد حكيم ابن عزوز، **بطل جبالة ولد احميدو السكان**، مطبعة الساحل، الرباط، 1990، ص 50

[155]) Figueras Tomas Garcia, **Marruecos la acción de españa**, op cit, p 174

[156]) Tuñón De Lara Manuel, **la España del siglo XX**, Ed Akal, 2000, Vol 1, p 134

لكن هل نجحت إسبانيا في تحقيق هذا النهج الفرنسي، علما بأن الجيش الإسباني افتقر إلى ميزانية التموين الضرورية، إضافة إلى كونه يعتبر تقليديا في تشكيلاته، ولا يمكنه التكيف مع هذه الطريقة أو الوسيلة السياسية الجديدة؟

2. الوسائل والآليات الحربية

طوال الفترة التي استغرقها بيرينكير Berenguer في تقدمه نحو احتلال منطقة جبالة، وهو يتفنن في إحداث تنظيمات عسكرية من جوانب مختلفة، حيث سعى إلى تعبئة كل ما يتوفر عليه من وسائل لكسب المعارك التي خاضها ومن ضمنها الوسائل البشرية، وذلك عبر دراسة الهيأة العسكرية التي هو بحاجة إليها للاستمرار في المغرب باعتبارها ركيزة أساسية في الاحتلال العسكري الإسباني بالمغرب، وليتلاءم والنموذج الفرنسي المعتمد عليه، إضافة إلى مختلف العناصر التي يجب أن تكون مع مراعاة الوسائل الدفاعية المتاحة والعناصر القابلة للاستخدام في البلاد مع نهج استراتيجية وكيفية تطبيق مواد هذه الفكرة على أرض الواقع([157]). وعلى الرغم من عدم توفر معلومات كافية في هذا الصدد غير أنه يمكن إعطاء فكرة تقريبية عن تلك الإمكانيات والوسائل التي استخدمت من طرف قوات الاحتلال، والمتمثلة في عنصرين رئيسيين، أولهما يتعلق بالإمكانيات والمعدات الحربية التي تمت تعبئتها لاحتلال المدينة، وثانيهما في القوات التي جندت خلال هذه المرحلة. ولقد أكد الجنرال بيرينكير أن وضع استراتيجية عسكرية متناسقة لن تتم إلا عبر دراسة كيفية إنشاء الجيوش وتنظيمها، ولتطبيق هذا المعطى ارتأى ضرورة دراسة الخطوات التالية:

---

[157]) Manuel del Nido y Torres , **misión politica y táctica de las fuerzas indigenes en nuestra zona de pentración al norte de marruecos**, cooperación táctica de las tropas europas con las ante dichas, en un ajército colonial probable, ceuta, imprenta del rogimiesto serrallo, 1921, p.127

- نوعية الحرب التي تنوي تطبيقها في المغرب، بواسطة المناورات المتعددة وحرب العصابات
- إحداث فرق عسكرية من أراضي المحمية
- ضرورة الاعتماد على الجيش الاستعماري، ودراسة طريقة تجنيده وتنظيمه
- الزحف ليلا
- يجب على قوات الريجولاريس أن تكون في الطليعة
- ضرورة تكوين هيئات كاللفيف الأجنبي، الحرس المدني، والمحلة الشريفية(158)
- ابتكار أشكال جديدة في القتال مع الأخذ بعين الاعتبار استخدام الأسلحة الحديثة على الرغم من قلتها، مؤكدا على ضرورة اتباع المعايير التالية:

- الاستخدام الكثيف للأسلحة الأوتوماتيكية على خط الواجهة.

- توسيع نطاق انتشار المشاة.

- ضرورة تغطية مختلف جهات المنطقة بالمدفعية لكونها من أهم الوسائل التي ستساهم بشكل كبير في عملية الاحتلال، إضافة إلى كونها ستقلل من استهلاك المزيد من الذخيرة لأنها تطلق على مسافات بعيدة مما يفتح الطريق أمام أعمدة المشاة.

- استخدام الطيران كوسيلة للمراقبة والهجوم وتحديد مواقع المقاومة، وقد كان الطيارون الإسبان بقيادة الجنرال إتشيكي Echiqi يتدخلون في

158) Manuel del Nido y TORRES, **mission politica y tactica de las fuerzas indigenes en nuestra zona de pentracion al norte de marruecos**,op cit , p.241

العمليات العسكرية بتنسيق مع المشاة، إضافة إلى أنهم كانوا يأخذون الصور والرسوم الطبوغرافية للمناطق الجبلية(159).

وتبعا لتعليمات الجنرال بيرينكير Berenguer تركزت معظم القوى الاسبانية للعمل في المنطقة الغربية وتشكلت من سبعة آلاف جندي بقيادة القائد العام لسبتة ألفاريز ديل مانزانو، وهي من أهم القوى التي اعتمدت عليها اسبانيا في الاحتلال:

أ- **قوات الريجولاريس**

التجأت إذا إسبانيا إلى اعتماد نموذج جديد في تجنيد الجيش الاستعماري، يعتمد بالأساس على السكان الأصليين، ويعتبر الجيش النظامي من أهم القوى التي أنشأت خلال هذه المرحلة، والدافع من تأسيسها يأخذ بعدين اثنين: أولهما تجنب وقوع خسائر بشرية في صفوف الإسبانيين، لتفادي الانتقادات والاحتجاجات المستمرة من قبل الرأي العام الذي كان يرفض مشاركة قواته في منطقة الحماية، وثانيهما: يتجلى في كون مثل هذه القوات تستطيع التكيف مع تضاريس المنطقة، ولها دراية شاملة في كيفية التعامل مع بيئتها(160).

وقد انبثقت قوات الريجولاريس من فرقة رماة الريف Tiradores dil Rif التي تم إنشاؤها في مليلية سنة 1887، حيث التجأ الإسبان إلى استخدام المغاربة كجنود ومرشدين لهم خلال عمليات احتلال أراضي المغرب.

تأسست أول فرقة من الريجولاريس على يد الجنرال بيرينكير Berenguer في يونيو من سنة 1911، بعدما تبين له مدى أهمية تجنيد المغاربة كمساعدين لاستكمال احتلال المنطقة باعتبارهم عناصر لا يستهان بها في العمليات العسكرية، وهو ما عبر

---

159) EL genarl AYMAT, " la aviacion militar en marruecos", en **Africa**, N: 100, avril, 1950, p. 29

160) Juan Jesus Martin Cabrera, " la fuerzas de regulares, 100 anos de historia, presente y futuro", **documento opunion**, 30 marzo, de 2012, p.3

عنه الضابط نيدو طوريس NIDO TORRES حيث قال: "**إن هذه القوات ضرورية ومفيدة لا أحد يمكن أن ينكر أهميتها في الحروب غير النظامية، وإلى جانب ذلك ستقدم لنا خدمتها كدليل لمعرفتها بالاقليم، واللغة، إضافة إلى معرفتها بالمقاومبن من مواطنيها، ويمكن أن تستخدم ضدهم، واستخدام نفس الوسائل والموارد الخاصة بالشعوب الأصلية**"(161). ومن ثمة أصبحت فرق الريجولاريس تشكل قوة حقيقية ضمن المؤسسة العسكرية الإسبانية، وهو ما يؤكد أن الإدارة الاستعمارية الإسبانية جندت كل إمكانياتها وطاقتها العسكرية من أجل مبدأ أساسي وهو الاقتصاد في مواردها البشرية، وقد أبانت فرق الريجولاريس عن قدراتها القتالية وعن دورها الاستراتيجي في إنجاح عملية احتلال منطقة شفشاون، وقد كان لهذا النجاح صدى كبيرا في أوساط الفاعلين العسكريين الذين شددوا على الدور الإيجابي لهذه الفرق، وكان من شأن هذا الاهتمام أن تم الرفع من عددها (162).

ب-**الفيلق الأجنبي أو فرق التيرسيو tercio**

لقد أنشأت فرق التيرسي انطلاقا من فكرة القائد خوسي ميلان أسطراي millan astray، خلال سنة 1919 التي لقيت دعما من قبل السلطات الإدارية الاستعمارية، وبذلك تم تجنيد المتطوعين في شتنبر من سنة 1920 ، فكانت غالبية أعضائه إسبانيين، وقد أنشأ أول علم منه بقيادة الجنرال فرانكو Franco. لقد كانت لأسطراي Astray قدرة كبيرة في الإقناع فأحدث انضباطا داخل الفيلق انطلاقا من العقوبات الصارمة التي

---

161) Manuel del Nido y TORRES, op cit, p.11

162) Andrés Cassinello Pérez, " el ejército espanol en marruecos organiesto, mandos, tropas, y técnica militar andrés cassinello pérez", **El Protectorado español en Marruecos: la historia trascendida**, Edición y coordinación de Manuel Gahete Jurado Colabora Fatiha Benlabbah, pp 271-298

فرضت على أعضائه، كما كانت لهذه الفرق ضوابط خاصة تتعلق بشكل التحية والاحتفالات. ووفقا لذلك تم تنظيم الفيلق عبر ثلاث أعلام: كل علم يتكون من فرقتين من الرماة، وأخرى من المدافع، ثم الدبابات، وقد استطاع ميلان النجاح في خلق فيلق له هوية مشتركة(163)

وانطلاقا من الاستراتيجية التي تبناها بيرينكر ومن هذه الفرق العسكرية، تم الدخول بشكل رسمي إلى الشاون يوم الرابع عشر من أكتوبر عند الساعة الثالثة بعد الزوال، من قبل المقيم العام على رأس جيوشه مرفوقا بالجنرالات: مانزانو باريرا Barerra Manzano ، البارون دفاللوس Baron Davalillos ولجنة من قوات تطوان وممثلي الصحافة([164]) حتى تعطي لهذا الاحتلال الطابع السلمي. وقد لقيت القوات الإسبانية استقبالا لا يوصف من قبل الساكنة حسب ما ذكرته الكتابات الإسبانية، فتم رفع العلم الإسباني رسميا في القصبة([165]).

وقد أضفت العديد من الكتابات على هذا الاحتلال الطابع الحضاري، حيث شكل دخول القوات الإسبانية للشاون بمثابة "**تحرير حقيقي للسكان الأصليين الذين عانوا من تمردات القبائل المجاورة..وبفوز إسبانيا سوف تبدأ لأول مرة في ممارسة عملها وتأثيرها الحضاري وتحقيق النظام في المدينة، التي عاشت منذ تأسيسها في فوضى دون أن تعترف فعليا بقوة السلاطين**"([166]). وقد تمت تغطية حدث احتلال الشاون من قبل العديد من الصحف الإسبانية كجريدة ABC(167) وجريدة La Correspondencia(168)

---

[163]) Franco Francisco, balamonde, op cit, p. 43

[164]) "la entrada de nuestra tropas en chefchauen", **la voz**, 15-10-1920

[165]) "la entrada de nuestra tropas en chefchauen", **la voz**, 15-10-1920

[166]) De Herrera C. hernández y Figueras T. Garcia, op cit, p 284

[167]) " ABC en la zona occidental", **ABC**, 28 de enero de 2014

[168]**) La Correspondencia de España**, 20 de octubre de 1920

de España و la vanguardia(169) إضافة إلى La época([170]) وغيرها من الصحف لما كانت تمثله هذه المدينة من أهمية في أوساط المهتمين لكونها ظلت تشكل عائقا أمام القوى الاستعمارية في التقدم نحو أعماق غمارة، وبالتالي تشتيت وحدة المقاومة الريفية. وقد اعتبر احتلال الشاون بمثابة انتصار فعلي يفوق الإنجازات التي حققها الإسبان طوال وجودهم بالمنطقة الشمالية، ومن مظاهر احتفال الإسبان باحتلال المدينة أطلق على سنة 1920 بسنة شفشاون([171])، كما اعتبرت مجلة Africa في مقال لها بأن هذا الفتح قد أعطى طعما خاصا للقرن العشرين، وشبهت هذا الإنجاز "**بالفتوحات البطولية التي تم إنجازها في القرن السادس عشر**"([172]). وقد بعث الجنرال بيرينكير برقية بمناسبة احتلال الشاون إلى ملك إسبانيا جاء فيها: "**سيدي جيش إفريقيا يتشرف ويفخر بتقدمه لمدينة شفشاون ومجرد الفوز هو بمثابة تحية لملكنا وشاهد على نتائج عملنا**"([173]). واعترافا لبيرينكير بهذا النصر تقرر منحه لقب "كونت شفشاون" Conde de chefchauen من قبل الملك، كما بعث هذا الأخير ببرقية بدوره جاء فيها: "**نيابة عن إسبانيا كلها أهنئ جيش إفريقيا الذي هو ثمرة لعملكم، وخدمة لبلدكم ولملككم ألفونسوا Alfonso** "([174]).

إن أهم استنتاج نخلص إليه من خلال ما تقدم من حيثيات احتلال مدينة شفشاون، كون الخطط والترسانة المجهزة التي وجهتها المؤسسة العسكرية الإسبانية لغزو شفشاون، تدل على مدى قوة وصلابة المقاومة الجبلية التي فرضت نفسها في ميادين القتال،

---

[169])" la ocupation de xauen", **La Vanguardia**, 26 de octubre de 1920

[170]) "xexauen", **La Época**, 15 de octubre de 1920

[171]) الهبطي، م س، ص 61

[172]) " el 14 de octubre 1920", **africa**, 1-10-1926

[173]) TEXTO EN De Herrera C. hernández y Figueras T. Garcia, op cit, P186

[174]) Ibidem

واستطاعت أن تغير من استراتيجيات القادة العسكريين، وعلى إثر ذلك اضطرت الإدارة الإسبانية إلى رفع شعار الإصلاح كأداة للتدخل الاستعماري لاستمالة الفئات الاجتماعية، وتسخيرها لخدمة المستعمر الإسباني بالدرجة الأولى.

الفصل الثالث

التحولات الاقتصادية لمنطقة شفشاون على عهد الحماية

لقد كان لمواطن الضعف والنقائص التي تعتري النظام الاستعماري الإسباني من النواحي الهيكلية، بالإضافة إلى فقر المنطقة الشمالية، انعكاسات سلبية على مدينة شفشاون، وهذا لا يمنع أن المدينة شهدت كغيرها من مدن المنطقة الخليفية تحولات في مختلف القطاعات الاقتصادية، وإن لم يكن لهذه التحولات من أهمية مقارنة بتلك التي أحدثتها إسبانيا في مدينة تطوان.

I. طبيعة استغلال الأ راضي الفلاحية

1. فلاحة يطغى عليها النظام التقليدي

تجدر الإشارة بداية إلى أن الظروف والتقلبات السياسية التي شهدتها المنطقة الخليفية وعلى رأسها مدينة شفشاون كانت لها تأثيرات على النشاط الفلاحي، حيث لم يسجل في المصادر سوى مبادرات ضعيفة قامت بها السلطات الاستعمارية للنهوض بهذا القطاع نظرا لاهتمامها المتزايد بالطابع العسكري على حساب باقي الميادين.

لم تتميز منطقة شفشاون زراعيا عن باقي مناطق الجهة، وذلك راجع لعاملين أساسيين، أولهما يرتبط بالمجال الطبيعي حيث يغلب الطابع التضاريسي الجبلي. أما العامل الثاني فهو تقني نظرا لاعتماد طرق ووسائل جد بدائية وتقليدية في الزراعة(175)، مما أثر على الإنتاج الزراعي ومردوديته.

---

[175]) " xauen nuestra visita a la junta municipal de servicios-obras realizadas y proyectos a ejecutas", **Blanco y negro** (madrid), 23/04/1933, p 183

وقد فضل المزارع الشاوني لمجابهة تحديات قلة السهول ونذرتها، مزاولة نشاطه الفلاحي في الأماكن القريبة من الأودية، لذلك عرفت المنطقة أراضي مسقية اعتمادا على نظام الري لوفرة مياه العيون (176)، ولا ننسى كذلك المكان المعروف باسم راس الما باعتباره المنبع الرئيس لكل الثروات المائية الموجودة بالمنطقة، حيث ينتج ما يقارب 1000 لتر من المياه في الثانية(177).

ولاستغلال معطى وفرة المياه عمدت السلطات الاستعمارية في التفكير على إعادة هيكلة القطاع الفلاحي عبر اتخاذ مجموعة من التدابير والإجراءات التي غيرت نسبيا من وضع الفلاحة، لكونها تجاوزت إصلاح الأراضي إلى إقامة مناطق استغلال زراعية، عن طريق الدفع بالفلاحين إلى استغلال جل أراضيهم، وتبني الأساليب الحديثة، وقد صدر في هذا الشأن مرسوم وزاري بتاريخ 25 مارس 1927، يحث على ضرورة إنشاء مراكز لتدريس العمل التقني الزراعي وكيفية التعامل مع الأراضي الفلاحية، عبر اختيار البذور والآلات الزراعية الحديثة، وحتى يكون للمزارع الشفشاوني معرفة لازمة بمتطلبات الأرض والإنتاج(178).

2. سيادة الزراعات المعاشية التقليدية

إن مختلف الإحصائيات التي قدمتها المقيمية العامة الإسبانية خلال فترة الحماية، تساعدنا على فهم أن نطاق الاستغلال الفلاحي بالمنطقة ينحصر بشكل كبير في زراعة الحبوب، ويفسر" ذلك أن هذه الزراعات تتماشى مع مختلف البنيات والأدوات التقليدية المستعملة في إنتاج المحصولات بالمنطقة، وتعتبر زراعة القمح والشعير والذرة من أكثر

176) Guizan Alfonso, "xauen la santa", op cit, pp 46-47

177) Otero Rotundo santiago (1930),**en el corazóndel rif**, impresiones de viaje efectuado en a la zona del protectorado español y plazas coberanía en marruecos, cueta, revista África, p 106

178) PEREZ tomas, **la economia marroqui**, bosh casa editorial, barcelona, p 172

المنتجات التي عرفت ارتفاعا من حيث المساحة المزروعة، لمقاومتها الظروف المناخية القاسية.

الجدول رقم 2: مساحة أصناف المزروعات خلال الموسم الفلاحي 1935-1936

الأصناف	المساحة الزروعة بالهكتار	الإنتاج (بالقنطار)
القمح	85,5750	104,68
الشعير	31,8750	36,37
الذرة	13,1240	26,09

الجدول رقم 3 : الموسم الفلاحي 1936-1937

الأصناف	المساحة المزرووعة بالهكتار	الانتاج (بالقنطار)
القمح	86, 80	104,16
الشعير	45,25	51,88
الذرة	9,3750	13,50
الفول	4,25	3,17

الجدول رقم 4: الموسم الفلاحي 1937-1938

الأصناف	المساحة المزروعة بالهكتار	الانتاج (بالقنطار)
القمح	118,75	1,425
الشعير	46,1250	415,12
الذرة	-	877,50
الفول	25,75	231,75
الحمص	-	25,37

المصدر:

A.C.E.M, delegación de Asuntos indígenas Datos esta disticos de la superficie ultivada produción agúcola obtenida y artabolado correspondiente a los años 1935-36-37y 1938

الجدول 5 رقم: مساحة أصناف الزراعات خلال الموسم الزراعي 1945-1946

الاصناف	مساحة الاراضي المزروعة	الإنتاج
القمح	97,062	1,067
الشعير	43,812	916
الذرة	79,062	948
الفول	8,500	80
الحمص	1,000	9

المصدر: Datos estadisticos del territorio de chauen, opcit, p 20

فمن خلال الجدول 1 و2 يلاحظ سيادة القمح وبكيفية مثيرة للانتباه إذ مثل لوحده 70% من مجموع المساحة المزروعة خلال الموسم الفلاحي 1935-1936، واحتل سنة 1936-1937 نفس النسبة، ويأتي الشعير في المرتبة الثانية ب5% من المساحة الفلاحية الإجمالية، وخلال سنوات 1937-1938 سيعرف القمح تراجعا حسب معطيات الجدول 4 فائدة الذرة التي احتلت المرتبة الأولى ثم الشعير. وسادت زراعة القمح انطلاقا من الجدول رقم 5 حيث مثل لوحده 23% من المساحة المزروعة للموسم الفلاحي 1945-

1946 التي تبلغ 229,936 هكتار(179)، وتأتي الذرة في المرتبة الثانية بنسبة % 20 تقريبا من مجموع المساحة المزروعة، ثم الشعير بنسبة 10%.

غير أن كميات الإنتاج التي توفرها هذه الإحصائيات غير واضحة، ويشوبها نوع من الشك، فالكميات المنتجة لبعض المواد غير دقيقة، فمثلا كيف يعقل أن إنتاج القمح بلغ فقط إلى ما يقارب قنطارين (1,425) خلال سنوات الموسم الفلاحي لسنتي 1937-1938، نفس الشئ بالنسبة لمعطيات الجدول رقم 5 (1,067)، رغم أن هذا الصنف يعتبر إلى جانب الشعير من الأصناف الزراعية الرئيسية، وعلما أن مساحة الأراضي المخصصة لزراعة القمح تفوق بكثير المساحة الفلاحية الإجمالية لباقي الأصناف الأخرى، وهو ما يجعل هذه الأرقام بعيدة عن الحقيقة.

جدول رقم 6 : إنتاج الخضر خلال المواسم الفلاحية (1935-1936-1937-1938)

الموسم الفلاحي	المساحة المزروعة بالهكتار	الإنتاج بالطن
1936-1935	0,375	0,03
1938-1937	102,50	71,89

المصدر: A.C.E.M, delegación de Asuntos indígenas Datos esta disticos de la superficie ultivada produción agúcola obtenida y artabolado correspondiente a los años 1935-36-37y 1938

أما فيما يتعلق بالخضر فقد سبق وذكر موليبراس Mouliéras بأن ضاحية المدينة اشتهرت أساسا بزرع الفلفل والبصل والثوم واللفت والبطاطس والكرنب والجزر(180)، غير أنها ضعيفة نسبيا من حيث المساحة المزروعة خلال المرحلة الاستعمارية التي لم

[179]) Datos estadisticos del territorio de chauen 1946, op cit, p 13
[180]) Moulieras, op cit, pp 308-309

تتجاوز 0,37 هكتار في حين بلغ منتوجها السنوي 0,03 طن وهي نسب ضعيفة، لكن هذا النقص كانت تغطيه لا محالة القبائل التابعة لإقليم الشاون، وقد سجل الموسم الفلاحي 1936-1937 بالناحية الغمارية 2184,38 طن فقط([181]).

3. وضعية التشجير بالمنطقة خلال الحماية:

لقد أشارت العديد من الدراسات إلى الثروة الطبيعية التي تزخر بها منطقة شفشاون في كثرة البساتين، وتوفر منتج هائل من الفواكه والزيتون، ويرجع الفضل في ذلك إلى الجالية الأندلسية، إذ لعبت دورا هاما بعملية تشجير المنطقة وباديتها نظرا لخصوبة أراضيها، مستخدمين تقنيات متقدمة "كتذكير التين، وتلقيح الأشجار، وطرق تحلية الكروم، وطرد الطفيليات والدود من أشجار الزيتون"(182). وقد لفت انتباه الإسبان هذا التنوع فسعوا إلى استقطاب خبراء تقنيين في مجال الفلاحة لدراسة وضعية الغراسة بالمنطقة، وتعليم الساكنة وتلقينهم كيفية الاهتمام بأشجارهم ورعايتها(183)، وقد نشطت بالفعل المنطقة في هذا المجال تبعا لإحصائيات المقيمية العامة المتعلقة بأنواع الأشجار المثمرة وعددها خلال فترات متباينة من الوجود الإسباني بالمنطقة.

جدول 7: إحصائية أشجار المنطقة خلال المواسم الفلاحية (1936-1937-1938-1945-1946)

الصنف / السنة	الخوخ	المشماش	الزيتون	البرقوق	التين	السفرجل	الكرم	الرمان	البرتقال

[181]) A.C.E.M, delegación de Asuntos indígenas Datos esta disticos de la superficie ultivada produción agúcola obtenida y artabolado correspondiente a los años 1935-36-37y 1938

[182]) القاضي محمد " مظاهر الحظارة الأندلسية في شفشاون"، **مجلة التاريخ العربي**، عدد 58، 1432ه/2011م، صص 123-124

[183]) " xauen nuestra visita a la junta municipal de servicios-obras realizadas y proyectos, op cit, p 183

-	196	133	-	1123	146	1604	28	251	1936
65	176	169	49	791	116	1214	8	2	1937
105	290	1830	114	1245	210	1547	24	8	1938
7	-	1566	179	1047	332	1333	40	31	46-1945

المصدر :

- Datos estadisticos del territorio de chauen 1946, op cit, p 21
- Datos esta disticos de la superficie ultivada produción agúcola obtenida op cit

مبيان رقم 1: أعداد الأشجار بمنطقة شفشاون بالوحدة (1936-1946)

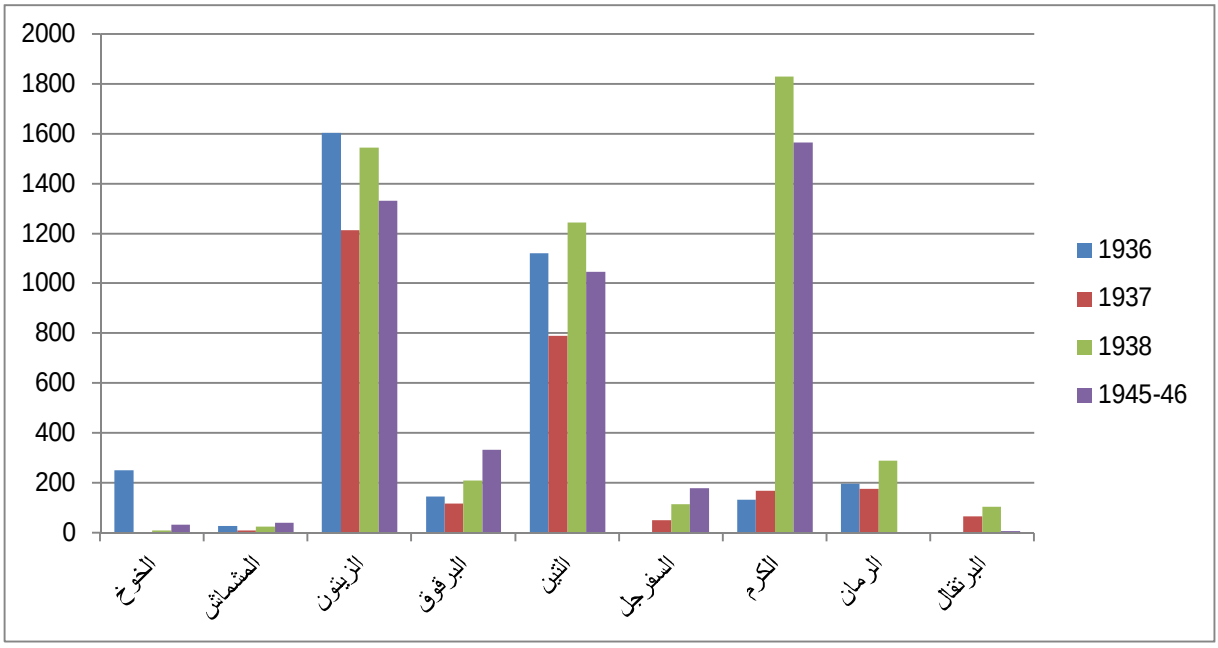

المصدر:

- Datos estadisticos del territorio de chauen 1946, op cit, p 21

إن إحصائيات الأرشيف الإسباني خلال فترة الحماية، تمدنا بمجموعة من الأرقام لعدد وأنواع الأشجار المثمرة خلال سنوات متقاربة من الوجود الإسباني بالمنطقة. هذه الإحصائيات وجب التعامل معها بنوع من الحذر لأن الاعتماد الكلي عليها غير كاف لإعطاء نظرة مفصلة ودقيقة لنشاط الغراسة خلال المرحلة المدروسة، ومرد ذلك لكون

بعض الأرقام يصعب قبولها واستعمالها بشكل عفوي دون الوقوف عندها وتحليل محتواها.

فمعطيات الجدول رقم 7 والمبيان أعلاه يصعب قبولها بسهولة نظرا لكونها بعيدة عن الحقيقة، فكيف يمكن التسليم بوجود شجرتين فقط خلال الموسم الفلاحي لسنة 1937 من الخوخ بعدما كان عددها يبلغ سنة 1936 251 شجرة، نفس الملاحظة تهم غراسة البرتقال حيث أن عدد الأشجار لم يتعد 7 وحدات خلال المسوم الفلاحي 1945-1946 بعدما كان عددها يصل 105 وحدة خلال الموسم الفلاحي لسنة 1938، وتهم كذلك غراسة الرمان التي كانت غائبة خلال هذه الفترة. فهذه الأرقام بعيدة كل البعد عن الحقيقة، ولا يمكن الاعتماد عليها لتحليل الوضعية الفلاحية بالمنطقة بصفة عامة أو وضعية التشجير بصفة خاصة، لكن رغم نقصها فإنها تبقى مفيدة لكونها تمدنا بمعلومات عامة حول مختلف هذه الأنشطة.

إلا أن الملاحظة التي تثير الانتباه عند الحديث عن وضعية الغراسة هو الارتفاع الملموس في عدد أشجار وشجيرات الموسم الفلاحي لسنة 1938 إلى 5578 وحدة، مع تسجيل لانخفاض ملموس قبل هذه السنة الذي سجل فقط 2682 وحدة ([184])، في حين بلغت نسبة التشجير خلال الموسم الفلاحي لسنتي 1945-1946 ل 5126 شجرة([185]) حيث سجل انخفاض طفيف في النسب المسجلة من قبل، ومرد ذلك إلى فترات الجفاف التي عرفتها المنطقة الشمالية ككل خلال سنوات الأربعينيات من الوجود الإسباني بها.

[184]) A.C.E.M, delegación de Asuntos indígenas Datos esta disticos de la superficie ultivada produción agúcola obtenida y artabolado correspondiente a los años 1935-36-37y 1938

[185]) Datos estadisticos del territorio de chauen 1946, op cit, p 21

إن أهم سمة تميزت بها الغراسة في منطقة شفشاون أن السلطة الاستعمارية احترمت البيئة الزراعية السائدة بالمنطقة فمن خلال نفس الجدول يلاحظ اكتساح ثلاثة أصناف وهي الزيتون والكروم والتين، على الرغم من التفاوتات التي حصلت في بعض الأنواع. وتحتل غراسة شجر الكروم المرتبة الأولى الذي شهد ارتفاعا كبيرا بلغ 1566 شجرة خلال الموسم الفلاحي لسنة 1946، تأتي في المرتبة الثانية شجرة الزيتون الذي تراجع من 1547 شجرة خلال موسم سنة 1938 إلى 1333 وحدة سنتي 1945-1946، ثم شجر التين في المرتبة الثالثة ب 1047 وحدة.

4. تربية الماشية

لا توجد إحصائيات ولو نسبية في هذا الصدد، إلا ما أشار إليه تقرير الذي نشر سنة 1946 تضمن إحصائيات مختلف القطاعات بمدينة الشاون وإقليمها([186])، وتظل غير كافية لإعطاء نظرة شاملة ومفصلة حول قطاع تربية الماشية خلال المرحلة الاستعمارية، وعلى الرغم من ذلك فإنها تظل مفيدة وأساسية لإعطاء صورة ولو عامة حول هذا القطاع.

لقد توفرت المنطقة على ثروة حيوانية مهمة، خضعت بدورها إلى اهتمام السلطات الاستعمارية، التي سعت إلى توفير مختلف الخدمات الصحية للحد من أمراض المواشي ومعالجتها، فسعت جاهدة على إنشاء شبكة مكثفة من العيادات البيطرية في مختلف مناطق الحماية الإسبانية خدمة لهذا القطاع المهم(187). ولأجل الحفاظ على هذه الثروة تم إنشاء

---

[186]) Datos estadisticos del territorio de chauen 1946, op cit, p 22

[187]) Vial de Morla, **España en Marruecos** , instituto de estudios africanos, Madrid, 1941, p 93

مزرعة بمدينة شفشاون تبلغ مساحتها 40 هكتارا، تم تحويل 20 هكتار منها إلى مزرعة مسقية موجهة أساسا للمواشي([188]).

جدول رقم 8: عدد المواشي بمنطقة شفشاون ما ين 1931 و1948

الأصناف / السنوات	الأبقار	الأغنام	الماعز	الخنازير
1931	48269	26563	146438	-
1935	59514	33527	242314	-
1938	48227	45173	188892	-
1946-1945	13015	12490	47813	174
1948	63827	49109	214754	604

Source: -Datos estadisticos del territorio de chauen

1946, op cit, p 22

-Alta comisaría de España en Marruecos, **Accion de España en Marruecos**, op cit, p 233

يظهر من خلال الأرقام ومعطيات الجدول، أن تربية الماعز تسود بشكل كبير وتأتي في طليعة باقي الأصناف الأخرى بلغت سنة 1948 214754 رأس، ومرد ذلك إلى كونها تتكيف مع الطابع الجبلي للمنطقة، بالإضافة إلى عدد رؤوس الأبقار التي تحتل المرتبة الثانية بلغ عددها 13015 رأس، وكذا الأغنام في المرتبة الثالثة وصلت إلى 12490 رأسا، أما الأنواع الأخرى كالدواب مثلا فإن البهائم هي التي كانت تتوفر بكثرة

[188]) Alta comisaría de España en Marruecos, **Accion de España en Marruecos**, la obra material, Tetuan, 1948, p 233

نظرا لصعوبة التضاريس وفقر التربة، في حين وجد فقط رأسان من الخيل، وابتداء من سنة 1945 بدأ الاهتمام بتربية الخنازير التي كانت مقتصرة على المعمرين الإسبان، وقد شهد هذا الصنف تزايدا بلغ 609 رأسا سنة 1948. وقد وجدنا إشارة أيضا في هذه التقارير إلى اهتمام المنطقة بتربية النحل(189).

II. وضعية الحرف والصنائع التقليدية

شكلت الحرف في مدينة شفشاون كما هو الحال في باقي الحواضر المغربية قاعدة إنتاجية اقتصادية. حيث شكل الحرفيون نسبة مهمة من السكان، ساهمت بشكل كبير في رواج وتنشيط الحياة الاقتصادية، من خلال الأرباح التي كانت تدرها إثر تحويل المواد الأولية إلى بضائع استهلاكية قابلة للتسويق، وقد كان لتوافد المهاجرين الأندلسيين إلى المدينة عاملا رئيسيا في انتشار وإنعاش الصناعة، إذ بفضلهم دخلت المدينة العديد من الحرف والتقنيات لاستغلال الصوف وصناعة الخشب والدباغة، وغيرها فأصبح المجتمع الشفشاوني يتكون من تشكيلة من الحرفيين كالدرازين والخرازين والدباغين...(190). وقد انتظمت هذه الحرف في فضاء خاص بمزاولة مختلف هذه الأنشطة تتجمع في حي واحد، ومن جملة هذه الأحياء حي الخرازين، حيث كان النشاط المهيمن هو الخرازة، كما يمكن أن تمتد أيضا إلى فضاءات أخرى كما هو الشأن بالنسبة إلى محلات صناعة النسيج، والتي تنتشر بالخصوص بحي العنصر(191)، وتعتبر حومة السويقة محورا تجاريا ونقطة التقاء لمختلف هذه الحرف، باعتباره فضاء مخصصا لبيع الأقمشة ومنتوجات الصناعة التقليدية(192).

---

189) Datos estadisticos del territorio de chauen 1946, op cit, p 22

190) محمد القاضي، م س، ص 124

191) الصادق الريسوني، م س، صص 36-38

192) محمد القاضي، م س، ص 113

وقد احتلت صناعة النسيج مكانة هامة في قطاع الصناعة التقليدية بمدينة الشاون، ففي هذا الإطار تشير العديد من المصادر، إشارات عديدة وإن كانت عابرة ومتفرقة إلى هذه الأهمية ونوهت بشكل خاص بصناعة الجلابيب التي تميزت بجودتها وقيمتها في باقي المدن والبوادي(193). تمارس صناعة النسيج من قبل حرفيين معروفين باسم الدرازين، ومعلوم أن هذه الصناعة ترتبط إلى حد كبير بمادة الصوف(194)، الذي يباع في سوق خاص به يعقد يومي الاثنين والخميس صباحا من قبل نساء(195) متخصصات في غزله، وقد ظل هذا القطاع يعرف رواجا هاما حتى بعد مجيء الإسبان، ويرجع الفضل في ذلك إلى المدرسة التي تم إنشاؤها من قبل السلطات الإسبانية من أجل تحديث هذا القطاع.

ومن الصناعات التي أسهمت بدورها في تنشيط نسيج الحرف بالمدينة هناك صناعة دباغة الجلود، وقد كان غالبية الدباغين يمارسون مهنة الخرازة التي اقتصرت في إنتاج وسد احتياجات المنطقة في صنع الأحذية (البلاغي)(196)، " **وصناعة الزعبولة الحمراء وهي عبارة عن محفظة بعدة جيوب خاصة بحمل النقود**"(197)، لقيت بدورها رواجا في الأسواق.

إضافة إلى معاصر الزيتون: إذ توفرت المدينة على ثلاثة عشر رحى مخصصة لعصر الزيتون، وأخرى مخصصة لطحن الحبوب، وجل هذه الرحى تقليدية يقع معظمها على ممرات المياه التي تتبع من وادي راس الما(198). إضافة إلى صناعة النجارة التي

---

193) Juan de Lasquetti, op cit, p 22

194) هذه الصوف تمر بعدة مراحل فيعد عملية قص الصوف من ظهر الغنم، تمر الصوف عبر أيدي النساء حتى يتم غسلها وغزلها بواسطة القرشال (هو عبارة عن مشط متين بأسلاك يصنعه اليهود في القيسرية) وبالتالي يتم تسويقها.

195) كانت بالمدينة أكثر من 500 امرأة مختصة في فنون الغزل والنسيج.

196) Datos estadisticos del territorio de chauen 1946, op cit, p 23

197) Mouliéras, op cit, p 126

198) De Lasquette, op cit, p 20

اعتمدت على غنى المنطقة من الأخشاب(199)، غير أنها بقيت محصورة في بعض العائلات كالمرينيين وبن عباد ووریاش(200).

ومن المهن التي كان يزاولها الشفشاونيون أيضا، صناعة الأسلحة التقليدية، وقد سبق أن أشار موليراس إلى صناعة البنادق والسيوف والسكاكين والخناجر(201). وقد ساهمت كل صنعة من هذه الصناعات في رواج العديد من الحرف كالخياطة والحدادة وغيرها.

وبالنسبة لصناعة المعادن كالفضة فقد كانت حكرا على اليهود(202)، اهتموا أيضا بصناعة البرادع وخياطة الثياب ونسج الطاقيات ونسج العقد والخرازة..(203)

يظهر أن الصناعة التقليدية بمدينة شفشاون على الرغم من قلتها ومن بساطة أدواتها وتقنياتها، كانت تؤمن حاجيات المنطقة من المنتجات الصناعية، وشكلت أيضا سوقا لمحيطها، غير أن هذا القطاع عرف تغيرات عديدة، خلال فترة الحماية، ذلك أن السلطات الإسبانية ركزت اهتمامها على حرف معينة على حساب حرف أخرى. فما هو دور اسبانيا في إعادة إحياء هذا القطاع؟ وما هي الوسائل والآليات التي انتهجتها لهذا الغرض؟ وكيف هي الأوضاع الجديدة لباقي الحرف بالمدينة؟

III. سياسة إسبانيا اتجاه الحرف

عرفت الصناعة العصرية الإسبانية انتشارا واسعا في جميع أنحاء المنطقة الشمالية(204)، ومن ضمنها مدينة شفشاون فشهدت نوعا من التعايش فيما بينها. صحيح

---

[199]) Ibid, p 26

[200]) القاضي ، م س ، ص 126

[201]) Mouliéras, op cit, p 126

[202]) Alfonso Guizan, "Xauen santa", op cit, pp 45-46

[203]) القاضي م س ، ص 126

أن هذه المنتجات الصناعية الجديدة أثرت سلبا على مردودية الحرف التقليدية بالمدينة، إلا أنها تمكنت من التكيف مع مختلف هذه التحولات التي صاحبت احتلال المدينة، وبالتالي حافظ بعض الحرفيين على حضورهم، ويرجع الفضل في ذلك إلى تمركزها داخل المدينة القديمة، التي حافظت طوال هذه الفترات على طابعها التقليدي.

جدول رقم 9: إحصائيات لعدد الحرفيين خلال سنتي 1945-1946

الفئة	الحلاقون	الحدادون	الدباغون	النجارون	النسيج
عدد الحرفيون	18	9	21	12	173

المصدر Datos estadisticos del territorio de chauen 1946, op cit, p 24

أكد إحصاء 1945-1946 على استمرارية بعض الحرف في ظل المنافسة الإسبانية، حيث وصل عدد من يمتهنون الحياكة إلى 173 مهني، وهو رقم يبين مدى صمود هذه الصناعة النسيجية، وحفاظها على موقعها في الإنتاج إذ وصل عدد المحلات الخاصة ببيع النسيج إلى 144(205)، ووصل عدد الدباغين إلى 21 حرفي، وقدر عدد النجارين ب 12 شخصا.

ارتكزت السلطات الإسبانية على مجموعة من التبريرات التي دفعتها إلى تبني مشاكل الحرف التقليدية وفي طليعتها صناعة الزرابي، وفق أساليب هدفت إلى تطور هذه الصناعة، مستندة في ذلك إلى العديد من الاعتبارات التاريخية والاقتصادية، تدخل في إطار الاهتمام بالتراث الثقافي للمنطقة. حيث دأبت الإدارة الإسبانية على إحياء كل ما هو تراثي قديم وترميمه ومزجه مع كل ما هو حضاري معاصر، فتم إنشاء متحف للفنون

---

[204]) Tomás García Figueras Tomás García, "La labor del protectorado las actividades…", op cit, p 33

[205]) Datos estadisticos del territorio de chauen 1946, op cit, p 24

المغربية خصصت له ميزانية قيمتها 2000 بسيطة اسبانية إضافة إلى 5000 بسيطة خصصت إلى اللجنة العليا للآثار التاريخية(206)، كانت غايتها دراسة كل ما هو تراثي قديم بالمنطقة الشمالية، وعلى إثرها تم تأسيس مدرسة الحرف والصنائع بمدينة تطوان(207). وأحدثت فروع لها بالعديد من مدن المنطقة ومن بينها مدينة شفشاون حيث عملوا على إحداث مدرسة للفن التقليدي في مجال الغزل والنسيج مستقلة عن سابقتها بتطوان(208).

تعتبر مدينة شفشاون بصناعاتها التقليدية خاصة منها النسيجية تراثا مغربيا أندلسيا، لهذا انصب اهتمام المسؤولين الإسبان على تطوير هذه الصناعة التقليدية، خاصة الزربية التي تم استحداثها من قبل الجالية الأندلسية، فارتأت في ظل هذه المعطيات صيانة هذه الحرفة وضمان استمراريتها، وحمايتها من الضياع. فجاءت مدرسة شفشاون للزرابي خدمة لهذا الجانب التي تم افتتاحها في الأول من أكتوبر سنة 1928 بالقصبة التاريخية(209)، وعمل الإسبان فيما بعد على توسيع وتغيير مقر هذه المؤسسة إلى وطاء الحمام في 11 يوليوز سنة 1934، تحت إشراف وإدارة مريانو برطوشي الذي كان له الأثر الكبير في تسيير هذه المؤسسة لما له من دراية ومعرفة كبيرة بالتراث الأندلسي

---

[206]) "ميزانية المنطقة"، **الاصلاح**، عدد 251، سنة 12، 1928، ص 3

[207]) يعود تاريخ تأسيسها إلى سنة 1919، ويرجع الفضل في ذلك إلى عبد السلام بنونة عندما عرض الفكرة في مجلس الخدمات المحلية سنة 1916، فتمت الموافقة على هذا المشروع بإنشاء مدرسة ابتدائية للحرف والفنون بالمدينة، شملت خمس ورش لصناعة الزرابي والنجارة والزخرفة والطرز و صناعةالأسلحة، وأعطت للمتعلم حرية اختيار الحرفة التي يريد التخصص فيها، وخولت له منحة دراسية بين 10و 300 بسيطة شهريا. كما فتحت أبوبها في وجه أبناء المنطقة الشمالية الذين يرغبون في الانضمام إلى هذه المدرسة ومن بين المتعلمين الذين تم اختيارهم للتكوين من مدينة شفشاون حسب ما أفادتنا به الوثائق الاسبانية: (حميد بن مختار في حرفة النجارة، ومحمد بن لحسن حيرون فن الخط العربي)، "Asesoria tecnica de ensenanza becas las creadas en la escuelas de artes y oficios de tetuan", ART carpeta N2, exp 1956/39, caja n 5626, referencia E. marroqui, N 2335, 23/0/19

[208]) Bouabid bouzaid, "mariano burtuchi; la ensenanza del arte patri monial y moderno", **El Protectorado español en Marruecos: la historia trascendida**, Edición y Manuel Gahete Jurado Colabora Fatiha Benlabbah Vol II pp35-53

[209]) Valderrama, **Historia de la acción cultural de España en Marruecos** op cit, p 379

المغربي، حيث أظهر نوعا من الجدية والحزم اتجاه هذا المنتج، فعمد على تطوير البرامج المتبعة عبر وضع نماذج ومناهج ذات قيمة كبيرة ترجع أصولها إلى النمط الغرناطي. سياسة منهجية ناجحة توج مجهودها بتأسيس مدرسة أخرى، في مكان يسمى بالزنيقة سنة 1943، ذات نشاط أوسع من المدرسة الأولى روعي فيها شروط النظافة والتنظيم، وبموجب ظهير شريف صادر بتاريخ 20 يونيو 1942 تم تخصيص ميزانية قدرها 73000 بسيطة لتوسيع ورشات مدرسة شفشاون(210).

جاء تصميم المبنى على النمط الأندلسي، ويشتمل على طابقين وفناء مركزي مفتوح ونافورة في وسطه، يحتوي الطابق الأرضي على قاعتين: واحدة مخصصة في النجارة والصباغة على الخشب، والثانية خاصة بالمعرض الدائم للزرابي التي تنتجها المتعلمات المحترفات بالمدرسة وبعض المنتجات من ورشة النجارة(211)، وطابق آخر يحتوي على (اثني عشر ورشة) لنسج الزرابي، فضلا عن مكتب مساعد المسؤول عن الإدارة(212).

وقد حددت مهام وقوانين هذه المؤسسة فيما يلي:

- الاعتماد على معلمين بارعين لم تكن مهنتهم تقتصر على الحياكة فقط ولكن عملوا على تعليمها، وقد كان محمد المعطي أول المدرسين الذي التحق بالمدرسة قدم من مدينة الرباط (213).
- ضرورة احترام المبدأ الرئيسي الذي أحدثت من أجله هذه المؤسسة، والذي يتجلى بالأساس في الإبداع إلى جانب الحفاظ على التراث الأندلسي

---

[210]) ظهير لتوسيع المصانع لمدرسة الشاون المغربي، **الجريدة الرسمية**، سنة 30 ع 18، 30 يونيو 1942، صص19-20

[211]) Valderrama martinez (f), "artisania Marroqui y bellas artes en la zona de protectorado espanol en marruecos", **Mauritania**, N 316, marzo 1954, p 58

[212]) Ibidem.

[213]) Bouabid bouzaid, "mariano burtuchi; la ensenanza del arte patri monial y moderno, op cit, pp 35-53

المغربي، والالتزام بأنماط أنيقة وأصيلة بعيدا عن التأثيرات العصرية الجديدة، وبالتالي تجنب الابتكارات الشخصية التي قد تؤثر في عمق هذا التراث الفني.

- بداية النشاط التعليمي الحرفي بالوسائل الموجودة رغم قلتها وبساطتها.
- ومن أجل الدفع بالمؤسسة إلى الأمام، توجب على المسؤولين استقطاب فتيات لتلقي هذه الصناعة، شريطة أن يتراوح عمرهن ما بين ثمان وأربعة عشر سنة، بحيث تبين لهم بأن تعليم الفتيات في مرحلة قصيرة جدا أعطت أكلها، وهو ما ضمن السرعة و الدقة في مزاولة الحرفة، وفي استيعاب التعاليم التي يتلقونها([214]).
- من أجل تحسين الانتاج وتوسيع المردودية، تم الاعتماد على تقنيات في مجال استعمالات الزمن والعطل، بحيث لم تمنح للتلاميذ الحق في الاستفادة من العطل الصيفية، إذ أن المدرسة كانت تعتمد نظام عمل الحرفيين، فخصصت لهم أيام الأعياد الدينية ويوم الجمعة كعطل رسمية، وفيما يتعلق بساعات العمل والدراسة فإنها حددت في سبع ساعات.
- لتشجيع التلاميذ على مواصلة التعلم خصصت لهم منح دراسية تتراوح فيما بين 0,50 إلى 180 بسيطة اسبانية في الشهر، حسب عمر الفتاة، وعندما يحدث أي غياب لا مبرر له تسحب منهن هذه المنحة كعملية تنظيمية من أجل تشجيعهن على الحضور([215]).

---

[214]) " las ninas artistas de xauen, creadoras del prodegio", **blanco y negro** (madrid), 24/02/1935, pp 170-171

[215]) Valderrama martinez (f), "artsania marroqui y bellas...", op cit, p 58

وقد تمكنت الفتيات على الرغم من صغر سنهن، ومن بساطة الوسائل المستعملة وصعوبة العمل، من اكتساب خبرة كبيرة تجمع بين الدقة في اختيار المواضيع والألوان بشكل متناسق لتعطي نسيجا من الزرابي الشفشاونية الرائعة(216).

صورة رقم 1: نسيج الزرابي بمدينة شفشاون

المصدر: Revue Africa 1-5-1928

وعلى الرغم من الطابع النسيجي للمدرسة فإنها أبدعت كذلك في مجال صناعة الجلود، والنقش على الخشب، وركزت بدورها على الجمع بين تعلم تقنيات الحرف وبين الممارسة والتطبيق(217) وهذا راجع بالأساس إلى مستوى التعليم والتلقين المتميز داخل المدرسة دون نسيان مجهود كل الطلبة والتلاميذ. وقد جلبت السلطات الاسبانية من تطوان عبد السلام المصمري على أن يكون مديرا مسؤولا بهذا القسم، وقد فتحت هذه الورشة

216) " las ninas artistas de xauen, creadoras del prodegio", op cit, pp 170-171

217) Asesoria tecnica de enseñanza "las creadas en la escuela de artes y oficios de tetuan , Carpeta N 2, AT, sección N 8767, caja n 29/484

أبوابها في وجه الراغبين في تعليم أصول حرفة النجارة و"التزويق الأندلسي"(218). ويشرف على هذه الورش إضافة إلى "المصمري"، ومحمد المعطي أطر أخرى مكونة من محمد بن الهاشمي كمساعد، والسعدية بنت صالح(219)، ولعل وجود اسم نسوي ضمن هذه الهيأة التي عملت بالمدرسة، يحيلنا على المساهمة المبكرة للمرأة الشفشاونية في العمل التربوي والتعليمي.

جدول رقم 10: مدرسة الفنون والحرف التقليدية سنة 1945(220)

الحرفة	المعلمون	المساعدون	عدد الطلاب
الزرابي	1	3	58
النجارة	1	-	7
الصباغة	1	-	15
المجموع	3	3	80

وكمؤشر على نجاح هذه المدرسة، أصبحت تتلقى سنويا عددا لا يستهان به من الطلاب الذين كانوا يرغبون في التسجيل بالمؤسسة بغية تلقينهم دروس شاملة، ذات أبعاد وتقنيات صحيحة ومتجددة قدمت لهم لتعليمهم هذه الصنعة، وقد لقيت حرفة الزرابي إقبالا كبيرا مقارنة مع باقي الحرف التقليدية الأخرى، وذلك راجع لعاملين اثنين يتجلى أولهما في توجه الشفشاونيين لتسجيل بناتهم في مدرسة الصناعات الحرفية بغية تهريبهم من التعليم الاستعماري الإسباني الذي يتنافى في نظرهم مع قيم وهوية الثقافة المغربية، أما

218) محمد أبو عسل، **ذاكرة مدينة شفشاون: وقائع ومرويات**، إعداد وتقديم شرف الدين ماجدولين، ب ط، مطبعة بورقراق، الرباط، ص 75

219) Valderrama martinez (f), "artsania marroqui y bellas..", op cit, p 113

220) Vial de moria, **España en Marruecos**, op cit,p 127

العامل الثاني فيتجلى في الأهداف التي توختها الإدارة الاستعمارية في توجيه التعليم الإبتدائي نحو التعليم الصناعي، إذ أن سياسة الحماية كانت تتخوف دائما من الطابع الثقافي المغربي، لأن ذلك سيساهم في خلق نخب مثقفة واعية متمردة([221]).

جدول رقم 11: إحصائيات بعدد التلاميذ المسجلين بمصانع الزرابي ومعلميهم (1935-1943) ([222])

السنة	عدد التلاميذ	المعلمين	المساعدين
1935	30	2	-
1936	27	2	-
1937	41	2	-
1938	52	2	-
1939	46	1	-
1940	56	1	-
1941	58	1	-
1942	42	1	-
1943	55	1	3

كان الهدف من إحداث هذه المؤسسة أن تخرج للوجود معلمات ومعلمين مؤهلين وقادرين على فتح ورش للعمل خاصة بهم، وبالفعل فقد كان للمدرسة الدور الكبير في تحقيق الاستمرارية وتوسيع هذا القطاع واستمراريته. كما ساهمت أيضا بشكل جيد في

[221]) أحمد بوجداد، **السياسة التعليمية للحماية الإسبانية بالمنطقة الخليفية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام، الجزء الأول، 1999، ص 657

[222]) Estado mayor del ejércitoservicio historico militar, **Geografia de Marruecos protectorados posesiones de España en Africa**, Madrid, 1947, T 3, p 430

النهوض بسوق الشغل، حيث بلغ عدد حرفيي الغزل والنسيج إلى 224 حرفي وحرفية، وعلى الرغم من بدائية الآلات والمواد التقليدية المستخدمة إلا أنها كانت تنتج كميات أكثر من كافية لحاجيات السكان والمنطقة بأسرها ويزيد(223).

وعند مناقشة موضوع هذه الصناعة ودور اسبانيا في إعادة إحياء هذا القطاع، يجب ألا ننسى القانون الذي فرضته الدولة الاسبانية، والذي ينص بالأساس على حقها في الاستفادة من هذا المنتوج المغربي الأصيل، فحددت نسبته في خمسة آلاف متر مربع من الزرابي كحصة سنوية من المنتوج الإجمالي من هذه الصناعة، بحجة أن المستعمر كان يعتبر نفسه هو الراعي الأساسي لزرابي مدينة شفشاون(224).

ومن أجل التعريف بهذا المنتج فقد لعب الإعلان ومقالاته الصادرة في صحافة تطوان دورا هاما في تشجيع وتطوير صناعة الزرابي عبر التعريف بخصوصياتها ومميزاتها(225). ويتم تسويقها وبيعها بأسعار رخيصة مقارنة بالزرابي التي تباع في مدينة الرباط(226)، مما جعل هذه المدينة تشكل لبنة وآمالا حقيقية لتطور الصناعة المغربية بصفة عامة معتمدا في ذلك على موارده الأولية لهذه الصناعة النسيجية.

لقد تبين للإسبان أهمية المعارض التي تمثل فرصة لإبراز مستوى مصنوعاتها وكذا التطور الملحوظ الذي وصلت إليه في مجال الابتكار والإبداع، وعلاوة على ذلك أحدثت معارض سنوية من أجل بيع المنتوج الذي تم إنجازه من قبل الحرفيين خلال السنة الدراسية، كما كان يتم عرض جزء منه في معرض إشبيليا في إسبانيا(227).

---

223)Santiago Otero Rotundo, op cit, p 104

224) Gonzales de lara, **Marruecos 1940**, tetuan, 1940, p 21

225) "شركة الزرابي الشفشاونية المحدودة"، **جريدة الحياة**، عدد 24، سنة 1، 23 غشت 1934

226) "زيارة سعادة المقيم العام لمدينة شفشاون"، **جريدة الاصلاح**، عدد 291، سنة 12، 30 نونبر 1928

227) نفسه.

إن الزربية الشفشاونية شهدت تطورا كبيرا خلال مرحلة الاستعمار الاسباني، الذي عمل على إعادة إحياء هذا المنتوج بطابعه التقليدي القديم، والاهتمام به والتعريف بهذا الفن الذي هو بمثابة إعادة الاعتبار للمدينة على الخصوص وللموروث الأندلسي المغربي على العموم.

IV. التجارة في مدينة شفشاون

1. الخصائص التجارية لمدينة شفشاون

تلعب التجارة دورا هاما في النشاط الاقتصادي، من خلال ما تقدمه من إمكانية تصريف المنتجات، ومن توفير ما تحتاجه المنطقة من مواد عبر استيرادها، وقد احتفظت مدينة شفشاون في مجال التجارة الداخلية بنفس الخصائص والعادات، وكذا الأساليب التي كانت سائدة من قبل، حيث بقي المركز التجاري الوحيد للمنطقة هو السوق الذي يقام بشكل دوري في جل الأماكن المخصصة لهذا الغرض، وقد كانت مدينة شفشاون سوقا مركزية يتوافد إليها العديد من القبائل المجاورة. لعرض منتجاتها أو لاقتناء متطلباتها من المنتجات الصناعية.

ويمكننا من خلال تتبع مراحل التعمير بالمدينة أن نستشف أن الساكنة قد خصصت فضاء للتجارة والمبادلات، يتمركز بحي السويقة، وهو فضاء خاص بمختلف الأنشطة التجارية الداخلية، كانت فيه الدكاكين المنتظمة بدرب العطارين ويصل عددها "مائة وخمسون حانوتا"(228)، تعرض فيها جميع أنواع السلع المحلية والمستوردة أو في الفنادق المخصصة لبيع الجملة(229).

---

228) الصادق الريسوني، م س، ص 37

229) نفسه

صورة رقم 2: المحلات التجارية العربية بساحة إسبانيا

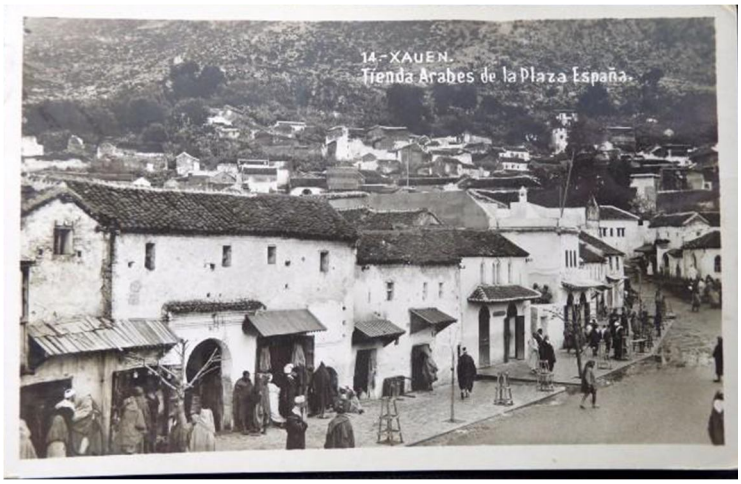

المصدر: todocoleccion. net PAPELERÍA -LA ESPAÑOLA AÑOS 2

وعند الحديث عن القطاع التجاري بالمدينة لا يجب أن نغفل دور اليهود في دعم هذا النشاط داخل المدينة وفي البوادي، إذ كانت لهم محلات تجارية لبيع العقاقير والمواد الغذائية، وأخرى لبيع الفواكه والخضر(230).

لم يكن النشاط التجاري محصورا في الفنادق والدكاكين فقط، بل كان يتم في الأسواق كما هو الحال في سائر المدن المغربية حيث يتم البيع والشراء بنظام المقايضة(231)، وكانت تعقد في مناطق مختلفة وفي أيام معينة من الأسبوع(232). واستمرت هذه الأسواق في تأدية نشاطها حتى خلال المرحلة الاستعمارية. فبالإضافة إلى حي السويقة حيث توجد مختلف الدكاكين والمحلات التجارية، كان يقام سوق شعبي

---

230) Mouliéras, op cit, p 128

231) نظام المقايضة: هو نظام الصرف الذي يتم عبره تبادل البضائع أو الخدمات مباشرة بسلع أو خدمات أخرى، دون استخدام وسيلة تبادل مثل المال، تكون المقايضة ثنائية الأطراف، وقد تكون متعددة الأطراف في بعض الأحيان

232) Jesús Albert Salueña," la economía del protectorado español en marruecos y su coste para españa", **El Protectorado español en Marruecos: la historia trascendida**, Edición y Manuel Gahete Jurado Colabora Fatiha Benlabbah Vol 1, p 87

مرتين في الأسبوع يومي الإثنين والجمعة، ويصل دخلها السنوي حوالي 633,17 46 بسيطة حسب إحصائيات 1945-1946 وتلقى إقبالا من مختلف القبائل المجاورة(233).

جدول رقم 12: الأسواق التي كانت تقام بناحية الشاون خلال مرحلة الحماية:

اسم السوق	المنتجات الرئيسية في تجارتها
الثلاثا	الحبوب
بني دركل	الماشية- الدواجن- الفواكه- البيض
اكدير الكروس	الحبوب- الماشية
الخميس	الماشية- الحبوب- الفاكهة- البيض
الاحد	الفواكه
السبت	الخشب - اللوز

المصدر: Pérez Tomas, **la economía marroquí**, op cit, p 266

لقد فرض حسن الجوار والتحالفات بين مدينة شفشاون وقبائلها، حدوث تفاعلات اقتصادية ساعدت على توسيع رقعة المبادلات التجارية الداخلية الشئ الذي أدى إلى تنظيم أسواق محلية وإقليمية أسبوعية، وتتشكل أسماء هذه الأسواق عموما كما يظهر من خلال الجدول حسب اليوم الذي تقام فيه خلال الأسبوع، وقد كانت هذه المبادلات تعتمد على المنتوجات الزراعية كالخضر والفواكه والحبوب، ومنتوجات ذات أصل حيواني كالبيض والدواجن والماشية. فالسوق هنا يعكس بشكل واضح البنية التحتية للمنطقة وأسس اقتصادها.

إن الطرق والممرات التي سهرت إسبانيا على إحداثها لربط مدينة شفشاون بمجالها القبلي(234)، تدل على أهمية المبادلات التجارية. وتلعب مدينة شفشاون في هذه المبادلات

233) Datos Estadisticos Del Territorio de Chauen, op cit, p16

دور الوساطة، فعادة ما كانت تقصد هذه القبائل مدينة شفشاون من أجل الإتجار أو اقتناء المنتجات الصناعية الحرفية التي تعرض داخلها، لسد حاجياتها وفي الوقت نفسه لعرض منتجاتها الزراعية.

كما كانت المدينة معروفة أيضا بتجارة الجلود والصابون والزيتون الأخضر والأسود وبذور الكتان واللوز ونسيج الصوف(235)، من خلال عمليات الاستيراد والتصدير التي كانت تتم بواسطة القوافل التجارية التي تنقل محاصيل البادية، والمنتوجات الصناعية إلى تطوان والقصر الكبير ووزان(236).

وإضافة إلى هذه الأنشطة الاقتصادية، كانت مدينة شفشاون تنظم أشكالا أخرى تنشط فيها المبادلات والحركة التجارية، وأهمها المواسم السنوية التي كانت تقام بالقرب من أضرحتها كموسم الاحتفال بمؤسس المدينة علي بن راشد، ويوم ذكرى المولد النبوي الشريف، وقد عمدت الإدارة الاستعمارية بدورها إلى السهر على تنظيم مثل هذه المواسم لما توفره من مداخيل مالية مهمة(237).

---

[234]) تدشين أشغال جديدة في منطقة الحماية الإسبانية"، **جريدة الإصلاح**، 31 أكتوبر 1928

[235]) Manzanelo Cirilo Ruiz, **Tetuan es mi ciudad**, impress en graficas aminio, tetuan, p 139

[236]) Anuarios Guias del Norte de Africa, **Anuario guia oficial de Marruecos y del Africa y Española**, Ed. Ibero, Africano-Americana, Año 5, 1927, p 356

[237]) احتفلت مدينة شفشاون بأعيادها، **مجلة الاتحاد**، سنة الثانية، ع 18، شتنبر 1928، ص 14

صورة رقم 3: اللجنة المكلفة بتنظيم المواسم والأعياد بمدينة شفشاون(238)

إن الأسواق والمواسم التي كانت تقام بمدينة شفشاون كانت تهدف إلى تحقيق نوع من التوازن في كمية المنتوجات ونوعيتها، الشئ الذي كان يفرض على المدينة الخروج من عزلتها وانغلاقها والبحث عن مجالات أوسع للمبادلات، وقد أدت هذه المبادلات إلى تحقيق تراكم مالي نسبي.

ومعلوم أن مدينة شفشاون كانت تسير على غرار باقي مناطق المغرب فيما يتعلق بالأسلوب المتداول في العاملات والمبادلات التجارية، حيث اعتبرت النقود كوسيلة لتسهيل النشاط الإنتاجي، وفي ظل الحماية ستفقد المدينة إلى جانب جهات المنطقة الخليفية استقلالها النقدي، حيث أصبحت تابعة للنظام النقدي الإسباني، ففي سنة 1938 انتهى العمل بالبسيطة الإسبانية كعملة موحدة للتداول في المنطقة الخليفية(239). وقد كان هدف إسبانيا من وراء هذا الإصلاح هم إحكام سيطرتها على السوق المغربية وإخضاعها من أجل استغلال البلاد.

---

238) تضم الصورة القائد العسكري كسطيو رئيس لجنة الأشغال البلدية وباشا المدينة إضافة إلى أعيان المسلمين الذين قاموا بتنظيم هذه الأعياد، احتفلت مدينة شفشاون بأعيادها، **مجلة الاتحاد**، م س، ص 15

239) **شفشاوت تاريخ، أصالة حضارة**، تنسيق فردوس التهامي العلمي، جواد أعزاير، نشر جمعية تلاسمطان للبيئة والتنمية، مطبعة إيمبريما، تطوان، 2012، ص87

2.أسباب ضعف الرواج التجاري:

تبين لنا في مناسبة سابقة أن مدينة شفشاون عانت من التقلبات السياسية والنزاعات التي أثرت دون شك في الرواج التجاري خلال مرحلة الحماية، فنلاحظ من خلال اطلاعنا على مختلف الدراسات التي تناولت النشاط الاقتصادي بالمنطقة الخليفية(240) أن مدينة تطوان برزت بشكل كبير ليس فقط في مجال القطاع التجاري وإنما أيضا في باقي الميادين الأخرى(241)، إذ شهدت توسعا ونموا ديمغرافيا، على عكس مدينة شفشاون التي شهدت ضعفا في الرواج التجاري، ويمكن إرجاع هذا التدهور إلى العديد من الأسباب. يرجع أولها إلى مرحلة ما قبل الحماية، حيث كانت المدينة تشهد نوعا من الفوضى والخلل الأمني كما سبق وذكرنا الأمر الذي أدى إلى ضعف النشاط الاقتصادي، فتجارة شفشاون كانت تعتمد على القوافل الطويلة، التي تنقل منتوجاتها وصناعاتها نحو الأسواق الخارجية بالعديد من المدن كتطوان ووزان، غير أن تجار المدينة ظلوا عرضة لاستغلال قبائل الأخماس، مما يجبر القوافل إلى تغيير مسارها أو تأخير تسويق غلة السنة، ويجعل ذلك مستحيلا في كثير من الأحيان(242).

ثم جاءت مرحلة الحماية، ومن الطبيعي أن هذه الفترة من شأنها أن تحدث العديد من التحولات على إثر الأحداث التي شهدتها من ثورات واضطرابات كان لها بالغ الأثر على ضعف النشاط التجاري بالمنطقة، ولا بد من التذكير ببعض هذه التفاصيل:

---

240 انظر مثلا (Vial de moria, **espana en marruecos**, op cit i - Pérez Tomas, **la economía marroquí**, op cit

241) شكلت مدينة تطوان قطبا هاما خلال المرحلة الاستعمارية حيث وجهت لها استثمارات صناعية خلال الحرب الأهلية الاسبانية والحرب العالمية الثانية، هذه الأحداث ساعدت على هروب العديد من رؤوس الأموال للاستثمار بالمدينة، انظر في هذا الجانب، بولربح علي، الكتابات الاسبانية حول مدينة تطوان من خلال أرشيف المكتبة الوطنية بمدريد: مقاربة بيولوجية (1912-1956)، **تطوان في الوثائق الاسبانية على عهد الحماية**، ط 1، مطبعة الهداية، 1998، ص 43

242) De lasquetti, op cit, p 20

المرحلة الأولى من سنة 1913 إلى 1920: كانت المدينة خاضعة فيها لنفوذ أحمد الريسوني(243)، الذي كان غافلا في الغالب عن تدبير شؤونها الاقتصادية بسبب انشغاله بالعمليات الحربية التي كان يقودها ضد الاحتلال الإسباني بمنطقة جبالة، وقد عرف النشاط التجاري على إثرها تراجعا كبيرا نظرا لانشغال بادية شفشاون بالمقاومة المسلحة، وبسبب الحصار الذي فرضته إسبانيا على القوافل التجارية التي كانت تربط بين مدينة طنجة وباقي جهات المغرب عبر منطقة الهبط وجبالة(244)، فلم تكن السلطات الاستعمارية غافلة عن أهمية هذه المحاور في تزويد المنطقة بحاجياتها الرئيسية، وفي طليعتها الأسلحة، لذلك عمدت إلى التحكم في هذه المحاور التجارية كسياسة لتطويع المنطقة، وفي هذا السياق يقول العياشي المريني: "**فجفت المناهل التي كانوا يحصلون منها على الأسلحة والبضائع المختلفة وأصبح المرد الوحيد الذي يعتمدون عليه في اقتناء الأسلحة هو نصب الكمائن ومحاصرة المراكز الاسبانية**"(245).

المرحلة الثانية من سنة 1920 إلى 1926: وهي الفترة التي خضعت فيها إلى الاحتلال الاسباني، فطغت أجواء الحرب التي جعلت من المدينة بعيدة كل البعد عن أي نمو اقتصادي، وقد تأثرت خلالها المنطقة بالعامل الخارجي لعدم الاستقرار السياسي في إسبانيا والذي أدى إلى قيام ديكتاتورية بريمو ريفيرا Primo Rivera، فهذه المرحلة تميزت بمقاومة شرسة للوجود الأوروبي بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي، أجبرت إسبانيا على بذل جهود عسكرية جبارة تطلبت موارد اقتصادية كبيرة لبناء الثكنات والحصون العسكرية. وعلى الرغم من الفترة التي نعمت فيها المدينة بنوع من الحرية إثر

---

243) العربي اللوه، م س، صص 214-215

244) العياشي المريني، **صورة من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة: النضال الجبلي، الأنظمة الاجتماعية الجبلية، النظام الاقتصادي**، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال، طنجة، 1988، ج 2، ص 113

245) العياشي المريني ، م س، ص 114

الانسحاب الإسباني منها، إلا أن الخطابي لم يستطع فك الحصار الإسباني الذي كان قائما على المحاور التجارية(246)، مما كان له عواقب وخيمة على منطقة جبالة بأسرها، فأصبح المورد الوحيد الذي يعتمد عليه رجال المقاومة في اقتناء الأسلحة هو نصب الكمائن، ومحاصرة المراكز الإسبانية عبر قمم الجبال المحيطة بمدينة شفشاون(247). وقد نجحوا في ذلك بالفعل بحيث لم تطلع شمس سنة 1925 حتى أصبح "الأهالي كلهم مسلحين مدنيين كانوا أو قرويين(248) رغم الحصار المضروب على تجارتهم"(249). كما أن عددا من المؤن الضرورية-مثل السكر والملح والشعير- لم يكن ممكنا أن يحصل عليها السكان إلا باستيرادها من الخارج(250). وبهذا الإجراء تكون السلطات الاستعمارية قد سعت إلى إفقار المنطقة وخنقها اقتصاديا لجعل ساكنتها يتذمرون من الوضع ويتخلون عن تقديم الدعم للمقاومة لكونها سبب الحصار المفروض عليها.

ثم جاءت فترة 1926-1928 ابتدأت بتعيين كاسترو خيرونا Castro Girona على رأس القيادة العسكرية، وانتهت بتهدئة مجموعة من القبائل المجاورة لمدينة شفشاون التي أعيد احتلالها يوم 10 غشت سنة 1926(251). وقد انعكس استسلام محمد بن عبد الكريم الخطابي وتفكك المقاومة على الأوضاع بالمنطقة، حيث عادت الاضطرابات الأمنية من جديد بسبب غياب جهاز يسهر على تسييرها وضبط شؤونها المحلية، في حين

---

[246]) العياشي المريني، م س، ص 115

[247]) Berenguer Damaso, p 12

[248]) فحسب الرواية الشفوية كان السلاح في تلك المرحلة يشكل رمز الفحولة، فالشاب الذي لا يحمل بندقية لا يستحق معنى الرجولة، حوار مع علي الريسوني، ولد سنة 1943 بمدينة شفشاون، باحث مهتم العلاقات المغربية الإسبانية وتاريخ مدينة شفشاون، تم اللقاء بتاريخ 2011/03/15، بمقر سكناه قرب الزاوية الريسونية بشفشاون

[249]) العياشي المريني، م س، ص 114

[250]) ياسين الهبطي، **مساهمة في دراسة تاريخ المقاومة...**، م س، ص 135

[251]) Service Historico Militar, T 4 op cit, pp 141-142, y Martinez Carlos De campos, **Espana bélica el bélica et siglo XX Marruecos**, Madrid, 1972, p 335, y "La reconquista de xauen", **Africa**, Agosto, 1926, 184

أن الإدارة الإسبانية كان شغلها الشاغل هو محاربة بقايا المقاومة المتمركزين في قبائل الأخماس(252)، ليتم الإعلان بشكل رسمي من قبل الجنرال سان خورخو San Jurju يوم 10 يوليوز على نهاية المقاومة، وتفاديا للإخفاقات والأخطاء التي سقطت فيها السياسة الإسبانية من قبل، وضع سان خورخو خطة تقتضي بضرورة القيام بنزع السلاح من جميع قبائل جبالة وغمارة والأخماس تجنيا لحدوث أي مقاومة بهذه المنطقة(253)، ولم تتوانى السلطات الإسبانية في استعمال القوة في حق كل من ثبت أنه يخفي آلة حربية، فعم الخوف والفزع بين المواطنين، ولا يمكن مع هذا الوضع أن تزدهر التجارة والاقتصاد، خاصة في ظل الحصار الذي فرضته الإدارة الإسبانية للمحاور التجارية خوفا من وصول الأسلحة، ويشير العياشي المريني في هذا الصدد إلى القول: " **كان المحتل الإسباني يعرف بعد سقوط الثورة الخطابية أن الأفواه مفتوحة والبطون جائعة والأسلحة مفقودة والتغذية تكاد تكون منعدمة والتجارة محاصرة والأبواب موصدة في وجه كل من أراد البحث والاتصال بالعالم الخارجي للحصول على الأسلحة وغيرها**"(254). فكانت النتيجة الحتمية لهذا الحصار المحكم على التجارة الجبلية هو تضييق الخناق على منطقة جبالة، وبالتالي تراجع الموارد الاقتصادية لمنطقة شفشاون وناحيتها تجاريا وفلاحيا وصناعيا.

اجتمعت هذه العوامل فيما بينها فأسهمت في إفقار المنطقة وتسببت في حدوث أزمة عميقة، حتى نهاية حملات التهدئة لم تمارس الإدارة الاسبانية نشاطها بمدينة شفشاون، ولم تبدأ تنفيذ مخططها بشكل كامل إلى حدود الثلاثينيات، وبعد الاستقرار في الأوضاع الأمنية

---

[252]) لم يكن استسلام محمد بن عبد الكريم الخطابي نهاية المقاومة بالمنطقة بل استمرت على يد مقاومين آخرين أبرزهم أحمد البكار الذي كان يقاوم إلى حانب الحركة الريفية، إضافة إلى الزعيم أحمد بن أحمد العمراني ويدعى الدنفيل بمنطقة جبالة، انظر حول الموضوع: أحمد السكيرج، **الظل الوريف في محاربة الريف**، دراسة وتحقيق رشيد يشوتي، مطبعة الكوثر برانيت، الرباط، 2010، ص 150، وعبد القادر العافية، نموذج لأبطال المقاومة ضد الاستعمار الإسباني بمنطقة شفشاون (1926-1930)، تاريخ المقاومة والحركة الوطنية بإقليم شفشاون، صص 69-74

[253]) Service Historico Militar, T4, op cit, p 144

[254]) العياشي المريني، م س، ص 115

والعسكرية لم تظهر أي تحولات تذكر فالآثار السابقة للسنوات التي خلت أثرت بلا شك في الحالة العامة، وقد أشرنا غير ما مرة إلى كون مدينة شفشاون لم تستفد بشكل كبير من الخدمات الإسبانية لا في البنيان ولا في الخدمات الأساسية.

وقد ظل النشاط التجاري يعتمد على مداخيل الأسواق الداخلية، أما السوق الخارجية فعرفت إقبالا من أهالي البادية، وتباع فيها الخضر والحبوب بأنواعها وغير ذلك، وقد لوحظ ارتفاع في أثمان بعض هذه المواد في السوق الداخلية، نظرا لغياب الرقابة(255).

V. التجهيز والمواصلات

1. التجهيز

لقد فرض التطور الصناعي الذي عرفته المنطقة ضرورة إمداد المدن بالكهرباء والماء الصالح للشرب، وذلك راجع بالأساس إلى انعدام توفر عمال متخصصين في الصناعات الدخيلة على المنطقة، وهي في نفس الوقت سياسة حاولت السلطات الاستعمارية نهجها لرغبتها في تخفيض عدد اليد العملة المكلفة، فظهرت الحاجة إلى بناء قوة كهربائية بمنطقة اسبانيا منذ عام 1913 فتم إنشاء شركة إلكترا مغربية([256])، وتسع محطات حرارية، وأخرى هيدروليكية تقع بالشاون يبلغ انتاجها السنوي 24 مليون كيلو واط في الساعة وسرعتها القصوى 52 K W .

وخلال سنة 1928 ساهم أحمد بن الأمين الريسوني في إحداث شركة التعاون الصناعية المنتجة لكهرباء تطاون للتخلص من معاناة الشركة الاستعمارية "Electras" التي كانت تحتكر ميدان الإنارة و توزيع الكهرباء. يعتبر هذا المشروع التعاوني الأول من نوعه في المغرب خلال الحماية جُمع رأس ماله من اكتتاب عمومي و خلق اقتصادا

[255]) "شفشاون 24 رمضان 1346ه (الأحوال على وجه الإجمال)، **الإصلاح**، ع 260، سنة 12، 31 مارس 1928، صص 3-4

[256]) A.C.E.M, **Accion de España en Marruecos,** op cit, p 155

جماعيا مبنيا على المشاركة الجماعية لكافة الفئات الشعبية، ومن هذا المنطلق تم تأسيس الشركة الكهربائية لشفشاون سنة 1930 برأسمال لا يتجاوز 54000 بسيطة(257)، ويرجع الفضل في إنشائها إلى الإسباني إيميلو انفانتي روزو Emilio infante Rozo أطلق عليها شركة إلكترا الشاون Electra Xaunia، إعمالا بمبدأ الدعم الاقتصادي والاجتماعي لساكنة شفشاون و منافسة أدوات التحكم الاستعمارية. وتولى عبد السلام بن قاسم ريّان(258) مسؤولية تسيير هذه الشركة ذات الغايات الوطنية استطاع من خلالها توفير الإنارة العامة لشوارع المدينة، فأقام محطة للطاقة الكهرومائية في النهر وأخرى للطاقة الحرارية في ما يسمى بباب السوق(259)، وقد بلغت قيمة استهلاك ساكنة الشاون للكهرباء إلى 6750000 كيلو واط في الساعة خلال سنة 1950، الأمر الذي أبرز أن هذه المبادرة قد لقيت قبولا من لدن الساكنة.

2. المواصلات

بذلت السلطات الإسبانية مجهودات كبيرة في قطاع المواصلات، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار لصعوبة التضاريس التي تتميز بها المنطقة، صحيح أن إسبانيا لم تصل إلى تحقيق ما أنجزته فرنسا في منطقتها من طرق وغير ذلك من حيث الكم أو الكيف، إلا أنها استطاعت فك العزلة عن العديد من القبائل، إذ أقامت شبكة من الطرق والممرات الصغيرة لوصل مدينة شفشاون بالقرى المجاورة فرضتها الظروف التجارية والسياحية للمنطقة، خصوصا تلك التي تربطها بالأسواق الأسبوعية، وأهمها الطريق الذي يوصل

---

257) شفشاون الشركة الكهربائية، **جريدة الحرية**، السنة 1، عدد 4، 4 أبريل 1937

258) أحد زعماء الحركة الوطنية بمدينة شفشاون

259) la electrica de xauen", **blanco y negro**, 24/02/1935, p137

بين باب تازة والأخماس وبني احمد وشفشاون(260)، كما اهتمت بإنشاء طرقات تصلها بباقي جهات المنطقة، وأهمها الطريق التي تربط بين تطوان ومليلية، إذ تم وصل شفشاون بين هاتين المدينتين عبر قنطرة النكور(261)، كما خصصت ميزانية قدرها 130475 بسيطة لمشروع إنجاز طريق رابط بين القصر الكبير والشاون (262). وبغض النظر عن الأهداف الاستراتيجية والعسكرية الواضحة التي يمكن أن تجنيها السلطة الإسبانية، فإن هذه الطرق والممرات كانت تؤمن نقل المسافرين والبضائع بين مدينة شفشاون وباقي الجهات.

VI. أهمية القطاع السياحي في اقتصاد المدينة

طمحت إسبانيا إلى دخول سوق السياحة وجعلها واحدة من الأولويات التي تخدم منطقة نفوذها، وتحويل هذا المجال إلى أحد مراكز الجذب السياحي. فقد شكلت المنطقة الشمالية إحدى المناطق التي أثارت إعجاب السياح لقربها من أوروبا أولا، ثم لوجود مراكز نموذجية تجذب الزوار إليها.

اعتبر الجانب السياحي كأساس لترويج وتسويق المنتجات التقليدية، وهو ما دفع بالمستعمر كما سبق الذكر إلى الدفع باستمرارية هذه الصناعة بالمنطقة لكونها تشكل مصدر ربح(263). سعت الإدارة الاستعمارية في الترويج للمنطقة عبر نشر سلسلة من

---

260) أحمد حمدون، "الفرق بين شفشاون الماضي ووشفشاون الوقت الحاضر، **الاصلاح**، عدد 285، سنة 12، 17 أكتوبر 1928

261) "أعمال المراقبات في ناحية.."، م س، ص 11

262) Dahir autorizando la ejecucion del trozo primero de la seccion segunda del proyecto de carretera de alcazarquivir-xauen por un presupuesto de pesetas, **bozem**, a**ñ**o XXIV, 31 octubre 1936, N 30, pp 946-947

263) Pérez Tomás, op cit, p 261

الرسوم البيانية والمسارات والكتيبات لتكون بمثابة دليل للسائح الاسباني([264])، وتعد مدينة شفشاون من بين المدن التي أثارت فضول السياح.

ومن الإجراءات التي تم تسخيرها لإنعاش هذا القطاع، استغلال مواسم الاحتفالات السنوية التي تقام بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف، وذلك لما لهذه الأعياد من إقبال للزائرين من مختلف جهات المنطقة(265)، وبالتالي قررت سلطات الحماية رعايتها وتنظيمها. يستمر الموسم لمدة ستة أيام متواصلة، ويسهر على تنظيمه لجنة مكلفة من قبل البلدية، يتم عبره عرض منتجات الصناع والتجار، في معرض يشتمل على محاصيل المنطقة الفلاحية، وعلى مصنوعاتها ومن جملتها الزرابي(266).

ومما ساعد على انتعاش السياحة في هذه الفترة التقدم الملموس في وسائل النقل والطرقات، وبذلك أصبح من الممكن السفر نحو المدينة وكسر موانع العوائق الطبيعية التي كانت من قبل، ويرجع الفضل في الترويج والتعريف بمدينة الشاون للرسام الإسباني ماريانو برطوشي Mariano Bertuchi الذي كان يضع لافتات وإعلانات للدعاية، فلم تكن مدينة شفشاون لتغيب عن أي لوحة من لوحاته التي يتم عرضها في صالون للفن الحديث المعاصر بإسبانيا ضمت ثلاثة عشر لوحة يجسد فيها أحد المشاهد والمناظر الطبيعية التي تشكل مظهر إغراء لجذب أكبر عدد من السياح(267).

إن الموقع المميز للمدينة جعلها محط أنظار للسياح الإسبان الشغوفين بجمال المناظر الطبيعية والحضارة الأندلسية القديمة، بيد أننا نجد أنفسنا نصطدم بغياب

---

[264]) Sin autor, "el fomento de turismo en la zona de protectorado español en Marruecos", **Africa**, 1-5-1929, p 129

[265]) "احتفلت مدينة شفشاون بأعيادها"، **مجلة الاتحاد**، سنة 2، ع 18، شتنبر 1928، ص 15

[266]) "أعياد شفشاون"، **الاصلاح**، ع 178، سنة 1928، ص2

[267]) Francisco ALCÁNTARA, "Tetuan y xauen cuadros de mariano bertuchi en el salón arte moderno" **el sol** 22/01/1921

إحصائيات تمكن من معرفة عدد هؤلاء السياح. ومن أجل الدفع بهذا القطاع سهرت الإدارة الاستعمارية على توفير دور ضيافة ذات طراز قديم بأسعار رخيصة. لم تكن الغاية من هذه البيوت تحقيق أرباح بقدر ما كانت تهدف لجلب أكبر عدد ممكن من السياح(268). كما تم إنشاء فندق سياحي مجهز أطلق عليه اسم بارادو Parado(269) قامت بتشييده لجنة الأشغال البلدية الشفشاونية بمساعدة لجنة السياحة بالمنطقة سنة 1938(270)، هذه الأخيرة التي فتحت في وجه أبناء المنطقة مسابقة لتسيير فندقة شفشاون(271) لتطوير مرافق البنى السياحية التي تتيح إقامة السائح في أفضل الظروف.

---

[268]) "في مصلحة السياحة مضافة شفشاون"، **الاصلاح**، عدد 360، السنة 14، 8 يونيو 1930

[269]) تولت إدارة الفندق أسرة كاريرو Garrero الإسبانية، كانت تهتم بالمسرح وتقدم عروض للجالية الإسبانية وبعض الأفراد من المدينة في بهو الفندق، كان يضم 10 غرف مرفق بمطعم، وشرفة تطل على مناظر واد لاو

[270]) " سفر سعادة الكوندى دي خوردانا إلى شفشاون"، **الاصلاح**، عدد 314، سنة13، 24 ماي 1929

[271])Anuncio y pliego de condiciones del concurso para el arrendamiento de la explotación de la Hospederia de xauen, **BOZPEM**, Año 20, 10 de Abril 1932, pp 394-395

الفصل الرابع

التشكيلات الاجتماعية وديناميةالتغيير

اقتحم التحديث بنيات المجتمع التقليدي بمدينة شفشاون مرحلة الحماية، من خلال بروز مظاهر وظواهر جديدة، كتغير الذوق الاستهلاكي للشفشاونيين لجهة النموذج الأوروبي في الممارسات واللباس واللغات والمعارف العصرية، جاءت كنتيجة للتأثيرات التي دخلت مع وجود العنصر الإسباني حاملا معه ثقافة مغايرة تماما لنمط وقيم الحياة بالمدينة، أحدثت خلخلة عميقة في مقاوماتها. وعلى هذا الأساس فإن التغير الاجتماعي الذي شهدته مدينة شفشاون لا يمكن فهمه إلا في سياق استحضار كل الفاعلين المساهمين، وسيتبين حينها أن هذا التحول قد حدث بمقاييس خاصة تحكمت فيها الإدارية الاستعمارية والقرارات السياسية وظهور وسائل ترفيهية جديدة. فأين تجلت مظاهر هذا التحولات؟

I. ساكنة مدينة شفشاون على عهد الحماية

1. الأجناس السكانية بمدينة شفشاون

بعد فرض الحماية الإسبانية على المدينة، أصبح المجتمع الشفشاوني يتكون من خليط من الأجناس، يمكن تقسيمه إلى ثلاثة عناصر:

المغاربة المسلمون: هم العنصر الأكثر عددا والأوسع انتشارا في مدينة شفشاون. وعلى الرغم من وجود بعض التفاوتات المادية فيما بينهم، إلا أن المجتمع الشفشاوني لم يشهد فوارق طبقية واضحة، لأن مدينة شفشاون مدينة صغيرة من حيث المساحة، لا توجد فيها فئة التجار الكبار أو الارستقراطيين.

اقتصرت هذه الفئات على مزاولة المهن والصناعات التقليدية اليدوية والأنشطة الفلاحية. أما بالنسبة للمهام الإدارية فقد زاولت وظيفة المحتسب وكاتب البلدية وتولية

القضاء ومقدم الحومة(272)، إضافة إلى مهام التدريس والوظائف الدينية التي كانت تضم عددا لا بأس به من العنصر الشفشاوني. كما أن بعض السكان انخرطوا في الجندية مع الجيوش الإسبانية في الفرقتين الشهيرتين "المحلة" التي كانت تابعة رسميا للمخزن الخليفي، وفرقة النظاميين التابعة مباشرة إلى القوات الإسبانية. في حين أن الوظائف العليا لم تكن موجودة داخل تلك الأسر إذ تم احتكارها من قبل العنصر الإسباني.

المغاربة اليهود: تكون أغلبهم من عنصر الموريسكيين الذين استقروا في المدينة بعد سقوط الأندلس، حيث قاموا بتشييد ملاحهم أول الأمر بمكان يسمى "بن عبد الله" خارج سور المدبنة، وعلى عهد السلطان الغالب بالله السعدي تم نقل مكان استقرارهم إلى الملاح الحالي داخل أسوار المدينة(273). وقد اتخذ الملاح كما هو معلوم في سائر أنحاء المغرب صبغة "دويلة صغير" بحيث كان يحتوي على جل التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تهتم بمصالح العنصر اليهودي(274).

وقد امتهنت الجالية اليهودية العديد من الحرف والصناعات التقليدية، لكن أغلبهم كانوا تجارا، يحتكرون تجارة المنسوجات التي يتم استيرادها من يهود تطوان(275)، ويبدو أن المستوى المعيشي ليهود شفشاون لم يكن مرتفعا على حسب تعبير كل من موليراس Moliéras(276) والضابط الإسباني ماريانو فرير برافو(277).

---

[272]) يتضح ذلك من خلال رجوعنا إلى أعداد الجريدة الرسمية التي كانت تصدر باللغتين العربية والإسبانية بالمنطقة الشمالية 1913-1956

[273]) Luengo (F.R), "xauen", **Mauritanin**, Año 3, N 28, 1930, p 230

[274]) Juan De Lasquetti, op cit , p 23

[275]) Ibid, p 20

[276]) Mouliéras, op cit, pp 139-140

[277]) Mariano Ferrer Bravo, op cit, pp 19-20

العنصر الإسباني: وهو العنصر الدخيل، توافدوا على مدينة شفشاون طوال فترات الحماية، وقد أنشأت لهم بدورهم مقبرة خاصة(278). وتشكلت هذه الساكنة من مدنيين وعسكريين. ففيما يتعلق بالمدنيين فقد كانوا يزاولون المهن التي لم يكن للمغاربة معرفة مسبقة بها أو لا يقدرون على القيام بها لكونها محرمة بمقتضى الشريعة الإسلامية، كتربية الخنازير أو العمل داخل الكنيسة(279)، كما عملوا في الإدارات الحديثة كالبريد والتعليم الإسباني والهندسة المعمارية والبلدية والمصالح المحلية(280) وغير ذلك، وإن مختلف هذه الأعمال التي كان الإسبان يزاولونها تدل على أن هؤلاء كان لهم الحضور المتواصل بالمدينة، وأن لهم الأولوية في كل الفوائد التي تسخرها لهم الدولة.

لقد كان معظم المهاجرين الإسبان الذين توافدوا على المغرب عمالا وصناعا(281)، ويعتبر القس لويس أولياكا أول المسؤولين المدنيين الذين دخلوا لمدينة شفشاون بصفته رئيس الإرسالية الكاثوليكية بتاريخ 19 يناير 1913(282)، حاملا معه رسالة قائد القيادة العليا بيكيبدير Biegbeder إلى باشا المدينة الوافي بن محمد البقالي قصد إيجاد مكان لبناء الكنيسة بالمدينة(283). وبالنسبة لفئة العسكريين كانوا بدورهم يتكونون من الجنود والضباط الذين يعملون في القطاه العسكري بصفة رسمية، وبلغ عددهم سنة 1933 900 عسكري(284). وقد انعكس هذا الوجود الإسباني سلبا على المجتمع حيث احتكروا ميادين الشغل، كما تزايد عدد السكان خصوصا خلال الأربعينيات مما كان له بالغ الأثر في جميع الميادين.

---

278) "رسائلي لمراسلي الريف حالة المقابر وإهمالها بشفشاون"، **جريدة الريف**، العدد 72، 26 أبريل 1937

279) حوار مع الأستاذ علي الريسوني بتاريخ 2011/03/15، بمقر سكناه قرب الزاوية الريسونية بشفشاون

280) Datos Estadisticos Del Territoria de Chauen, op cit, p 14

281) روم لاندو، **تاريخ المغرب في القرن العشرين**، ترجمة نيقولا زيادة، دار الكتاب الدار البيضاء، ص 209

282) **شفشاون الحضارة، التاريخ**، م س، ص 83

283) نفسه.

284) "xauen nuestra visita a la junta municipal de servicios", op cit, p 183

2. التطور الديمغرافي:

بالنسبة للتطور الديمغرافي في شفشاون لا توجد سوى معطيات قليلة لا يمكن الاعتماد عليها، نظرا لعدم دقة الإحصائيات المنجزة خلال فترة الحماية، لكن هذا لا يمنع من محاولة تقديم أرقام تقديرية لعدد السكان اعتمادا على مصادر مختلفة([285])، يمكن إجمالها كالتالي:

جدول رقم 13: تطور الساكنة الشفشاونية (مابين 1918 و 1954) مقارنة مع الساكنة الإسبانية

السنة	الساكنة المسلمة	الساكنة اليهودية	الساكنة الإسبانية	مجموع السكان
1918	-	-	-	7000-6000
1930	6555	200	960	7715
1933	5592	80	1807	7479
1940	10688	8	1700	12396
1945	13373	4	1099	14476
1946	14184	8	1122	15314
1950	11099	15	2446	13560
1954	11609	15	2551	14175

[285])Elboratión propia a partir de población de hecho en Resumen estadíon de Africa Española Dirección general de Marruecos y colonias y instituto de Estudos Africanos, Madrid, 1954, pp23-26 El DAHAN Mohamed, "la promotion administrativa et ses effets sur l'urbanisation des petites villes..", op cit, p 139. Y De lasquetti, op cit, p 11. Y xauen nuestra visita a la junta municipal de servicios", op cit, p 183

التقديرات الأولية لساكنة شفشاون تعود إلى مرحلة ما قبل الاحتلال الإسباني للمدينة التي قدرت حسب لاسكيطي Lasquetti بين 6000 و7000 نسمة([286])، لكن هذا العدد تضاعف بشكل ملحوظ بعد الحرب العالمية الثانية. وحسب معطيات الجدول فقد تميز نمو السكان في مرحلتين مختلفتين:

أ) مرحلة الركود والتقهقر منذ بداية الاحتلال إلى غاية سنة 1933، حيث ظل عدد السكان يسير نحو الانخفاض باستمرار بسبب الحروب الاستعمارية، وانخفاض المستوى الصحي لعدم وجود مستشفيات بالمدينة.

ب) مرحلة التزايد السكاني الكثيف، وبدأت منذ سنة 1940 إلى غاية سنة 1946، حيث رأت مدينة شفشاون ساكنتها تتزايد بنسبة 2918 نسمة، هذا التكاثر لا يمكن تفسيره إلا بالتزايد الطبيعي وارتفاع معدل الهجرة القروية وخاصة من طرف مناطق الريف الأوسط نتيجة للجفاف الذي شهدته المنطقة خلال سنوات الأربعينيات(287)، إضافة إلى التوافد الكبير في عدد المهاجرين الإسبان الذين ارتفع عددهم من 960 سنة 1930 إلى 2551 إسباني سنة 1954(288)، كانوا يتمتعون بمجموعة من الحقوق والفوائد في المجتمع الاستعماري (289)، وقد غير هذا النسيج السكاني المتنوع كثيرا من ملامح الصورة العامة للمدينة في مكوناتها الاجتماعية والثقافية والعمرانية.

---

[286]) De lasquetti, op cit, p 11

[287]) EL dahan, op cit, p 137

[288]) Fernandez Santos, Una escursion de la A.I de la prensa de tanger al azona Española, **Africa**, 1-12-190, p 287

[289]) علال الفاسي ، **حماية اسبانيا في مراكش من الوجهتين التاريخية والقانونية**، ط 1، القاهرة، 1948، ص 48

II. تفاعل المجتمع الشفشاوني مع الحضور الإسباني

1. تأثير الإدارة الاستعمارية في المجتمع الشفشاوني

حرصت الإدارة الاستعمارية على خلق قنوات جسور المراقبة بين مؤسساتها وعناصر السلطة في المجتمع المغربي، عبر نهج سياسة الاختراق المرتكزة أساسا على التحكم في الهوة الموجودة بين الإدارة الواقعة تحت إشراف الإسبان والمغاربة، وبالتالي تمكنها من التسلل إلى الحياة اليومية الخاصة بالسكان. وهكذا لم تخرج مدينة شفشاون عن هذا الإطار، خاصة وأنها شكلت نقطة ذات بعد أمني بامتياز في الرؤية المركزية الإدارية الاستعمارية، باعتبارها قاعدة رئيسية للمنطقة الغمارية(290)، الأمر الذي انعكس بشكل مباشر على وسائل التدخل في المجال الاجتماعي بمدينة شفشاون.

حظيت مسألة التواصل بين المواطن المغربي والأجانب خلال فترة الحماية، باهتمام الأوساط الاستعمارية، وبخاصة أن المغربي كان لفترة طويلة يرفض التعامل مع رجال السلطة الأجنبية وينظر إليهم على أنهم دخلاء ونصارى وجب الحرص على عدم مخالطتهم، وعلى اعتبارهم غزاة أخذوا أرضهم عنوة ظلما وعدوانا، كما كانوا يتحاشون كثيرا الذهاب إلى الإدارة الإسبانية والإتصال بموظفيها إلا في حالة الضرورة(291). وقد كثرت الأمثلة البارزة على مقاطعة الساكنة الشفشاونية للإدارة الإسبانية، والتمرد على قراراتها، ويتجلى ذلك في مارس من سنة 1941، حيث أعلمت السلطات الإسبانية سكان المدينة بأنه أصبح من اللازم أن يتوفر النساء على بطاقة الهوية، "**وهو قرار رفضوه حيث**

---

[290]) الهراس، **القبيلة والسلطة تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب**، ط بدون، مطبعة الرسالة، الرباط، ص 205

[291]) حوار مع علي الريسوني بتاريخ 2011/03/15، بمقر سكناه قرب الزاوية الريسونية بشفشاون

اجتمعوا وتوجهوا إلى مقر المراقبة البلدية للاحتجاج، وإعلام المراقب بامتناعهم عن تطبيق القرار، على اعتبار أن ذلك يمس بحرمة الدين"([292]).

لقد كان من الطبيعي أن يخلق الحضور الإسباني بمدينة شفشاون عدة تحديات، ارتبطت أساسا بكيفية تفاعل المجتمع المحلي مع مكونات المرحلة الوافدة عن الإسبان والمختلفة عن الفضاء المغربي التقليدي، وهو ما جعل مسألة تتبع المتغيرات التي تهم مجال القيم على الخصوص تعد من الأمور المعقدة، ويصعب تتبع مساراتها، على اعتبار أن موقف الأفراد من المستعمر لا ينظر إليها من الجانب الاجتماعي فقط، بل ترتبط أيضا بالأحاسيس والمشاعر.

تفهمت سلطات الحماية هذه المفارقات فحرصت على خلق إدارة استعمارية جديدة تعمد على استمالة وإشراك النخب في تسيير الشأن المحلي. وقد كان لتنفيذ هذه الإدارة عواقب وخيمة على الهياكل الاجتماعية بمدينة شفشاون أدت إلى تشكيل طبقة جديدة استفادت من الامتيازات التي منحت لها، فظهرت بذلك جماعة من الموظفين المتموضعين في أعلى الهرم الاجتماعي، والنموذج الأكثر تمثيلية لذلك هو محمد عبد الوافي البقالي باشا مدينة شفشاون، الذي تم تعيينه بتاريخ 17 ماي 1921(293) بعد ان استغل صراع اعيان هذه المدينة وفشلهم في الاتفاق على شخصية موحدة تمثل مدينتهم(294)، واختيار إدارة الحماية لأسرة البقالي يرجع إلى تجدرها ومكانتها التاريخية في المنطقة، وتأثيرها الذي لا ينكر في أوساط السكان. وقد عرف هذا الباشا بحزمه وصرامته، واستعملت السلطات الاستعمارية هذا الحزم لتمرير قراراتها.

---

[292]) الهبطي، م س، ص 275

[293]) ظهير تعيين الوافي بن أحمد البقالي، **الجريدة الرسمية لمنطقة الحماية الإسبانية المغربية**، السنة 1921، العدد 11، صدر بتاريخ 2 شوال 1339ه/ 10 يونيو 1921، ص 334

[294]) Barceló Romaguera Antonio, **Historia de chauen**, op cit, p 27

حكم القائد الوافي البقالي مدينة شفشاون واهلها بحزم شديد وكثرت شكايات التظلم به الى ادارة المخزن بتطوان، مما جعل الصدر الاعظم يوصيه في رسالة مؤرخة في 7 مارس 1922 بحسن المعاملة مع اهل هذه المدينة حتى يزدادوا انقيادا للمخزن، ومما جاء في تلك الرسالة مايلي: (**محبنا الارضى وخديم سيدنا الاحظى القائد الوافي البقالي امنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا ايده الله وبعد فحامله الحاج محمد العمارتي الشفشاوني قد طرق هذه الحضرة التطوانية لقضاء بعض ضروریاته الشخصية ولما عزم الرجوع لوطنه طلب الكتابة إليك بتنبيهك عليه ومراعاته فكن منه ببال ولا تتعرض له بما يسوءه ولتعلم أن المقصد الأهم للمخزن من توليتك على أهل ذلك البلد هو استيلافهم وجلب قلوبهم على محبتك والمجاراة معهم على ما يزدادون به للمخزن انقيادا وارتباطا... وعليه فلتعامل الجميع معاملة حسنة ومهما قصدك حد منهم لقضية فباشرها بنفسك لأن المخزن اسند التولية إليك لا لغيرك فالواجب عليك أن تهتم بمقاصد المخزن ومقتضيات الأحوال وكن على بال والسلام في 8 رجب الفرد الحرام عام 1340 الموافق 7 مارس 1922**)([295]). غير أن الصدر الأعظم محمد بن عزوز الذي وجه تلك الرسالة التنبيهية سيجد نفسه بعد خمسة أشهر من هذا التنبيه في سجن هذا الباشا. ولعل هذا الحدث هو مؤشر واضح للضغط الذي كان يمارسه الباشا على قرارات القضاة المحليين، وقد خلق هذا التسلط نوعا من التمايز الطبقي على المستوى الاجتماعي وحدوث اختلال في التوازن التقليدي للسلطة وتعزيز ثروة وهيمنة بعض العائلات. وعلى الرغم من تفويت سلطات الباشا لأعيان آخرين مع مرور سنوات الحماية مثل الباشا عبد السلام بن الفقيه بن

[295]) وثيقة خاصة أمدنا بها السيد عبد الإلاه العلمي بمدينة شفشاون

الأمين الشاوني الذي عين سنة 1936(296) والباشا اليزيد بن صالح (297)، إلا أن الإدارة الاستعمارية لم تستطع الاستغناء عنه بسبب قوته الفاعلة، لكون سلطته كانت تتماشى والسياسة القمعية التي نهجتها إسبانيا طوال فترة الثلاثينيات من زمن الحماية.

وبالإضافة إلى الباشا، كان المجلس البلدي الذي أنشئ بمدينة شفشاون بناء على ظهير فاتح فبراير 1928(298)، محدثا على أساس خليط من الإسبانيين والمغاربة. وقد بلغ عدد الأعضاء المغاربة في اللجنة البلدية بشفشاون ستة أعضاء من أصل أربعة عشر يمثلون 5592 نسمة من المسلمين، وهذا العدد لم يتناسب مع عدد السكان الشفشاونيين مقارنة مع عدد الأعضاء الإسبان الذين وصل عددهم سبعة أعضاء يمثلون 720 نسمة(299). ويمكن القول أنه بالرغم من وجود مغاربة في اللجنة البلدية، فإن دورهم لم يكن فعالا ومؤثرا، كما أن وجودهم لم يكن اقتناعا بالدور الذي يمكن أن يلعب الأعيان على المستوى المحلي، بقدر ما كان محاولة من جانب سلطات الحماية الظهور بمظهر الدولة الحامية الحريصة على إشراك المغاربة في تسيير شؤونهم، وبالتالي فقد ظل دورهم شكليا وهامشيا، وهو ما لم يمنع الإدارة الاستعمارية من اتخاذ قرارات تعسفية في العديد من المناسبات لأجل الحد من صلاحيات الأعضاء المنتخبين بهذا المجلس، وعرقلة مشاريعهم التي تصب في الصالح العام(300)، كما حصل في التعديل الذي أعلن عنه سنة

---

296) Dahir nombrando a sid abdselam ben el fakih sid mohamed ben el amin ex-xaueni, bbaja de la ciudad de xauen, **bozem**, ano XXIV, 31 julio 1936, p 777

297) Dahir disponiendo el cese de sid el hach dris ben abdeslam ERRIFI en el cargo de baja de ciudad de xauen, ibid, p, 777

298) **الجريدة الرسمية** ظهير 1 فبراير 1928، ص1049

299) محمد بن عزوز حكيم ، **أب الحركة الوطنية المغربية عبد السلام بنونة**، مطبعة الساحل، ط 3 الرباط، 1988، ج 3، صص125-126

300) تنديدا لما تتعرض له مشاريع أعضاء المجلس المنتخب بالمدينة امتنعوا على حضور الجلسات التي كان يعقدها المجلس. انظر مقال، "أعضاؤنا يمتنعون عن حضور الجلسة"، **الحرية**، عدد 321، 8 يوليوز 1940

1932، الذي قلص من عدد أعضاء الشاونيين في المجلس البلدي إلى ثلاث أعضاء فقط(301).

2. ظهور السينما كثقافة ترفيهية جديدة

تعتبر السينما من بين الفنون التي ظهرت بمدينة شفشاون بعد دخول الإسبان، لكنها ظلت مجرد فرجة اكتشفها الشفشاونيون من خلال التردد على العروض السينمائية ، للتعرف على هذا العالم الدخيل، الذي حاولت من خلاله إدارة الحماية أن تدمجه داخل المجتمع لاستكمال مخططاتها الرامية إلى إحداث تحولات اجتماعية، لأنها علمت جيدا التأثير الكبير الذي يمكن أن يحدثه هذا الفن، عبر إشاعة ثقافة جديدة وتكريس قيم جديدة لاستقطاب فئات عريضة من المجتمع المحلي وتفكيكه. فاهتمت بالجانب الترفيهي، عبر عرض أفلام تنوعت بين الفكاهة والرصانة، مثل أفلام الكوبوي(302) (رعاة البقر)، وبعض الأشرطة للممثل الساخر شارلي شابلن(303)، وقد ارتأى الإسبان في بداية الأمر أن تكون العروض السينمائية في قلب المدينة حتى يتسنى للجميع مشاهدة هذا البث السينمائي، لكن فيما بعد تم إحداث مكان خاص للسينما قرب "القصبة"، وحتى يكون الإقبال كثيرا خصصت ثمنا زهيدا لمشاهدة العرض، غير أن مثقفي المدينة كانوا يدركون بأن السينما كانت مجرد ملاهي لا ينبغي الانسياق وراءها، لذلك نبهوا الساكنة لضرورة الانتباه لما يعرض في الشاشات، خاصة إذا تخطت حدود وأخلاق المجتمع وتقاليده(304).

---

301) Derecto Visirial disponiendo se constituya la junta municipal de xauen en la forma que se indica, **Bozem**, Año XX, 25 de Noviembre 1932, N 22, p 1223

302) أفلام الكوبوي ظهرت بأمريكا استطاعت من خلالها تمرير ثقافتها للعالمية

303) شارلي شابلن ممثل انجليزي اشتهر قبل نهاية الحرب العالمي الأولى بأفلامه الصامتة التي تعتمد على الحركات الكوميدية

304) أبو عسل، م س، صص.103-104

وفيما بعد تم إنشاء دار للسينما(305) من قبل Felipe Alansomunoz فيليب ألانسومونيوز سميت " بالسينما الشعبية"، فأصبحت بذلك الساحات الحديثة التي شهدت تقدما خلال هذه المرحلة مخصصة لفن التصوير الشمسي(306)، فاحتوت هذه القاعة على خمسمائة مقعد إضافة إلى شاشة واسعة، ذات معدات صوتية عالية، وعدد من المرافق التي يمكن أن تحتوي على أكبر قدر ممكن من الجماهير(307). ويتم الترويج للشريط بصور دعائية تعلق بباب السينما أو في الأماكن المكتظة بالراجلين، وقد اهتم الإسبان أيضا بالأطفال حيث أقاموا لهم عروضا سينمائية كل يوم أحد(308). كما استقطبت المدينة العديد من المهتمين بمجال التصوير السينمائي خلال تلك المرحلة نظرا لموقعها ومجالها البيئي فتم أخذ العديد من الأفلام الوثائقية لها من قبل Josep Gaspas، الذي كان له اهتمام بالمنطقة الخليفية ككل لإعجابه بالمناظر الطبيعية الخلابة لجل مدن المنطقة(309).

3. صعوبة الظروف الطبيعية بالمنطقة

لقد ساهمت الظروف الطبيعية والمتمثلة في تضاريسها الجبلية الصعبة (يبلغ ارتفاعها 2000متر)(310)، في خلق عزلة كبيرة على منطقة شفشاون وقبائلها، إذ لم تكن توفر لساكنتها شروط عيش مريح، ويضاف إلى ذلك عدم انتظام التساقطات وقلة المجالات الصالحة للزراعة والتي كانت لا تتعدى في أحسن الأحوال 20% من المساحة

---

305) دار السينما كان بها درجتان ولكل منهما ثمنه، الدرجة الأولى خاصة بكبار العسكريين والموظفين، والثانية لعموم المغاربة والإسبان البسطاء. أبو عسل، م س، ص 106

306) Sin autour, "popular cinema de xauen", **ABC**, 24/2/1935, p.155

307) Ibidem

308) أبو عسل، م س، صص.104-103

309) Eduardo tores- dulce lifante, "España en Marruecos: una reflexión en el cine ", **en el protectorado espanol en marruecos**, V2, p 16

310) Alfonso Guizan, "xauen la ciudad santa", op cit, 47

الإجمالية(311)، ونتيجة لهذه العوامل دخلت المنطقة دوامة من الأزمات بلغت ذروتها خلال سنوات 1944-1945 حلت بها الأزمة الكبيرة بالشمال المغربي، سميت كما يعرف إلى يومنا هذا بعام الجوع. وتقاعس السلطات الإسبانية عن اتخاذ إجراءات صارمة لمواجهة هذه الأزمة زاد من حدة هذه الظروف ومن تأثيرها السلبي(312)، وقلة الموارد الغذائية في الوقت الذي شهدت فيه المنطقة ارتفاعا في عدد ساكنتها(313). وقد ظلت منطقة شفشاون تعاني من المجاعة والأمراض، فارتفع نسبة الوفيات لدى الشفشاونيين أكثر من وفيات الإسبان، ويظهر هذا الوضع من خلال إحصائيات الولادات والوفيات حسب الجدول الآتي:

جدول رقم 14: اعداد المواليد والوفيات بمنطقة شفشاون

الإسبان	المواليد		الوفيات	
	الذكور	الإناث	الذكور	الإناث
	26	21	14	9
المسلمين	1398		3945	

Datos Estadisticos del Territorio de chauen, op cit, S p

يتضح من خلال هذا الجدول، أن نسبة الوفيات مرتفعة بالنسبة للشفشاونيين مقارنة مع معدل الولادات، مما يدل على تدهور المستوى المعيشي والصحي.

311) Alta comisaría de España en Marruecos, **Accion de España en Marruecos**, la obra material, Tetuan, 1948 1انظر الخريطة رقم ضمن ملحق الخرائط

312) "قحط في المغرب معركة الحنطة في المنطقة"، مطبعة المخزن، تطوان، 1946، ص 8

313) حسب إحصاء سنة 1946 فإن عدد سكان شفشاون وقبائلها بلغ 135097 نسمة Datos Estadisticos del Territorio de chauen, op cit

وإذا كانت ندرة المواد الغذائية وارتفاع الساكنة وتدهور المستوى المعيشي غير كاف لتفسير مظاهر أزمة المنطقة، فإن المفارقة الأخرى التي تساعد على تفسير ذلك هي تلك المرتبطة أساسا بطبيعة الاستعمار الإسباني الذي تميز بضعفه وقلة موارده، حيث شكل احتلال إسبانيا لشمال المغرب عبئا ثقيلا عليها كلفها موارد اقتصادية هامة(314). كما أن تدخله العسكري لمدة طويلة واستغلاله للموارد القليلة المتاحة بالمنطقة شكل عامل ضغط آخر تسبب في انعكاسات خطيرة على وضعيتها.

4. تطور وسائل الإنتاج والتحولات المرافقة له

لقد ساهم التدخل الاستعماري بمنطقة شفشاون في خلخلة بنية وسائل الإنتاج بشكل عام، حيث كان الهدف الأساسي من كل التغييرات الاقتصادية هو خدمة مصالح إسبانيا لا غير، وهذا ما أدى كنتيجة حتمية إلى الإضرار بوسائل الإنتاج القديمة، وكذا تغير البنية الاقتصادية لشفشاون، التي كانت تقوم على أساس الملكية المشتركة، فلم يراعي المستعمر الإسباني هذه البنية وسعى إلى تحويل الملكية العقارية المشتركة إلى ملكية فردية تخدم مصالح المستوطن الإسباني قبل مصالح الفلاح المغربي، ويظهر هذا بشكل جلي في مجموعة من الظهائر التي أصدرتها السلطات الإسبانية سعت من خلالها للحد من الملكية المشتركة، وفي طليعتها ظهير 14 يناير 1935 الذي صدر بشأن تنظيم وإدراة الأراضي الجماعية، اضطر الفلاحون من خلاله إلى ترسيم أراضيهم والحصول على سندات ملكية خاصة، في الوقت الذي كانت فيه ممتلكات الأسر غير قابلة للتجزئة(315). ومنعت الشفشاونيين من الوصول إلى الغابات التي اعتبرت لوقت طويل مصدرا هاما للدخل

---

314) Jesús Albert Salueña," la economía del protectorado español en marruecos... ", op cit, p 87

315) Mimoun Aziza, La sociedad marroquí bajo el Protectorado español (1912-1956), **El Protectorado español en Marruecos: la historia trascendida,** Edición y coordinación de Manuel Gahete Jurado, p 134

للعديد من الحرفيين كاحتياطي للخشب(316)، هذه التدابير وغيرها لم تساهم فقط في الحد من مداخيل السكان ولكن أيضا في تراجع مؤسسة الجماعة التي لم تعد قادرة على ممارسة دورها السياسي بعد أن صودرت قاعدتها المادية(317).

وقد استعملت في هذه الظهائر العديد من الحيل التي ساهمت في سيطرة المعمرين على الأراضي الخصبة على حساب السكان الأصليين. وقد أدخلت إلى هذه الأراضي جميع الوسائل والتقنيات الحديثة التي تخدم تطوير الإنتاج وكذلك الدفع بأصحابها إلى العمل في أراضيهم. ولم يكن هدف الإدارة الاستعمارية من هذه الإصلاحات إحداث تغييرات جوهرية تعمد إلى تحسين حياة المزارع المغربي بقدر اهتمامها في مصادرة أراضي الفلاحين والاستيلاء على أجودها بأثمان زهيدة لم تتعد 30 فرنك مغربي(318)، ولم تسلم أراضي الأحباس التي تطاولت عليها أيضا وضمتها إلى ملكية الإسبانيين(319)، مما أدى إلى تشتت العديد من الأسر التي هاجرت نحو المدن الكبرى بحثا عن فرص للعمل في الوقت الذي كانت فيه الأرض تشكل مصدرا هاما لدخل الفلاح المغربي(320).

III. عواقب التدخل الإسباني في المجتمع

من نتائج التدخل الاستعماري بمدينة شفشاون أن حدث نوع من التعايش بين طرفان متناقضان، من حيث الهوية والفكر والثقافة، فوقع نوع من الارتباك الذي طرأ على سلوكيات المجتمع في أنماط الاستهلاك والعيش التي أدخلها الإسبان في المجتمع

---

316) أبو عسل، م س، ص 82

317) Mimoun Aziza, La sociedad marroquí..., op cit, p 134

318) رواية شفوية لحسن القلعي ولد سنة 1932 بالقلعة اشتغل بالفلاحة على عهد الحماية الاسبانية، تم اللقاء بساحة محمد السادس بمدينة شفشاون قرب مكتبة المناهل بتاريخ 2014/06/11

319)انظر نص الرسالة التي نشرت **بالجريدية الرسمية**، عدد 15، 10 غشت 1932، ولم يتم استقلال الأحباس إلى غاية 1937، انظر "الاحتفال باستقلال الأحباس"، **الريف**، عدد 44، السنة 1، 1 فبراير 1937

320) Mimoun Aziza, op cit, p 135

الشفشاوني الذي كان مرتبطا فيما مضى بعامل القيم والعادات، وبتحقيق الحاجيات الرئيسية التي كانت تتمحور حول الحرف والصناعة وما يرتبط بها، هذا إلى جانب العزلة النسبية التي تعيش فيها المدينة وما لها من نتائج سلبية حيث ساد نمط واحد من التفكير، هذا الأخير الذي شهد خلخلة في بناه التقليدية ببروز مظاهر تحديثية أساسية، كان لها أثر كبير على حياة الفرد بشكل خاص والمجتمع بشكل عام.

لقد كان لتزايد الإسبان بالمدينة عواقب وخيمة على الهياكل الاقتصادية والسياسية، كما تغيرت البنيات الحضرية، واهتزت القيم والعادات المجتمعية، فظهرت أشكال وأدوات وآليات عصرية ساهمت في تغيير أنماط السلوك لدى السكان الشفشاونيين.

إن التدخل الاستعماري في المجتمع الشفشاوني يمكن اختصاره في بعض المعالم والبنيات الاجتماعية التي عملت على تقليص هامش استقلاليته على عدة مستويات:

1. على المستوى الاقتصادي:

كان القطاع الصناعي ضعيفا وموجها بالأساس إلى إشباع حاجيات الساكنة، فقطاع البناء كان أكثر نشاطا من غيره(321)، وكان لا بد من انتظار نهاية الحرب الأهلية بإسبانيا لتظهر صناعات مرتبطة بالنسيج والجلد، غير أنها لم تصل لمستوى تطلعات ساكنة المنطقة، ومن جانب آخر بسبب منافسة الصناعات الإسبانية الحديثة، ارتفعت نسبة البطالة إلى 22%، وهو مؤشر واضح على الاستغلال المتزايد للمنطقة الذي حرم أبناءها من سبل العيش الكريم(322). كما ضيقت الخناق على بيع المنتجات المحلية للدفع

---

321) بلغت مقاولات البناء بمدينة شفشاون إلى 1445 مقاولة سنة 1946. Datos Estadisticos del Territorio de chauen, op cit, p 213

322) محمد الشريف، " الأصول الاجتماعية والثقافية لأعضاء المقاومة وجيش التحرير بإقليم الشاون (1953-1956)، **مجلة كلية الأداب تطوان**، ع 14، رقم 14، 2007، م س، ص 50

بالشفشاونيين إلى اقتناء المواد الإسبانية المستوردة(323)، إذ فرضت على ساكنة البوادي الحصول على ترخيص لتسويق الزيت، مما خلق أزمة في ندرة هذه المادة فاضطرت الساكنة لاقتناء زيت إسبانيا الذي يصل انطلاقا من مدينة تطوان(324)، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل وضعت عراقيل أيضا أمام وصول المنتجات الفلاحية عبر سن ضريبة قاسية بمبالغ عالية يصعب بها إمكانية تسويق القروي لمنتجاته(325).

كما استدعى وجود الإسبان إلى ظهور حرف جديدة مثل الحلاقة العصرية التي تعتمد على آلات حديثة(326)، بعدما كانت تزاول من طرف الحجامة، والتي أخذت في التراجع على حساب الأولى. وشكل الحضور الإسباني عائقا أمام مصدر رزق بعض الحرفيين الذين عانوا من الظروف المعيشية القاسية، التي تسببت في انعكاسات خطيرة على وضعية وظروف عيش الساكنة، حيث غلقت العديد من الدكاكين الخاصة بالخرازة التي تحولت إلى أماكن لبيع السلع ونتج عنه عطالة العديد من الحرفيين الذين كانوا يزاولون هذه الصنعة(327). ومن جانب آخر نجد أنه فيما يخص سوق التشغيل كانت أجرة العامل المغربي ثلاث بسيطات أو أقل بينما أجرة العامل الإسباني ثماني بسيطات، هذا عدا الإهانات التي كان يتلقاها المغربي من العمال الإسبان(328) وغيرهم الذين كانوا يتمتعون بظروف تشغيل أفضل(329).

---

323) الهبطي، م س، ص 273

324) "حصار شفشاون"، **الحرية**، ع 190، 6 يناير 1940 و أيضا الهبطي، م س، ص 273

325) الهبطي ياسين، م س، ص 174

326) رواية شفوية علي الريسوني، تم اللقاء بتاريخ 2011/03/15 بمقر سكناه قرب الزاوية الريسونية بشفشاون

327) أبو عسل، م س، صص 58-59

328) أمين الريحاني، م س، ص 336

329) Tomas Garcia Figueras, **Marruecos**, Ediciones F.E MC MXL II, Segunda edicion Sin Fecha, p 249

أضف إلى هذا أن عداد كبيرا من الفلاحين المغاربة انخرطوا في النضال السياسي والمسلح بنسبة 38%(330)، مما أثر في مردودية الأراضي ومحصولها.

ومن جهة أخرى فقد تجاوزت إسبانيا كل المواثيق الدولية في حربها على محمد بن عبد الكريم الخطابي، باستعمالها للغازات السامة ضد أهالي الريف سنة 1925، ولم تسلم مدينة شفشاون وناحيتها من هذا القصف "**مما سبب في قتل عدد من الأطفال والنساء، وبتر أطراف آخرين، وإصابة مجموعة أخرى بالعمى**"(331)، ولم تكتف إسبانيا فقط بذلك بل تماطلت و منعت تقديم الأدوية والمساعدة للمصابين من السكان مما انعكس على الوضع الصحي والبيئي للمنطقة فانتشرت الأمراض والأوبئة وتضررت المحاصيل الزراعية وهو ما نتج عنه عواقب وخيمة على المجتمع(332).

2. **على المستوى الاجتماعي**:

ظل سؤال العمل التمديني مطروحا لم يجد الصدى المطلوب أو النتائج المرجوة على أرض الواقع، فقد عززت إسبانيا لوقت طويل العمل العسكري والأمني عن باقي الميادين خلال وجودها بالمنطقة. ورسم ميكيل مارتين صورة قاتمة عن وضعية المجتمع التي تؤكد فشل السياسة الإسبانية على كافة المستويات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، إذ بلغت نسبة الأمية سنة 1956 إلى 95% من السكان المسلمين أكثر مما كانت عليه سنة 1912، في حين بلغ عدد الدارسين في صف الباكالوريا 21 فقط من المغاربة من أبناء البورجوازية الذين كانوا يتعاملون مع الإسبان(333)، ولم يكن عدد المستشفيات يتجاوز عدد أصابع اليد، فاتسمت الحصيلة الاجتماعية بالمحدودية تركزت بشكل كبير في مدينة

---

330) محمد الشريف، " الأصول الاجتماعية والثقافية لأعضاء المقاومة وجيش التحرير بإقليم الشاون (1953-1956)، **مجلة كلية الأداب**، ع 14، رقم 14، 2007، ص

331) الهبطي، م س، صص 118-119

332) نفسه

333) ميكيل مارتن، م س، ص 10

تطوان باعتبارها عاصمة المنطقة الخليفية، التي خصصتها ببناء مجموعة مهمة من المؤسسات الثقافية والتعليمية خدمة للمعمرين الوافدين إلى المدينة.

أما مدينة شفشاون فقد حظيت بدورها ببعض الإصلاحات التعليمية والتربوية، فأنجزت بعض الخطوات المفيدة، إلا أنها لم تسجل أي تقدم يذكر حيث ارتفعت نسبة الأمية في صفوف أبناء المدينة، نظرا لانقطاع العديد عن الدراسة والاكتفاء فقط بمرحلة المسيد، ونظرا لامتناع العديد من آباء المنطقة من إرسال أبنائهم للدراسة في مدارس الإسبان(334).

وقد انعكس سوء الأوضاع الاجتماعية وكثرة الانقلابات وعدم الاستقرار السياسي بإسبانيا على الأوضاع بالمنطقة الشمالية، فقد استغل الشباب في الثورة التي أعلنها فرانكوا Franco سنة 1936، في الوقت الذي التزمت فيه الأنتلجنسيا (الطبقة المثقفة) الحضرية الحياد بتطوان مقابل الحصول على بعض الامتيازات السياسية والمادية([335]). وفعلا فقد تأثرت المنطقة بأكملها من مسألة التجنيد التي طالت العديد من سكان المنطقة الذين التحقوا بصفوف الجيش الاستعماري، نتيجة للضغط الاقتصادي الذي وظفته السلطات الإسبانية خلال فترة الحرب الأهلية، "فتم منع فتح دكاكين جديدة لجعل الساكنة تعاني من الأزمة وتضطر إلى الانضمام إلى الجيش الإسباني(336) مما خلق أزمة واضحة، اضطر خلالها أبناء المدينة شأنهم شأن باقي جهات المنطقة إلى التجنيد في صفوف فرانكو لضمان قوتهم اليومي، كما أن عملية التجنيد كان لها تأثير مباشر على عملية الإنتاج الزراعي. (وقد بلغ عدد المجندين من منطقة غمارة شفشاون 935 فردا). ومع انتهاء الحرب في فاتح أبريل

---

[334]) ياسين الهبطي ، م س، ص 275

[335]) خلوق التمسماني، "آراء في الحركة الوطنية بالمغرب الشمالي مثال مواقف التيار الاصلاحي من انقلاب فرانكو العسكري"، **دار النيابة**، عدد 21، سنة 6، 1989، صص69-72

[336]) خلوق التمسماني، "آراء في الحركة الوطنية بالمغرب الشمالي ، م س، ص 274

عام 1936 بانتصار جيوش فرانكو، والتي خلفت العديد من الأيتام والأرامل بمدينة شفشاون على إثر وفاة عدد من الجنود المغاربة الذين شاركوا في الدفاع عن إسبانيا ودولة فرانكو Franco، إضافة إلى العديد من المعطوبين الذين عادوا بنفسية محطمة معنويا مما أثر على اقتصاد المدينة(337).

أما أجرة العامل المغربي فكانت متدنية جدا، وفي أحيان كثيرة يتم الاعتماد على سجناء الحرب في الأشغال العمومية والخدمات ويتم استغلالهم من قبل إدارة الحماية التي كانت تبخل عن تأدية مصاريف الأعمال التي قامت بها كإنشاء الطرقات وتعبيدها(338).

أدى الحضور الإسباني كذلك إلى نشر نمط سوسيو ثقافي يختلف عن النمط التقليدي بالمدينة، فظهور السينما والمذياع والمدارس العصرية ومكتب البريد والمسرح والمقهى كل هذه الأمور وغيرها اجتمعت لتؤثر بطريقة أو بأخرى في نمط وعادات عيش السكان، ومن البديهي أن تزايد الاتصال بين العنصر الشاوني والعنصر الإسباني ساهم بشكل كبير في عملية التغيير، عبر الاطلاع على نماذج أخرى من الحياة باحتكاكهم بالإدارة والموظفين جعلتهم يتعايشون مع نمط جديد وثقافة جديدة. فظهور أنواع أخرى من اللباس العصري كالسروال الطويل والأقمصة الضيقة أبهرت شباب المدينة، وضع جديد فرض عليهم ضرورة التأقلم مع المستجدات التي جلبها الإسبان معهم. كما تأثر الشاب الشفشاوني كغيره من شباب المنطقة الإسبانية بتسريحات الشعر الجديدة، فتم حلق لحيتهم متشبعين بثقافة الإسبان(339).

---

337) حوار مع علي الريسوني، يوم 2011/03/15، بمقر سكناه قرب الزاوية الريسونية

338) رواية شفوية لحسن القلعي يوم 2014/06/11 قرب مكتبة المناهل بشفشاون

339) رواية شفوية، علي الريسوني،

ومن مظاهر التأثر بالإسبانيين أيضا دخول مجموعة من الألفاظ الإسبانية إلى الدارجة المغربية، كما يتبين من الجدول الآتي:

جدول رقم 15: بعض الكلمات الأكثر استعمالا في اللهجة الشفشاونية

الكلمة	طريقة نطقها باللهجة الشفشاونية	ترجمتها للإسبانية
أكلة من البيض	تورطيا	Tortilla
سوق وساحة ومكان للقعود	البلاصة	Plaza
الفوضى، الدمار	الروينة	Ruina
السقف	البوبيذا	Boveda
الباخرة	البابور	Babor
المصنع	الفبريكا	Fabrica
المطبخ	الكوزينا	Cocina
اللحاف	المانطا	Manta

المصدر: **شفشاون تاريخ، أصالة، حضارة**، تنسيق فردوس التهامي العلمي، جواد أعزاير، نشر جمعية تلاسمكان للبيئة والتنمية، مطبعة إيمبريما مدريد، تطوان، 2012

كما فرض تزايد عدد الإسبانيين الذين توافدوا على مدينة شفشاون على الإدارة الاستعمارية بضرورة تهيئ مجموعة من المرافق الاجتماعية والتعليمية، وفي هذا الإطار قامت بإنشاء مؤسسات تعليمية كانت لها أهداف أيديولوجية حيث شجعت النموذج التعليمي الاستعماري بغية تكوين نخب موالية للاستعمار، الأمر الذي سيؤدي إلى ظهور طبقة اجتماعية جديدة استفادت من امتيازات عديدة منحت لها من طرف الإسبان قادرة على العمل داخل الإدارة الاستعمارية.

وما إنشاء المدينة الجديدة أو الأحياء الإسبانية إلا دليل على الهوة الاجتماعية التي عمدت إسبانيا على إحداثها، فحاولت خلق مجال مغاير عما عليه المدينة القديمة، التي كانت تسهل عملية التعارف والتواصل فيما بين ساكنة الأحياء الضيقة القديمة، لكن مع بناء الحي الجديد الذي كان يعرف بساحة إسبانيا، انقطعت أواصر التعارف والتعاون الذي كان شائعا من قبل(340)، كما أقامت الإدارة الاسبانية لجاليتها كنيسة، ولم يقف عند هذا الحد بل أعطت الحكومة الإسبانية رخصا لفتح محلات لبيع التبغ والخمر، وإن كانت تشكل حالات شاذة، فأصبحت تباع في العلن بمحلات خاصة، والأكثر من ذلك فقد تجرأت الحكومة على فتح دكان على مقربة من المسجد الأعظم إذ لا يبعد عنه سوى حوالي 70 متر، وكذلك محل آخر قرب مسجد بوخنشة إضافة إلى محلات أخرى خارج سور المدينة، وقد كانت أغلب هذه الخمور مستوردة حققت من خلالها اسبانيا أرباحا مالية كبرى([341])، الأمر الذي أثر بشكل جلي على الفئات الشابة بالمدينة، الذين انساقوا أمام التيارات الغربية الإسبانية التي تمس بقيم وعادات المجتمع الشاوني المحافظ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وجدنا المستعمر ينشئ أماكن للفساد والدعارة المنظمة بالقرب من المؤسسات الدينية كالزاوية العيساوية، حيث وقع أصحابها على عريضة يطالبون فيها السلطات بإزالة بيوت البغاء العلني التي تجاور زاويتهم([342])، وهو ما يفسر تطاول الإسبان على حرمة الأماكن الدينية وانتهاكها، عبر الترخيص لفتح مثل هذه المجمعات التي تشجع على الانحراف والفساد العلني، الذي أصبح يعرفه الشفشاونيون إثر دخول العناصر الإسبانية. كما ذكرت جريدة الريف أن سلطات الاحتلال قامت بالاعتداء على

---

[340]) رواية شفوية علي الريسوني، بتاريخ 2011/03/15، بمقر سكناه قرب الزاوية الريسونية بشفشاون

[341]) "من ذاكرة الدكتور عبد السلام الهراس"، **التجديد**، 2003/11/3

[342]) "عريضة الشاون"، **الحياة**، عدد 35، السنة 1، 8 نونبر 1934

المقابر الإسلامية ، كمقبرة "مولاي عبد الرحمان الشريف"، حيث شرعت بنبشها وتدمير مقابرها وبناء مدرسة إسبانية مكانها خدمة لمشروعها الاستعماري(343)، وهي سياسة تهدف إلى تغيير المعالم الإسلامية بالمدينة، ومنعت الأهالي من الدفن بمقبرة "مولاي علي بن راشد"، بخلاف مقبرة النصارى التي لقيت عناية من قبل السلطات إذ أحاطتها بسور، ووظفت حارسا لمراقبتها(344).

ومن أمثلة تطاول الإدارة الاستعمارية على المساجد توقف رفع الآذان في مسجد بوزعافر سنة 1939، نتيجة تخلي نظارة الأوقاف بشفشاون عن تأدية راتب المؤذن(345)، ويستشف من نص عريضة احتجاجية رفعها سكان حي لوبار(346) بخصوص هذا المسجد إلى وزير الأوقاف بالمنطقة الخليفية (محمد بن موسى)، أن أهم خدمة كان يقدمها المسجد للساكنة هي إعلامهم وإشعارهم بأوقات الصلاة، كما أن المسجد لم تكن تقام به الصلوات الخمس أو أي شعيرة دينية(347)، ومما صرح به مساعد المراقب للرحالة الأديب أمين الريحاني أن المسجد بني للزينة والزخرفة الجمالية للربوة التي أقيم عليها(348)، وهو ما يدل على أن السلطات الإسبانية كانت تشجع المغاربة على الخروج عن الطريق القويم لتعاليم الدين الإسلامي والمنع من ممارسة الشعائر الدينية، وبالتالي التقليص من الدور التعليمي والتثقيفي للمساجد في توعية المجتمع، والذي شكل لوقت طويل المتنفس الوحيد الذي احتفظ بثقة المواطن المغربي.

---

343) مراسل، "رسائل لمراسلي الريف حالة المقابر وإهمالها بشفشاون"، **الريف**، م س

344) نفسه

345) المراسل الراعي، "تعليق مراسل جريدة الحرية على العريضة الاحتجاجية التي رفعها سكان حي لوبار إلى وزير الأوقاف بخصوص مسجد بوزعافر"، **جريدة الحرية**، السنة 2، العدد 4، الخميس 7 أبريل 1938، ص 4

346) أحد أحياء مدينة شفشاون

347) بدون كاتب، عريضة احتجاجية، **جريدة الحرية**، السنة 2، العدد 4، الخميس 7 أبريل 1938

348) مقتطف من رحلة الأديب والفنان اللبناني أمين الريحاني إلى شفشاون قادما إليها من مدينة تطوان، الرحلة استمرت سويعات قليلة من يومه الجمعة 22 ربيع الأول 1358هـ وفاق 12 ماي 1939م، وقد دون رحلته هاته في كتابه **"المغرب الأقصى"**،

وقد أورد لنا الحسن العمارتي([349]) في كتابه مجموعة الأحكام الشرعية العديد من القضايا التي بث حكمه فيها، وكان سببها عناصر من القوات العسكرية التي كانت تستوطن المدينة، وقد بلغت ما يقارب 123 حكما من ضمنها قضايا تهم المجتمع الشفشاوني خلال مرحلة الاستعمار الإسباني، وما ألحقه هذا الأخير من أضرار، إذ كثرت الدعاوي من قبل العديد من نساء المدينة ضد جنود من فرق الريجولاريس، مشيرا لكثرة الفساد والاعتداءات، مما نتج عنه تزايد عدد الأطفال غير الشرعيين والأمهات العازبات، حيث أقر أغلبهن حسب النوازل التي وردت عند العمارتي بأن سبب حملهن راجع بالأساس إلى وقوعهن في علاقات غير شرعية مع جنود إسبان([350]). كما وجدنا كذلك في العديد من الوثائق كثيرا من نوازل الاعتداء والسرقة، والخصومات والنزاعات الناجمة عن جنود الريجولاريس على الرغم من أن غالبيتهم مغاربة، والتهافت على القطع الأرضية([351]). وهو ما يعطي لنا صورة عما وصلت إليه الحياة بالمدينة بسبب الاحتكاك الحاصل بين ساكنتها والعنصر الدخيل عليهم، فانعكست بالتالي على سلوكيات الشباب الشفشاوني، واستفحلت ظاهرة الزنى في المجتمع، فسار بذلك السهر في أماكن اللهو أمرا مباحا، وقد انتشرت هذه العادة ليس فقط بمدينة شفشاون ولكن بجل مدن المنطقة الخليفية(352).

كما نشرت جريدة الحرية مقالا صحفيا انتقدت فيه الإدارة الاستعمارية لعدم قيامها بالإصلاحات التي تحتاجها المدينة، إلى جانب فضح الممارسات القمعية للجنود الإسبان

---

[349]) محمد الحسن العمارتي ، **مجموعة الأحكام الشرعية**، ط 1، بيروت، 1991

[350]) نفسه، صص(129-177-215)

[351]) وثائق خاصة للسيد عبد الإلاه العلمي، وهي عبارة عن أحكام صادرة خلال مرحلة أواخر الأربعينات تتضمن العديد من الشكاوي والمتعلقة بالأساس بالقوات النظامية التابعة لمدينة شفشاون

[352]) فرفور أحمد، "الشباب والمدينة"، **جريدة الريف**، 12 فبراير 1940

تجاه أبناء المدينة، مستنكرة ما قام به جندي من اللفيف الأجنبي "الترسيو" Tercio باعتدائه على رجل عامل يشتغل بطحن الحبوب(353).

وقد أشارت بعض المصادر إلى اهتمام السلطات الاستعمارية بتنظيم قاعات للهو والأفراح خصصت للرقص والتسلية، وقد اتخذت هذه الاحتفالات عدة أشكال كانت تتخللها رقصات غربية، إضافة إلى تكريس عادات تخليد مناسبات أعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية وأعياد الملوك([354]).

لقد كان من الطبيعي أن يحصل هذا التأثير الذي استهدف بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وحدة المجتمع المغربي-الشفشاوني، حيث أصبح الشباب يتطلع للتعرف على ثقافة جديدة مغايرة تماما لثقافته بالمدينة المحافظة.

إضافة إلى الخلل الذي أدخلته إلى المجتمع الشفشاوني، قررت الإدارة الاستعمارية من أجل تركيز نفوذها ضرورة إحداث مجموعة من القوانين التي تضبط النسيج الذي سارت تعرفه المنطقة ككل، بغية المحافظة على حقوق مواطنيها فالتجأت إلى تنظيم القضاء، بناء على ظهير 1 يونيو سنة 1914 تم إنشاء محاكم حددت اختصاصاتها بناء على مرسوم آخر صادر بتاريخ 17 فبراير 1915 وقد كانت للدولة الإسبانية وحدها الحق في تعيين قضاتها([355])، فسار بذلك الإسبان يتمتعون بالعديد من الامتيازات والحقوق التي تشمل الجانب الاقتصادي وحرية التنقل في الوقت الذي منع فيه المغربي من التنقل إلى مختلف مناطق البلاد إلا إذا حصل على جواز سفر أو تأشيرة خاصة([356])، وحق

---

[353]) "رسالة شفشاون حادثتان مؤلمتان"، **الحرية**، ع 234، سنة 4، مارس 1940

[354]) Gonzales de lara, op cit,p.21

[355]) محمد أحمد ابن عبود، ، **مركز الأجانب في مراكش: دراسة قانونية لوضعية الأجانب في المغرب قبل عهد الحماية وخلاله**، ط 2، مطبعة الشويخ ديسبريس، تطوان، 1980، ص 127

[356]) نفس المرجع، صص, 134-135. وأيضا محمد وهبي، "شفشاون منذ سنتين"، **الوحدة المغربية**، 6 دجنبر 1940

التعليم والحق النقابي، كما تمتع الأجانب بحرية تكوين الجمعيات وحرية التعبير، في الوقت الذي صدرت فيه إسبانيا لظهير مؤرخ 22 يوليوز 1928 يمنع فيه تأسيس أي صحيفة إلا بموافقة المقيم العام الإسباني الذي كانت له الصلاحية في إلغاء أية جريدة، وإنشاء رقابة حول المطبوعات التي تأتي من الخارج([357]). وكمثال على ذلك أقدمت في هذا الشأن إلى منع صدور العدد الخامس من مجلة السلام في مدينة شفشاون من قبل باشا المدينة ومراقبها(358). إضافة إلى قرار المنع النهائي الذي أصدره الإسبان سنة 1935م في حق جريدة الحرية، بدعوى عدم تمكنها من أداء الغرامات المفروضة عليها(359). والأكيد أن ما كانت تنشره هذه الجريدة وغيرها من انتقادات للإدارة الاستعمارية كانت سببا في حجزها أو منع صدورها، ونظرا للمضايقات التي كان تتعرض لها هذه الجرائد اضطر مراسلوها في أغلب الأحيان إلى استخدام أسماء مستعارة كمراسل جريدة الريف الذي كان يراسل الجريدة باسم "**مراسل فاضل**"(360)، أو الاكتفاء بنشر المقال دون ذكر اسم صاحبه(361).

IV. الطب العصري وتطور الأوضاع الصحية:

لقد كانت الأوضاع الصحية بالمنطقة الخليفية جد متردية، حيث كانت تفتقر لوسائل الوقاية والعلاج مما زاد من انتشار العديد من الأمراض والأوبئة كالجذري والملاريا والزهري والطاعون وغيرها من الأمراض، التي هددت ساكنة المنطقة بأكملها، وذلك

---

[357]) ابن عبود محمد، نفسه، ص 138

[358]) محمد داود، "في مدينة شفشاون"، **السلام**، ع 6، مارس 1934، صص 78-79

[359]) ياسين الهبطي م س، ص 166

[360]) **الريف**، عدد 68، 29 أبريل، 1937 ، وهو تاريخ صدور أول عدد منها

[361]) مثل مقال "قضية الأستاذ أحمد بن المقدم"، الذي صدر من قبل كاتب مجهول، **جريدة الحياة**، 1 مارس 1934. ومقال "قضية ماء شفشاون"، **جريدة الحياة**، 1 يوليوز 1935

راجع بالأساس إلى توجه معظم المغاربة إلى التداوي بالأساليب البدائية والقديمة، فغالبية أولئك الذين امتهنوا صفة المعالج والطبيب كانوا يتواجدون في الأسواق([362]).

ومنذ الوهلة الأولى أولت إسبانيا اهتمامها لخدمة الجانب الصحي، وذلك خوفا من أن يصاب مواطنوها بعدوى الأمراض، فسارعت إلى جمع المعلومات والتقارير السنوية عن الصحة والسكان في منطقة الحماية الإسبانية، وعن نوعية الأمراض المنتشرة بهذه الناحية التي صرحت بوجود 3677 حالة من مرض الملاريا([363]). وبناء على ذلك التجأت السلطات الإدارية إلى اتخاذ العديد من التدابير الوقائية عبر نشر حملات النظافة والتطعيم للأهالي والجيش، لكن كان من الصعب وضع حد لهذا المرض وذلك راجع لعدم توفر عدد كاف من الأطباء الإسبان الذين خدموا في مجال الصحة حيث يوجد نحو عشرة أطباء فقط من بين مئات من العسكريين والمدنيين، إضافة إلى أن نشاطهم المهني كان محدودا حيث وجه لرعاية النساء والأطفال([364])، هذا بالإضافة أنه إلى غاية سنة 1927 ظل العمل الصحي الإسباني في المغرب يمارس من قبل الأطباء العسكريين من الشرطة الأهلية والتدخلات والجيش، فبدأ التفكير بشكل جدي إلى إحداث خدمات مدنية([365]) بناء على ظهير 24 شتنبر1928 عبر إنشاء عيادات ومستوصفات بالمناطق الحضرية([366]).

صورة رقم 4: المستوصف المدني بمدينة شفشاون

---

[362]) VIAL de moria , **españa en marruecos,** op cit , p46

[363]) Francisco Javier Martínez Antonio, "la medicina y la sanidad en el protectorado español en marruecos. Apuntes iconográficos", **AWRAQ** , n.º 5-6. 2012, p 135

[364]) Francisco Javier Martínez Antonio, op cit, p 140

[365]) Vial De Moral, op cit, p 48

[366]) Manuel bermudez parjera (1939), **compaña profiláctica contra el paludisdismo en la zona de protectorado español en marruecos durante el año 1929,** tetuán**,** alta comisaría de españa en marruecos

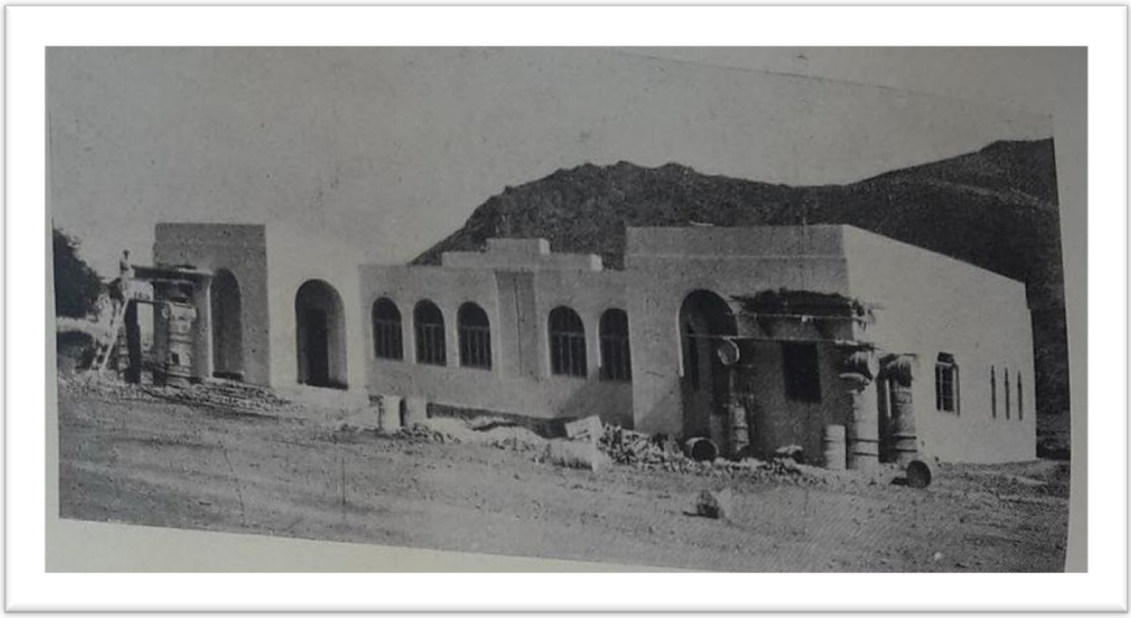

المصدر: Vial De Moral, España en marruecos

عملت إسبانيا على إحداث مراكز صحية بمدينة شفشاون على غرار باقي مدن المنطقة، اعتمدت في أول الأمر على مستشفى عسكري تحت إشراف أطباء عسكريين(367)، ولتخفيف الضغط على مستشفى مدينة تطوان أنشأ مستوصف بلدي مجهز بوحدات طبية بمدينة شفشاون، تتم إدارتها من قبل طبيب البلدية، بمساعدة امرأة من الساكنة الشاونية مخصصة لرعاية النساء المسلمات بالمدينة. وقد تم القضاء على الملاريا إذ حقق انخفاضا قدره 75 %من الحالات المصابة بهذا المرض، كما تمت أيضا عملية التلقيح ضد الجدري أدت إلى تحقيق نتائج مهمة، وسارت إمكانية الإصابة بالعدوى نادرة جدا(368)، وقد عممت هذه المبادرة بناحية غمارة بإحداث خمسة عشر مستشارية طبية قامت بمعالجة حوالي خمسة وخمسين ألفا وأربعمائة من المرضى، ومنحت لهم الأدوية بالمجان(369).

---

[367]) Real orden circular de 15 de septiembre último, **revista de sanidad militar,** año 11, 15 noviembre 1921, N 22 - real de 30 junio de 1921, año 22 1 abril 1922, p 214

[368]) OTERO santiago, op cit, p 107

[369]) "أعمال المراقبة بناحية غمارة وشفشاون"، **مجلة الاتحاد**، السنة 4، ع 43، دجنبر 1930

تمت عملية التوعية والإعلان في الجرائد للتلقيح ضد مرض السل داخل المراكز الصحية بالمنطقة(370)، لكن على الرغم من المجهودات التي بذلتها الإدارة الإسبانية في مجال الصحة إلا أن العديد من أبناء المنطقة لازالوا يعطون للشعوذة معنى في الاستشفاء كاستخدام التمائم والأساليب القديمة(371)، كما كان عدد من ساكنة مدينة الشاون يتجنبون التوجه إلى المستشفى الإسباني كسياسة لمقاطعة المؤسسات الاستعمارية، خاصة وأن تنظيم مجال الصحة يعتبر واحدا من آليات التدخل السلمي لإخضاع الأهالي من جهة، وخوفا من تسرب وتفشي الأمراض في أوساط العنصر الاسباني من جهة أخرى.

وخلاصة القول على الرغم من ضآلة الموارد الاقتصادية بمدينة شفشاون، وضعف التسيير الاستعماري في تدبير مقومات المنطقة ، فقد تم بذل مجهودات كبيرة من أجل تطوير قدراتها واستغلالها. والواقع أن الحماية الإسبانية لم تكن مرادفا لحياة أحسن بمدينة شفشاون، وظلت الإجراءات التي اتخذتها سلطات الاستعمار لا تصل لطموحات الساكنة، التي أصبحت عرضة للبطالة، ويعتبر الصناع التقليديون الذين يشكلون القاعدة الاجتماعية الكبرى في المدينة المتضرر الأساسي.

---

[370]) "الإعلان ضد مرض السل"، **الريف**، ع 223، السنة 4، 12 يونيو 1940، ص 2

[371]) VIAL de moria, op cit, p 46

الفصل الخامس

التحولات الثقافية بمدينة شفشاون على عهد الحماية

عندما دخل المستعمر الإسباني إلى شفشاون وجد فيها ثقافة عربية إسلامية، فجل المصادر التاريخية تشهد بأن المنطقة عرفت ازدهارا ثقافيا وفكريا وفنيا قبل مرحلة الخمول التي أملتها جزئيا ظروف الحرب الاستعمارية، اتسمت بغياب سياسة ثقافية حقيقية.

وقد أتيحت لهذه الثقافة أن تكسب بعض الجديد من خلال الاحتكاك بالثقافة الغربية التي ابتدأت بدخول المستعمر الإسباني، في سياق التوجه الذي اعتمدته السياسة الاستعمارية في عصرنة المجتمع المغربي الشفشاوني. ويمكن الجزم على أن مرحلة الحماية على الرغم من السلبيات التي اعترتها قد أتاحت كثيرا من مظاهر التأثر التي لا تخلوا من الإيجابيات بفعل ربط المدينة بعالمها الخارجي الذي ساعد على إدماجها ضمن مجالات حديثة عصرية، بالمعنى الذي يسمح بالقول أنه بفضل الاستعمار تأتى للمثقف الشاوني إيجاد مكان له ليبرز في مجالات معرفية أخرى شكل المستعمر مصدر إلهام وإبداع له. تميزت المرحلة بإنتاجات معرفية مهمة في الأدب والمسرح، وهذا راجع لا محالة إلى انتشار التعليم الذي عرفته المنطقة الذي شكل أرضية خصبة لبروز نخب مثقفة واعية. إضافة إلى دور الصحافة الذي مثل منبرا إعلاميا فتح المجال أمام شباب المدينة للتعبير عن آرائهم..

ويمكن تكوين صورة عامة عن التحولات الثقافية التي عرفها المجتمع الشاوني، من خلال إلقاء نظرة موسعة حول مختلف هذه الإبداعات المحلية على نحو ما يمكن معاينته في مجال الإنتاج الأدبي والفني.

I. الانفتاح الأدبي ودوره في تثقيف المجتمع

1. المقالات

تفاعل الشفشاونيون بشكل إيجابي مع مختلف الصحف والمجلات التي كانت تصدر بالمنطقة الخليفية، لكونها شكلت منبرا يعبرون بواسطته عن مواقفهم الوطنية ومشاكلهم في ظل الاستعمار الإسباني، لذلك كانوا يقدمون لها الدعم المادي عبر شرائها أو الانخراط معها بشكل دائم. فقد نشرت جريدة "الحياة" في عددها ليوم 21 فبراير 1935 أسماء 104 مشتركا بمدينة شفشاون، تراوحت مبالغ مساهمتهم ما بين 100 و 250 بسيطة إسبانية(372)، وهذا العدد من المشتركين مؤشر واضح على اهتمام الشفشاونيين بالقراءة، وبما تنشره الجرائد من مواضيع كوسيلة لنشر الوعي ومواجهة المستعمر.

ومن بين أهم الصحف والمجلات التي كانت تعرف انتشارا بمدينة شفشاون إضافة إلى جريدة الحياة نذكر:

- جريدة الريف
- جريدة الحرية
- جريدة الوحدة المغربية
- مجلة السلام
- مجلة الأنوار.

ومن مظاهر انتشار الاهتمام بالصحف هو قراءتها بشكل جماعي، حيث ورد في مقال كتبه أحد أبناء المدينة: "**عندما قرأت جريدة الريف عدد 39 تحت عنوان (نداء حار) سرني رأي الكاتب واستحسنت فكرته إلى ما يلتمسه لتغذية هذه البلاد من تأسيس المدارس وقد كنت أقرأ مقالة الكاتب بباب دكان وأمامي ثلة من الشباب**

---

[372]) ياسين الهبطي، م س، ص 165

المنصتين..."(373). والقراءة بشكل جماعي كان لها دور إيجابي نظرا لما يتبع تلك القراءة من نقاشات مفيدة تسمح بخلق الحماس وتوحيد المواقف، إضافة إلى مشاركة الأميين الذين يرغبون في الاطلاع على الأخبار ومضمون المقالات.

وبفضل المواضيع التي كانت تنشرها هذه الصحف والمجلات تمكنت من جذب عدد كبير من القراء والمثقفين الذين برز من ضمنهم أسماء أبدعت في مجال الأدب، حالفها الحظ في تجديد الثقافة وعصرنتها، واقتحمت مجالات سياسية واجتماعية واقتصادية وأدبية، ساهمت إلى حد كبير في توعية المجتمع والتعريف بالقضية الوطنية المغربية، الأمر الذي كان له أثر على مستى التراكم الكمي والنوعي لمقالات أبناء شفشاون الصادرة في مختلف هذه الصحف، كما متضمن في المبيان الموالي:

مبيان رقم 2:

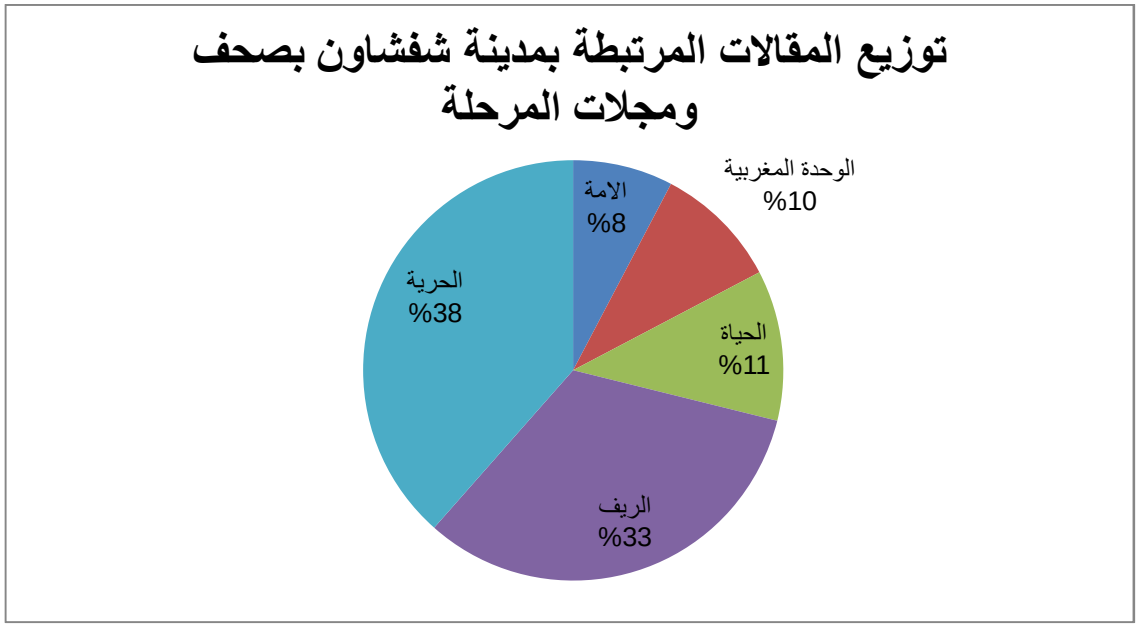

المصدر: أرشيف الجرائد التي كانت تصدر خلال فترة الحماية بالخزانة العامة بتطوان

(373) المفضل الرحموني، "رسالة شفشاون"، **جريدة الريف**، عدد 54، 11 مارس 1937

يلاحظ من المبيان أعلاه أن جريدة الحرية(374) مثلت 38% من مجموع الكتابات المتعلقة بمدينة شفشاون، وقد اطلعنا على عدد كبير من المقالات والأخبار التي نشرتها هذه الجريدة لمراسليها بشفشاون، وخاصة منها المتعلقة بأخبار حزب الإصلاح الوطني، تليها جريدة الريف(375) تتضمن مقالات لصحفيين ولأقلام مهتمة لها قدرة على الكتابة من أبناء مدينة شفشاون، وقد تنوعت مواضيعها بين جوانب اقتصادية واجتماعية وسياسية. تليها جريدة الحياة التي اهتمت بدورها بقضايا شفشاون خاصة تلك المرتبطة بالعمل السياسي.

ومن المهم تقديم نماذج عما كانت تنشره هذه الصحف والمجلات، سواء ما كتب من طرف الشفشاونيين أو ما المرتبطة بالواقع الشفشاوني:

جدول رقم 16: نماذج من الكتابات التي كانت تنشرها صحف ومجلات المرحلة حول شفشاون

الكاتب(ة)	عنوان المقال	اسم المجلة أو الجريدة	العدد	التاريخ
ارحيمو المدني	فتاة مغربية تستنهض المغاربة	الريف	15	15 أكتوبر 1936
الحضري عبد السلام	الأخلاق الفاضلة صراط الحياة المستقيم	الريف	77	7 يوليو 1937
أحمد حمدون	الفرق بين شفشاون الماضي والوقت الحاضر	السلام	6	مارس 1934
المفضل الركموني	رسالة شفشاون	الريف	53	8 مارس 1937
بدون كاتب	إهمال بلدية شفشاون	الريف	51	1 مارس 1937
بدون كاتب	حظ شفشاون من التعليم	الحرية	20	4 غشت 1938
بدون كاتب	حصار شفشاون	الحرية	190	6 يناير 1940
بدون كاتب	خطاب وكيل الحزب	الحرية	23	1937

374) صدر أول عدد منها يوم 14 مارس 1937

375) صدر أول عدد منها يوم 27 غشت 1936، وهي جريدة أسبوعية كان يترأسها التهامي الوزاني أحد نشطاء العمل فالواقع أنها كانت الناطق الرسمي باسم الحركة الوطنية بالمنطقة الخليفية، إلا أنها أصبحت تصدر باسم حزب الإصلاح الوطني حيث كانت تغطي أنشطته في مختلف مدن الجهة. انظر ياسين الهبطي، م س، ص 166

	رسالة شفشاون حادثتان مؤلمتان	الحرية	234	مارس 1940
شاهد عيان	شفشاون تحتفل بابنها المبعوث	الوحدة المغربية		16 شتنبر 1938
بدون كاتب	الذكرى العاشرة للظهير البربري	الوحدة المغربي		24 ماي 1940
بدون كاتب	شفشاون يوم ذكر 20 غشت	الأمة	305	23 غشت 1954

المصدر: أرشيف الجرائد بالخزانة العامة تطوان

ركزت هذه المقالات على الواقع الذي كان يعيشه الشعب المغربي في ظل الاستعمار، وتضمنت مواضيع عالجت جميع الأحداث والقضايا التي انبعثت من صلب المجتمع الشفشاوني كوسيلة لتوعية المتلقي بحقوقه وواجباته، ومهاجمة الاستعمار والتحريض على مقاومته، وانتقاد السياسة الإسبانية عبر التشهير بالاختلاسات التي تعرضت لها حبوس المساجد والزوايا، ولفت انتباه المسؤولين بضرورة الاهتمام بهذه المؤسسات وإصلاحها(376).

اتجهت مقالات أخرى لتسليط الضوء على قضية المرأة والدعوة للرفع من قيمتها(377)، باعتبارها عنصرا فاعلا وجب توعيتها لمحاربة الجهل الذي يعتبر عائقا أمام نمو وازدهار المجتمع، وأن تعليمها سيكون قيمة مضافة تظهر نتائجه على توفير الأسس السليمة لتنشئة الأسرة والمجتمع ككل(378)، وقد ظهرت أصوات نسائية على صفحات الجرائد تنادي بضرورة تعليم الفتاة، ومن بينها رحيمو المفضل في مقال لها بعنوان: " فتاة مغربية تستنهض المغاربة"(379)، يتمحور حول الدعوة إلى التعليم عامة، وتعليم الفتاة بصفة خاصة. للقضاء على الجهل والأمية، من منطلق أن المستعمر لم يتمكن

---

376) بدون كاتب، "رسائل مراسلي الريف مساجد متلاشية"، **الريف**، عدد 72، 13 ماي، 1937
-"نتيجة رحلة"، **الريف**، عدد 115، سنة 2، 9 نونبر 1937

377) " إهمال بلدية شفشاون"، **الريف**، عدد 51، سنة1، 1 مارس 1937

378) عبد القادر التليدي، "رسالة شفشاون"، **الريف**، عدد 57، 22 مارس 1937

379) -ارحيمو المدني "فتاة مغربية تستنهض المغاربة"، **الريف**، عدد 15، 15 أكتوبر 1936

من احتلال المغرب إلا بسبب التخلف المعرفي الذي كان سائدا في ظل غياب مؤسسات تعليمية توعوية(380). ويظهر بوضوح بأن المقاومة ظلت رهينة ولصيقة بمدى توعية المجتمع، من خلال تكريس دعائم اللغة العربية، والدعوة إلى تعلمها وولوج المدارس الوطنية(381).

ومن بين المواضيع التي تناولتها أيضا معظم هذه المقالات، مسألة الهوية والقلق إزاءها، وذلك عبر الدفاع عن المبادئ السامية والعقيدة الإسلامية في مواجهة الخروقات التي نهجها المستعمر، فجاءت هذه الكتابات صريحة وتدعو للتحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة وعدم الانسياق وراء العادات التي يحاول الإسبان إدخالها إلى المجتمع الشفشاوني(382).

وقد أخذت مضامين هذه المقالات أبعادا أخرى فتطرقت إلى دور الفقهاء والمدرسين في المعاهد الدينية والمساجد، إذ من المفترض أن يكون هؤلاء مستقلين عن كل ما يمت إلى المجال السياسي والإيديولوجي بصلة، وفي هذا الجانب انتقد مقال نشر في جريدة الريف موقف شيخ المدرسة العلمية الشفشاونية الداعي إلى طرد الطلبة المنتمين إلى حزب الإصلاح الوطني(383)، واستغلال منابر المساجد الدينية لمناقشة القضايا السياسية بلغة سياسية، من خلال الطعن في مصداقية رجال الحركة الوطنية.

---

380) الرحموني المفضل، " رسالة شفشاون"، **الريف**، عدد 53، سنة1، 8 مارس 1937

381) بدون كاتب ، "المدرسة أعظم سلاح للوطنية"، **الريف**، عدد 72، 13 ماي، 1937

382) الحضري عبد السلام، "الأخلاق الفاضلة صراط الحياة المستقيم"، **الريف**، عدد 77، 7يونيو 1937

383) " إلى المجلس الأعلى للتعليم"، **الريف**، عدد 69، سنة 1، 3 ماي

- رسائل الجهات، رسالة شفشاون"، **الريف**، عدد 63، سنة 1، 12 أبريل 1937

2. الخطب

تلعب الخطب دورا هاما في بناء المجتمع وفي صناعة الوعي وسرعة التأثير في المتلقي بشكل مباشر، وقد اجتهد الأدباء الوطنيون في توظيف أسلوبهم الأدبي لإيصال رسائل واضحة ليس فقط إلى الجماهير الشفشاونية وإنما أيضا إلى المستعمر الإسباني، وفي هذا الصدد كتب محمد المختار العلمي: " كان هذا الخطاب يتراوح بين الصراحة والكناية دون أن يخل بالعبارات الموحية والإشاشرات البلاغية، معتمدا في ذلك على عنصر التمثيل البياني الذي هو من مميزات النثر الأدبي الفني الأصيل..."(384)، فالخطاب الوطني إذا كان سياسي المعنى أدبيا بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

إن انتشار التعليم بمدينة شفشاون شكل أرضية خصبة سمحت بخلق نخب مثقفة قامت بأعمال جليلية لصالح العمل الوطني عبر ما قدمته من إنتاجات في مختلف الميادين، وفي طليعتها الخطباء الوطنيون الذين كان لهم دور فاعل في توعية المجتمع من خلال الخطب الحماسية. وما يجعل هذه الخطب ذات قيمة كبيرة هو مضمونها الإصلاحي والتوجيهي والتحريضي الذي انتشر بين السكان.

ومن بين الخطباء الذين أنجتهم مدينة شفشاون:

العلمي العياشي: من ألمع وجود الحركة الوطنية، ويعتبر من المؤسسين الأوائل لحزب الإصلاح الوطني بشفشاون. ساهم مساهمة فعالة في بث روح المقاومة الشعبية، وذلك بما ألقاه من خطب سياسية كان لها أكبر الأثر والتأثير في المجتمع الشفشاوني، ومن بينها الخطاب الذي أــلقاه بالمسجد الأعظم بمناسبة إقامة صلاة الغائب على شهداء حادث

---

384) محمد المختار العلمي، "إطلالة على الانتاج الأدبي الذي ظل مواكبا للعمل الوطني ضد الاحتلال"، **أعمال ندوة تاريخ المقاومة والحركة الوطنية بإقيم شفشاون 1913-1955**، منشورات المندوبية السامية وقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى، الرباط، 2005، ص120

بوفكران(385) مستنكرا سياسة فرنسا التعسفية، إضافة إلى الخطاب الذي ألقاه بمناسبة الذكرى الأولى لنفي محمد الخامس(386).

المختار العمارتي: نموذج من المناضلين في صفوف الحركة الوطنية، من الخطب التي ألقاها نذكر على سبيل المثال الخطاب الذي ألقاه بمناسبة زيارة عبد الخالق الطريس لشفشاون(387)، والخطاب الذي ألقاه بمناسبة يوم عيد الجهاد(388).

أحمد المرابط المقدم: أحد زعماء الحركة الوطنية بشفشاون، الذين وقفوا في وجه الاستعمار الإسباني، ومن أشهر خطبه، الخطاب الذي ألقاه أمام رئيس الجمهورية الإسبانية Zamura Alcala، وألقي القبض عليه بسببه(389).

كما اشتهرت مدينة شفشاون بأسماء أخرى في هذا الميدان كعبد السلام الحضري([390])، وعبد القادر المقدم، والفقيه عبد السلام الريان(391) الذي ألقى خطابا بمناسبة الذكرى الثامنة لإصدار الظهير البربري(392).

3. الشعر

إذا كان الأدباء الوطنيون قد عالجوا عددا من المواضيع وتواصلوا مع القراء عبر المقالات المنشورة في الصحف والمجلات، ووضعوا الخطب كوسائل لحث المجتمع الشفشاوني على التحلي بالروح الوطنية، غير أنهم لم يكتفوا بذلك، بل أبدعوا في فن الشعر أيضا، وظهرت أقلام نثرية عالجت الواقع الذي يعيشه الشعب المغربي، فبرز "أدب

---

385) الحضري، صلاة الراشدية على شهداء مكناس، **جريدة الريف**، عدد 107، 24 شتنبر 1937

386) بدون كاتب، " شفشاون يوم ذكرى 20 غشت 1954، **جريدة الريف**، عدد 305، 23 غشت

387) بدون كاتب، رئيس الحزب في شفشاون، **جريدة الأمة**، عدد 7، 16 ماي 1952

388) عيد الجهاد الوطني يقام كل يوم 3 شوال من كل سنة، يتم خلاله إحياء ذكرى تأسيس حزب الإصلاح الوطني وعقد المؤتمر العام للحزب بتطوان

389) نشرت جريدة الحياة مقالا تحت عنوان قضية الأستاذ أحمد بن المقدم، انتقدت فيه إلقاء القبض على هذا الشخص وطالبت السلطات الإسبانية بإطلاق سراحه، عدد 2، 8 مارس 1934

390) من مواليد مدينة شفشاون سنة 1910 فقيه وشاعر وباحث في تاريخ شفشاون

391) عبد السلام الريان هو عضو للهيأة الوطنية فرع شفشاون

392) ماي بشفشاون، **جريدة الريف**، 7 ماي 1938

نضالي يقف جنبا إلى جنب مع المقاومة"(393)، ولم يتخلف الشعراء عن الوقوف إلى صف رموز الملحمة، خاصة وأن الخطاب الشعري كما جاء في قول الشاعر الشفشاوني محمد المختار العلمي: "من موقعه الأدبي أدى دوره بنفس الأسلوب الذي اعتمده الخطاب الوطني النثري على الصعيد السياسي، علما بأن الشعر والخطابة تعاونا طوال أيام النضال والمقاومة إلى النهاية، فكلاهما ظل يشكل بجانب الآخر سلاحا واحدا ضد الخصم الوحيد: الاستعمار"(394).

ومن أشهر الشعراء الذين عرفتهم مدينة شفشاون خلال فترة الحماية نجد محمد بوعسل(395)

الذي قال في إحدى قصائده:

أينما كنت تلق جسم صريح*** وصدى الرعب كالرعود أنينا

وإذا مررت في أي حي *** أسمعتك الديار صوتا حزينا

وعدو البلاد يرجف خوفا***من صناديدها وهو غاضبونا(396)

ومن أصحاب الأقلام الشعرية أيضا عبد القادر العلمي الذي قال في إحدى قصائده:

أغنيتي معزوفة بحرمة العساكر

أغنيتي أنشودة الفتيان في العشائر

بديعة مبثوثة في عمل كل شاعر(397)

---

393) الطبال عبد الكريم،"المقاومة في الشعر المغربي: شعراء شفشاون نموذجا"، **أعمال ندوة المقاومة والحركة الوطنية بإقليم شفشاون 1913-1955**، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى، الرباط، 2005، ص114

394) العلمي محمد، **"أطلالة على الأنتاج الأدبي.."** م.س، ص 121

395) محمد بوعسل من مواليد مدينة شفشاون سنة 1936، شاعر ورسام، عمل في قطاع الشبيبة والرياضة ثم التعليم توفي سنة 2009

396) محمد المختار العلمي، الإطلالة...، م س، صص 122-123

397) عبد الكريم الطبال، المقاومة..، م س، ص 115

إن ما يلفت النظر في بعض النماذج من القصيدة الشفشاونية خلال مرحلة الحماية هو التزامها بالقضية الوطنية، وبالمواطن المغربي ودعوته للنضال من أجل وحدة البلاد، واستطاع مواكبة التطورات السياسية التي عاشتها البلاد خلال فترة الاستعمار.

4. المكتبة الراشدية

سنة 1938 تكونت لجنة تضم كل من باشا المدينة اليزيد بن صالح (كمدير شرفي)، والقاضي الحسن العمارتي (كمدير فعلي)، وخليفة القاضي (كنائب مدير)، ثم أحمد السمار(398) (كإداري)، ومحمد الحضري(399) (ككاتب لهذه اللجنة). إضافة إلى لجنة استشارية تكونت من القاضي الجهوي وخليفته وشيخ المدرسة وخليفة الباشا وناظر الحبوس وخطيب الباشوية الجهوية. وقد عمل الاسباني Don Carlos Pereda Roig كمرشد وناصح لهاتين المجموعتين(400).

وقد تلخص هدف هذه اللجنة في النهوض بالمجال الثقافي والتعليمي بالمدينة، فعقدت يوم 14 يوليوز سنة 1938 أول اجتماعاتها، ناقشت فيه موضوع البحث عن موارد مالية لتوفير الكتب الضرورية بمختلف الطرق. وقد بدأت نتائج هذا الاجتماع تظهر جليا للعيان في 4 ماي 1940 بتأسيس مكتبة عمومية ثقافية بالمدينة، تحت اسم المكتبة الراشدية، وقد كان القصد من إنشاء هذه المكتبة هو تعميم ونشر المعرفة في وجه أبناء المنطقة وبمبادرة العديد من المواطنين الذين أسهموا إلى جانب هذه اللجنة في تمويل المكتبة وإغنائها عبر

---

[398]) أحمد السمار من وجهاء مدينة شفشاون والفاعلين بمسيرتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ظل الاحتلال الإسباني بما تقلده من مناصب، توفي سنة 1976

[399]) محمد الحضري ولد بشفشاون سنة 1901، درس بمدينة فاس سنة 1925، وعاد منها سنة 1930 ليشتغل بالعدالة. توفي سنة 1985

[400]) Valderrama, **Historia de la accion**, op cit, p 711

التبرع بالكتب(401) أو بالمال(402)، حيث تم جمع عدد هام من الكتب وأرصدة مالية لا يستهان بها.

احتوت المكتبة في بادئ الأمر أربعمائة كتاب معظمها باللغة العربية، وخلال سنة 1954 تم إغناؤها بعدد كبير من المراجع الجديدة التي أسهمت في إشعاع هذه البناية الثقافية(403).

سهر على تنظيم هذه المكتبة محمد زيطان(404)، عبد السلام الوراكلي(405)، الهاشمي السفياني(406)، وأحمد العلمي كمساعد له. مارست هذه المكتبة الإعارة الخارجية والداخلية حتى يستفيد الطلاب والباحثون من الاطلاع على الكتب التي تحتويها، إذ كان في إمكان المستفيد أن يستعير الكتب لأقل من أسبوع إذا كان الكتاب متعدد النسخ بالمكتبة، أما إذا كان للكتاب نسخة واحدة فقد كانت تعطى الأولوية للإعارة الداخلية حتى تعم الفائدة(407).

---

401) مثل كتاب "أحكام القران" لابن العربي مسجل بالمكتبة تحت رقم 8/1 مهدا من طرف محمد الحسني العلمي(أحد قضاة المدينة خلا ل فترة الحماية)
- كتاب "تذهيب الكمال-خلاصة أسماء الرجال"، للحافظ صفي الدين بن عبد الله الخزرجي الأنصاري/ مسجل برقم 1841
- كتاب تاريخ ابن خلدون" بجزئيه الأول تحت رقم 1158 والثاني برقم 159 تم اقتناؤه من ثمن جلود الأضحية التي تبرع بها الأهالي، انظر ابن يعقوب محمد ، **الهاشمي السفياني رجل زمانه بشفشاون**، ط 1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2009، صص 104-105

402) ابن يعقوب ، نفسه

403) Valderrama, op cit, **Historia de la accion**, op cit, pp 711-712

404) من مواليد مدينة شفشاون سنة 1910، درس بجامعة القرويين بمدينة فاس، أول قيم على المكتبة عند تأسيسها توفي سنة 2000

405) أحد قضاة مدينة شفشاون خلال مرحلة الحماية

406) الهاشمي السفياني ولد بمدينة شفشاون سنة 1914. فاعل جمعوي تولى العديد من المناصب كالفقه والعدالة خلال مرحلة الحماية توفي سنة 1986

407) أبو عسل، م س، ص 92

II. المسرح والجمعيات في خدمة القضايا الوطنية

1. التجربة المسرحية في مدينة شفشاون

اكتسب المغاربة ممارسة المسرح من خلال زيارات الفرق المسرحية العربية لشمال المغرب، إلى جانب فرق أخرى من اسبانيا التي ساهمت في تعليم المغاربة لتقنيات المسرح الإسباني، والولوج إلى امتهان حرفة التمثيل، وتم إضفاء الطابع المؤسساتي عليها من خلال المسارح التي عمدت الادارة الاستعمارية إلى إحداثها وقد كانت مدينة تطوان(408) الأوفر حظا في هذا المجال.

وقد عرفت مدينة شفشاون بدورها مسرحا في فترة الوجود الإسباني وهو المسرح البلدي، وقد قام هذا الممسرح بدور هام في تنشيط الحركة الفنية والأدبية والسياسية، وقد خصص أيضا للندوات الثقافية والخطب السياسية لكثير من الوطنيين والأحزاب السياسية كحزب الإصلاح الوطني(409).

على الرغم من أن سلطات الحماية لم تبذل أي جهد في تشجيع المغاربة على ممارسة المسرح، إلا أنهم بدأوا يمارسونه ويوظفونه كوسيلة لتوعية المجتمع وتعريفه بقضايا الحماية، اعتمادا على مواضيع ملتزمة ذات حمولة وطنية تكشف نوايا المستعمر وأساليبه القمعية.

وانطلاقا من هذا المعطى، اتجه فئة من مثقفي المدينة إلى إنشاء لجنة تسهر على إعداد الروايات وتمثيلها سميت "الفرقة التمثيلية الراشدية"، وقدمت عددا من المسرحيات

---

[408]) شيدت بمدينة تطوان مجموعة من المسارح من أهمها: مسرح الملكة إزابيل الثانية سنة 1860، ومسرح الملكة فيكتوريا سنة 1914، إضافة إلى مسرح إسبانيول سنة 1916، كما تم بناء مسرح تم بناء خلال سنة 1917 في ملك عائلة يهودية، وقد تغير اسمه بعد الحرب الأهلية للمسرح الوطني وقد تغير اسمه بعد الحرب الأهلية الإسبانية للمسرح الوطني. انظر في الموضوع الزبير بن الأمين، **مسرح إسبانيول ذاكرة تطوان الفنية**، مطبع الخليج العربي، تطوان، ط 1، 2015

[409]) حفلة خطابية بشفشاون، **الريف**، عدد 35، 31 دجنبر 1936

من بينها "انتصار الحق بالباطل"، التي لقيت إقبالا كبيرا من الساكنة الشاونية([410])، وهي من تأليف الزعيم الوطني عبد الخالق الطريس أول الذين رأوا في المسرح فرصة لنشر الأفكار الوطنية(411)، وهو ما أعطى للمسرحية طابعا وطنيا في مضمونها، وقد تمت إعادة تمثيل هذه المسرحية من قبل مجموعة من الطلبة الذين كانوا يدرسون بمدينة فاس إذ قاموا بتأسيس فرقة تحت اسم "فرقة العلم"، ومن بين أعضائها عبد القادر الخزاني ومحمد العلمي وعبد القادر العافية(412) وعبد السلام الهراس والمكي الريسوني(413) ومحمد شهبون([414]). إضافة إلى مسرحية "قف أيها المتهم" بتاريخ 12 أبريل 1941، وهي رواية ذات طابع أدبي أخلاقي اجتماعي تميزت بدقة ألفاظها ومعانيها في الإيصال، وقد كانت بدعم من محمد المكي الناصري زعيم حزب "الوحدة المغربية"، وقد شخص أدوارها مجموعة من طلبة المدينة([415])، يتدربون بمقر فرع الحزب المذكور.

وعن الهدف المتوخى من تقديم مسرحيات لجمهور مدينة شفشاون كتب أحد الطلبة: " اتفقنا نحن معشر الطلبة أن نعرض على أنظار الجمهور الشفشاوني رواية اجتماعية أخلاقية تعالج أمراضه الفتاكة وتداويه من سقم الجهل وتنبهه إلى ما له وما عليه"(416).

---

[410]) منصف، "شفشاون في طورها الجديد"، **الوحدة المغربية**، عدد 179، 2 ماي 1941
- بدون كاتب، "شبابنا في ميدان التمثيل"، **الحرية**، عدد 470، 20 فبراير 1941

[411]) Josep Lluís Mateo Dieste, "el teatro nacionalista marroquí: escenario de luchas políticas y cambios sociales", **en el protectorado español en marruecos: la historia trascendida**, v 1, Impresión tf. artes gráficas, p 109

[412]) عبد القادر العافية من مواليد مدينة شفشاون سنة 1932، أستاذ بكلية الآداب بالرباط شعبة الدراسات الإسلامية، له عدة أبحاث منشورة بمجلة دعوة الحق، ومت تاليفه " الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بمدينة شفشاون وأحوازها خلال ق 16

[413]) المكي الريسوني من مواليد شفشاون سنة 1929، من نشطاء المدينة جمعويا وسياسيا عمي في مجال التعليم الابتدائي توفي سنة 1996

[414]) رضوان احدادوا، **مسرح عبد الخالق الطريس**، ط 1، دار الشويخ للطباعة، تطوان، 1988، ص.116

[415]) شخص دور العاشق : الحسين الطالب الأديب المختار العمرتي، نجيب صديق عطاء: الأديب المفضل إيحو، جميل صديق نجيب: عبد السلام بورياب، فؤيد المطرب: محمد بن عياد، رئيس الشرطة: عبد القادر بن المجذوب، رئيس المحكمة: المفضل الحموني، مندوب الدولة: عبد القادر المجذوب، كتاب وجنود: احمد بن يحيى، عبد الله الدراوي، محمد بورياب، العياشي الفاسي، منصف، "شفشاون في طورها..." م س

[416]) الهبطي، م س، ص 157

خضعت هذه المسرحيات إلى رقابة المستعمر، وطالبت المؤلفين بتقديم هذه النصوص للاطلاع عليها قبل تقديمها، حينما رأوا فيها وسيلة لتخريب النظام الاستعماري، ويشكل في الآن نفسه مساحة شاسعة للتأثير في المجتمع(417). وما توجه الحركة الوطنية إلى المسرح إلا دليل على أن الحضور الإسباني كان له تأثير قوي على النمط والمستوى الثقافي للمجتمع المغربي، الذي أخذ يبحث عن وسائل أكثر تطور تخول للوطنيين تمرير حمولات سياسية وزرعها في المجتمع بطريقة غير مباشرة وبالاعتماد على دلالات رمزية يسهل التقاطها وتمريريها، وفي الأخير زرعها في العقول المغربية، لأن محتوى المواضيع والأعمال المعروضة يعطينا فكرة عن نوعية النضال الذي ينهجه الوطنيون ليس فقط على مستوى النصوص المسرحية، ولكن أيضا في كيفية إلقاء الممثل وطريقة تعايشه مع أحداث الرواية(418).

كان المسرح إذا أداة للتوعية والتثقيف والتنوير أكثر مما كان أداة للتسلية والترفيه والإمتاع، لذا فقد عم إشعاعه بين جميع الفئات الشعبية وصار أداة للنضال ومواجهة المستعمر الإسباني.

2. الجمعيات:

تفطنت الفئات المثقفة بالمدينة إلى أهمية العمل الجمعوي الذي فرضته الظرفية السياسية التي شهدتها المنطقة، والواقع أن ممارسة هذا العمل لم يكن إلا لضرورة الوعي الكامل والمطلق بأهمية العمل المشترك.

أ- جمعية النهضة الأدبية

---

417) Josep Lluís Mateo Dieste, "el teatro nacionalista marroquí...", op cit, p 113
418) Ibid, p 115

تعتبر أول جمعية معترف بها بمدينة الشاون، وقد كانت هناك محاولة سابقة ترجع إلى يوينو 1937 لتأسيس جمعية من هذا القبيل ويتعلق الأمر "بجمعية النهضة الريفية"، حيث قام مجموعة من الشباب بوضع قانون أساسي لها، وتم عرضه على الحكومة الاستعمارية، لكن هذه الأخيرة لم تقدم لهم ترخيصا لمزاولة هذا العمل([419])، الأمر الذي دفعهم إلى إعادة الكرة، رغبة منهم في إحداث إطار يجمع الأدباء الوطنيين، فنجحوا في إنشاء جمعية النهضة الأدبية الراشدية برئاسة المختار العمارتي([420])، وقد تمثلت أهداف هذه الجمعية في المساهمة بالاحتفاء بفناني ومبدعي المدينة، وتحقيق التواصل بين شباب المدينة في إطار ثقافي ترفيهي، وقد كان للجمعية نشيد خاص بها([421])، وظلت هذه الجمعية في أنشطتها لست سنوات.

ب-الجمعية الخيرية الإسلامية

وهي جمعية ذات طابع اجتماعي، تم تأسيسها سنة 1937، على يد بعض الوطنيين من أجل إرساء قيم التعاون والدعم للفقراء، عبر جمع التبرعات وقد حضر حفل تأسيسها أعضاء فرع حزب الإصلاح الوطني بالمدينة([422])، فتكلف برئاستها أحمد بن المقدم العمرتي، و خلفه المهدي وجنه، وعلاوة على ذلك تم تأسيس ملجأ ومأوى للمتسولين الذين يتم جمعهم بتعاون مع حراس البلدية ومقدمي الحومات، وقد آوى هذا الملجأ ما بين 40 و 50 شخص، وقد ساهم في التخفيف من ظاهرة التسول بمدينة شفشاون، كما توفر على قسم طبي([423]) ونظرا للنجاح الذي حققته الجمعية تأسس ملجأ آخر.

---

[419]) "جمعية أدبية بشفشاون"، **الحرية**، عدد 13، سنة 1، 13 يونيو 1937

[420]) وقد ضم مكتبها بالإضافة إلى المختار العمارتي، المفضل العاقل (نائب الرئيس)، الهاشمي السفياني (كاتبا)، أحمد زيطان (أمين المال)، محمد الشعال، الحسين النير، عبد القادر بن شدغان، وكلهم أعضاء، انظر ابن يعقوب، **الهاشمي السفياني**..، م س، ص.86

[421]) مطلعه شفشاون الحاضر شبابنا ضمأن لمنبع العرفان وكله بقضان. الهاشمي ، ص.90

[422]) ابن راشد، "تدشين الجمعية الخيرية"، **الريف**، عدد 96، 13 غشت 1937

[423]) الدراوي عبد القادر، "نشاط الجمعية الخيرية"، **الريف**، عدد 80، 18 يونيو 1937

ت-الجمعية العلمية لتأسيس المكتبة العمومية الشفشاونية:

تم تأسيسها سنة 1938 والغاية هي العمل على إنشاء مكتبة عمومية لفائدة سكان المدينة، وفيما يتعلق بمديريها فقد جمعت بين وطنيي المدينة إضافة لإدارة إسبانية، وكان مقرها داخل القصبة، واعتمدت على جمع التبرعات إما بالكتب أو المال([424]).

ث-جمعية فكرة الطالب

تم تأسيس هذه الجمعية خلال سنة 1953 من طرف كاتبها المفضل شدغان(425) الذي يعود له الفضل في ظهورها، وقد تشكل أول مكتب لها إضافة إلى هذا الأخير من محمد بن عبد الكريم العمارتي(426) أمينا ومحمد السمار(427)، وابن عبد الرزاق وعبد الرحمان العمارتي(428) وعبد القادر السمار(429) ومحمد التليدي(430) كأعضاء مستشارين، وقد كان غالبية أعضائها ينتمون إلى شبيبة حزب الإصلاح الوطني، وتجلت أهدافها فيما يلي: "**التكوين الذاتي من الناحية الأدبية والعلمية، وخدمة الصالح العام، مع البعد عن التبعية لأي تيار سياسي منافس، وترك الحرية لكل فرد أن ينتمي لأي تيار شاء خارج نطاقها**"([431]). وقد كان للجمعية نشيد خاص بها له دلالة حيث يعكس البعد الثقافي والديني والأخلاقي الذي أنشأت من أجله:

فكرة الطالب تعلو بافتخار*** للمعالي كل يوم في ازدهار

---

[424]) "نشاط العناصر الصالحة في المدينة الراشدية"، **الوحدة المغربية**، عدد 56، 2 شتنبر 1938

[425]) ولد سنة 1933 بمدينة شفشاون، درس بها وبمدينة طنجة، نشط في المجال الثقافي والسياسي والاجتماعي، كما عمل بسلك التعلم الابتدائي

[426]) محمد بن عبد الكريم العمارتي من مواليد مدينة شفشاون سنة 1928، ناشطا جمعويا وسياسيا، تلقى تعليمه بالمعهد الديني بشفشاون

[427]) محمد السمار ولد بشفشاون سنة 1936، عمل في قطاع التعليم بالمدينة.

[428]) من مواليد مدينة شفشاون سنة 1932، درس بالمعهد الديني وبه حفظ القرآن

[429]) عبد القادر السمار ولد سنة 1939 بشفشاون، وبها حفظ القرآن، درس بمعهدها الديني ثم بفاس، كما عمل بوزارة العدل بمحكمة شفشاون

[430]) محمد التليدي تاجر بمدينة شفشاون من مواليد سنة 1929

[431]) ابن يعقوب، **الهاشمي السفياني**، م س، صص.93-94

تنشر العلم ضياء للعقول *** مورد الشبان بستان الثمار

صوتها بين الجبال يصدح*** شعله العلم تعيد ما اندثر

بإيمان وإخلاص اتصفت *** تخدم البلاد ليلا نهارا

باتحاد ونضال في الحياة*** تجمع الشمل لأبناء الحضر

ذروة المجد بشفشاون علت *** وبدين الله تنجو من خطر

تكن الحب إلى يوم اللقاء*** بمليك رمز عز وظفر([432]).

يجسد هذا النشيد الدور الذي لعبته الجمعية في الحياة السياسية خلال فترة الحماية بمدينة شفشاون، ودورها الأخلاقي والاجتماعي، متشبعة بالايديولوجية الإسلامية كمرجعية عامة مؤطرة لصيرورة الأحداث في توجهها العام.

وفيما يتعلق بمداخيل الجمعية فإنها كانت من اشتراكات أعضائها المنخرطين الذين كانوا في تزايد مستمر، كدليل على النجاح الكبير الذي شهدته، فأصبحت معروفة إقليميا وجهويا ووطنيا، كما توجهت نحو العمل المسرحي.

III. إنشاء التعليم العصري بالمدينة:

1السياسة التعليمية الإسبانية

كانت إسبانيا واعية تمام الوعي بأن تحقيق الاستمرارية في بسط هيمنتها على مناطق نفوذها لن يحدث إلا عبر القيام بمجموعة من الإصلاحات في العديد من الميادين، ومن أهمها ميدان التعليم باعتباره المنفذ الرئيسي الذي يسهل من خلاله تمرير الأفكار والإيديولوجيات، وبالتالي ضمان تنشئة جيل جديد يخدم المصالح الاستعمارية، ويتضح

[432]) نفسه، صص.94-95

هذا جليا حين معاينة السياسة التي اتبعتها إسبانيا، إذ زعمت من خلالها أنها تسعى "**لتحسين المجتمع المغربي وتقديم الإعانات اللازمة للرفع من المستوى الفكري لدى السكان عن طريق التعليم**"(433).

لقد أحدثت إسبانيا ثلاث نماذج تعليمية مختلفة لتحقيق أهدافها، وذلك من خلال إنشاء نمط تعليمي يعزز دور المدرسة وتأثيرها في المجتمع الشفشاوني، واعتمدت بالأساس على التفرقة بين فئات المجتمع وفقا لانتمائهم الديني والاجتماعي. وشملت مدارس التعليم الإسباني، والمدارس الإسبانية العربية، ثم المدارس الإسبانية اليهودية، وقد شكل الإسبان العنصر الرئيسي في صياغة هذه النماذج الثلاثة، مع مراعاة للخصائص والمواد التي تتناسب ووضعية كل مدرسة([434]). ولم تلب المدارس الإسبانية التي تم استحداثها حاجيات مستعمراتها في المنطقة فحسب، بل شكلت فضاء لنشر اللغة والثقافة الإسبانية بين الساكنة الذي من شأنه أن يفضي إلى إحداث اختراق لغوي أكبر وتكوين نخبة داخل إطار المبادئ الايديولوجية للمستعمر، لشغل مناصب في الإدارة الإسبانية كمترجمين وأمناء(435)، وضمان خلق جيل جديد بعيد عن قضيته الوطنية، والضرب في مقومات الهوية الوطنية لشل حركة المقاومة. أي أن فكرة إنشاء مدارس إسبانية لم يكن الغرض منها تحسين مستوى حياة الساكنة كما روج لذلك من قبل، وإنما ينظر إليها كأداة مكملة لتعزيز السيطرة السياسية والعسكرية، باستعمار فكري يضمن الوجود الإسباني بالمنطقة لأطول فترة ممكنة ولن يحدث ذلك إلا عبر توسيع استخدام المنهاج الدراسي الإسباني في

---

[433]) Valderrama, **Historia de la accion**, op cit, P43

[434]) Irene González González," Escuelas, niños y maestros: la educación en el protectorado español en marruecos " **AWRAQ**, N.º 5-6. 2012, p 119

[435]) Irene González González," Escuelas, niños y maestros, op cit, p 119

المدارس من خلال زيادة عدد المؤسسات التعليمية العصرية ذات الطابع الاستعماري، وتعميمها في جل جهات المنطقة الخليفية.

فبعد تحقيق الاستقرار السياسي والعسكري بمنطقة شفشاون وناحيتها، شرعت سلطات الحماية في إنشاء مجموعة من المدارس، حيث ركزت نشاطها على إحداث مدارس حضرية وقروية، "**من أجل الانتقال بهذا المجال إلى ما يريده الإدارة الاستعمارية (تمرير الثقافة والتقاليد الاسبانية)، وبالتالي لتحقيق السلم**"(436)، لكونها كانت ترى أن إحداث مدارس خاصة بالمغاربة يعتبر إحدى الوسائل المهمة بل الكفيلة لتهدئة المنطقة.

كان للمؤسسات التعليمية الإسبانية دور كبير خدم المصالح الاستعمارية الإسبانية لأن انتشار الوجود الإسباني هو رهين بانتشار هذه المدارس على طول خريطة المنطقة الخليفية بما في ذلك المناطق القروية.

2. المؤسسات الاستعمارية الإسبانية

أ- مدرسة رامون كاخال Ramon y cajal

صورة رقم 5: مدخل لمجموعة مدارس رامون كاخال"Ramón y cajal

المصدر: estadomayor central delejército S.H.M, geografia de marruecos, t III, (sin número pagina)

436) Valderrama, **Historia de la accion**, op cit, p 173

انطلقت البدايات الأولى في مسألة تحديث التعليم الإسباني بمدينة الشاون بإنشاء أول مدرسة ذات نوايا استيطانية تحت إشراف أساتذة اسبان دون أنطونيو أرياس Don Antonio Arias ودون فرناندو لوبيث Don Fernando Lopez(437). وقد كان على إسبانيا انتظار ثلاث سنوات كاملة بالضبط حتى سنة 1927 إثر نهاية مرحلة التهدئة بالمنطقة فبدأت تشهد نوعا من الاستقرار السياسي والعسكري، مما شجع على تطوير المؤسسات التعليمية المزدوجة الإسبانية- العربية، فاعتمد في أول الأمر بمدينة شفشاون وكباقي المدن على مدرسة واحدة سميت مدرسة رامون كاخال (Ramon y cajal)(438)، كانت تعتني بتربية وتعليم الأطفال مغاربة وإسبان. وانطلاقا من التعديلات التي تم إحداثها في مجال التعليم والخاصة بإنشاء مدرسة إسبانية عبرية موجهة إلى الفئات اليهودية، تم صدور ظهير 7شتنبر 1935 يحتم على جل المدارس الإسبانية ضرورة تحديد تخصصاتها وإضافة تدريس اللغة العبرية ومن ضمنها مدرسة رامون كاخال(439).

وخلال سنة 1929 انطلقت ورشات بناء مجموعة مدارس مجهزة بأربعة أقسام وقد فتحت أبوابها رسميا سنة 1931 بالاعتماد على المدرسين التاليين:

- دون أنطونيو موراليس DON Antonio Morales
- دونا باسترا Dona Pastara
- دياس .Diaz le conte
- دونا ليديا فيجيراسDona lidia Suquet Figueras (440)

---

437) valderrama, **Historia de la accion..,** op cit, p 233

438) رامون إيكخال هو عالم إسباني صاحب أعمال تشريحية ونظرية في الأعصاب، وقد اقتسم جائزة نوبل في الطب مع العالم الإيطالي غولي سنة 1906

439) Dahir de 7 de septiembre 1935, **bozpem** 1935, de 30 de noviembre de 1935, pp.1427-1430

440) Valderrama , **Historia de la accion..,** op cit, p.274.

وقد اتسعت القوة الاستيعابية للمدرسة سنة 1933 بإضافة قسمين آخرين ليصبحوا حينئذ ستة أقسام في المجموع، تحت إدارة مدير إسباني الجنسية كان اسمه دون خواكين سونشيز DON Joaquin Sanchez الذي تسلم هذه المهمة في يوم 8 أكتوبر سنة 1942(441).

ب- مدارس التعليم الأولي للذكور

أصبحت هذه المدارس واحدة من الركائز الأساسية للسياسة الاستعمارية الإسبانية، الهدف منها استمالة ساكنة المنطقة الخليفية ومن بينها مدينة الشاون للتعلم داخل هذه المؤسسات التي عرفت تقدما هاما مع مجيء فرانكو، الذي عمل على إدخال سلسلة من الإصلاحات التعليمية. فبعد أن تمكنت الإدارة الإسبانية من تنظيم التعليم الإسباني بالمغرب، شرعت إلى إصدار العديد من الظهائر التي تحث على تنظيم التعليم الإسباني-العربي ومن بينها ظهير 18 يوليوز 1935([442])، وثم ظهير سنة 1937([443]) وتكون بذلك السلطات الإسبانية قد قدمت إجابة على واحد من مطالب الحركة الوطنية التي دعت إلى تطوير التعليم الحديث الذي أخذ بعين الاعتبار خصوصية المغاربة، وكذا تصميم منهج تربوي يقوم على أساس تعريب النموذج التعليمي، إضافة إلى ضرورة إشراك المعلمين المغاربة داخل المؤسسة التعليمية(444).

---

[441]) Ibidem

[442]) Dahir de 18 de julio de 1935, aprobando y poniendo en vigor la reforma de la ensenanza hispano-arabe en la zona, **BOzpem**, pp. 30-33

[443]) Dahir reorganozando la ensenanza hispano arabe, **bozpem**, 10 febrero de 1937, pp.99-100

[444]) Irene González González," Escuelas, niños..", op cit, p 128

وانطلاقا من هذه المعطيات صدر ظهير آخر قضى بضرورة تنظيم هيأة من المدرسين المسلمين لخدمة التعليم المغربي([445])، عبر تأطيرهم ليكونوا مؤهلين لتلقين الطلاب لقواعد اللغة العربية والدين والأخلاق، وتوسيع معارفهم في مجال الجغرافيا العامة والتاريخ الإسلامي والمغربي([446])، وقد وكلت مهمة إعادة تنظيم التعليم المغربي للمفوض السامي([447]).

جدول رقم 17: أسماء المدرسين المسلمين بمؤسسات التعليم الإسباني(448)

المدرسة	أساتذة اللغة العربية	الفقهاء
مرسة التعليم الابتدائي للذكور	محمد بن أحمد العمراني	- محمد بو ذياب -محمد الحداد الخمسي
مدرسة التعليم الابتدائي للإناث	رحيمو ميمون	رقية بنت صالح

ففكرت إسبانيا في إنشاء مدارس أطلقت عليها اسم "المدارس الابتدائية الإسلامية"، وقد ركزت على إدراج كلمة إسلامية كسياسة من جانب إسبانيا لاستمالة أبناء المنطقة وكسب ثقتهم في التعليم الاستعماري، وما دام معظم مناطق الحماية الإسبانية متشبثون بالتقاليد والأعراف وحرصهم على تعليم أبنائهم لتعاليم الدين الإسلامي، فإن الحاجة إلى وجود هذا النموذج ساهم بشكل كبير في تعميم التعليم الإسباني. وعلاوة على ذلك تأسست مدرسة خاصة بالذكور المغاربة بمدينة شفشاون في شهر فبراير سنة 1927 بإشراف

[445]) Dahir de 13 de diciembre de 1938 poniendo en vigos el reglamesto del cuerpo de profesorado musulman al servicio de la ensenanza marroqui, **BOZPEM**, diciembre de 1938, pp.873-886

[446]) Valderrama fernando martinez (1955), **manual del maestro español en la escuela marroqui**, tetuan, edatora marroqui, pp.99-100

[447]) Dahir de 31 diciembre de 1940 reoganzindo la ensenanza marroqui en la zona protectorado, **BZPEM**, 8-20 MARZO1 940, pp.203-212

448) Oficio N675 de fecha 24 de febrero memitiendo a las escuelas musulmanes de la zona cudrnos y lapiceros que les la correspondido, sección 1/5, EX 74 1/2756, el sivicio el enseñanza hispano- árabe fokaha el mudarrisin

أستاذ إسباني هو دون أنطونومراديس Don Antonio Morades في ساحة وطاء الحمام(449). وفي سنة 1933 انتقلت إلى مقر جديد بباب العين فأصبحت مدرسة مشتركة يدرس بها الإسبان والمغاربة معا، احتوت عدة فروع ومواد دراسية علمية.

صورة رقم 6: صورة جماعية لتلامذة مدرسة مولاي علي بن راشد رفقة مدرسيهم

المصدر: Valderrama, **Historia de la acción cultural,** op cit, (S.N.P)

توسعت هذه المدرسة سنة 1936 لتشتمل على فضاءات وملاعب للرياضة(450)، وقد لقبت باسم مولاي علي بن راشد في 14 فبراير1953، وهي أول مدرسة فتحت لتعليم أبناء المسلمين وذلك لمنافسة التعليم المغربي العتيق، ورغم توجهها الاستعماري في تهيئ التلاميذ لفترة ما بعد الابتدائي، فإن هذه المدرسة كانت تدرس من جملة موادها القرآن الكريم، كسياسة تعمل في مجملها لاستدراج آباء وأولياء التلاميذ لتسجيل أطفالهم في المؤسسات الإسبانية، ويشعرهم بأن الانخراط داخل الثقافة العصرية لن يفقدهم هويتهم كما روج لذلك من قبل(451). وقد جلبت السلطات إلى هذه المدرسة مديرا من مدينة العرائش وأستاذا(452)، ويعد أحمد العمراني من أوائل المدرسين المغاربة بهذه المدرسة المشتركة،

---

449) Valderrama, **Historia de la accion**, op cit, p 233

450) Valderrama, **Historia de la accion**, op cit, p 233

451) محمد ابن يعقوب، **في ضيافة الكتاب وأشهر معلمي القرآن الكريم بشفشاون في عهد الحماية (1920-1956)**، ط 1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2012، ص 210

452) أبو عسل، م س ص 114

وطوال هذه المدة تناوب عليها كثير من الفقهاء كالأستاذ محمد الحداد الخمسي(453)، ومحمد بوذياب(454) الذي كان يعلم القرآن الكريم للأطفال على الطريقة التقليدية، غير أن طريقة أداء الفقيه في المدرسة كانت تختلف عن أداء الفقيه في الكتاب، خاصة على مستوى التوقيت فقد كان التلاميذ يتوافدون على حصته في الساعة الثامنة والنصف ويغادرونها في التاسعة والربع، حيث ينصرفون لدراسة مادة من المواد الأخرى المقررة، أي أن القرآن الكريم كان مادة كسائر المواد(455)، إضافة إلى الأستاذ الإسباني السابق الذكر الذي كان يدرس الإسبانية والرياضيات والرسم وغير ذلك كالرياضة والطبيعيات(456).

وأمام الجهود التي بذلتها إسبانيا من أجل تعميم التعليم الابتدائي شهدت هذه المدرسة اكتظاظا نتيجة للإقبال المتزايد لعدد التلاميذ المسجلين بها، بعد القرار الذي أصدرته الإقامة العامة الإسبانية بمقتضى الظهير الخليفي(457) المؤرخ ب 26 أكتوبر من سنة 1946، بإجبارية التعليم لجميع أبناء المنطقة الخليفية، وضرورة توسيع وإنشاء المدارس الابتدائية لأطفال المسلمين حسب احتياجات مجموع الساكنة، وبناء على بنود هذا الظهير فرضت الإدارة الاستعمارية على مقدمي أحياء المدينة بإحصاء وتسجيل الأطفال البالغين سن التمدرس وتسليم لوائحهم إلى مدير المدرسة وباشا المدينة(458). ومن نتائج هذه المبادرة تم فتح مدرسة سيدي علي النوازلي بدرب القاضي خلال الموسم الدراسي لسنة

---

453) نفسه.

454) ولد الفقيه بمدينة شفشاون سنة 1875م، حفظ القرآن الكريم بمدينة شفشاون والتحق بجامع القرويين بفاس

455) ابن يعقوب، **في ضيافة الكتاب...**، م س، ص 210

456) Valderrama, **Historia de la accion**…op cit, p233

457) "Disponiendo la esnanza la musulmana obligatoria", dahir de 26 octubre 1946, **bzpem**, pp 38-39

458) Valderram, **Historia de la acccion**…op cit, p 149

1954-1955 بإشراف مديرها الهاشمي بن محمد بن عيسى، ومساعدة الإسباني فيثينتي طورطولاطوريس Don Vicente Toratola Torres وتتوفر على أربعة أقسام(459).

ت- مدرسة التعليم الاسلامي الأولي للإناث:

ظهرت لأول مرة بمدينة الشاون مدرسة إسلامية خاصة بالإناث بتاريخ 25 نونبر سنة 1935 بمنزل مأجور من محمد حفوظ الحسني بساحة وطاء الحمام، وتعتبر رحيمو ميمون المدني أول مدرسة أشرفت على تعليم البنات بهذه المؤسسة(460)، بمساعدة الإسبانية فرانثيسكا ميندیث Dona Francisca Miendez. وفي الفاتح من أكتوبر سنة 1943 انتقلت إلى مقرها الجديد في ملك المخزن، وبنيت على شكلها الحالي على يد الاسبان، ومنذ 20 أكتوبر سنة 1949 سارت تحت إمرتهم وإدارتهم، وأطلق عليها اسم مجموعة مدارس لاله فاطمة(461)، ويطلق عليها أيضا اسم المدرسة الابتدائية الإسلامية للبنات، وقد استقطبت خلال السنة الدراسية 1945-1946 مائة تلميذة(462). وكان تعليم البنات يتم عبر الإعلان الذي تبعث به مفتشية التعليم الإسباني للمدرسة يحدد فيه موعد الالتحاق بالمؤسسة(463)، ولم تقتصر هذه المؤسسة على تعليم بنات المسلمين فقط بل شهدت إقبالا أيضا من لدن بنات الإسبان حيث سجل عددهن ارتفاعا يفوق الفتيات المسلمات بلغ إلى 70 تلميذة إسبانية في مقابل 40 فتاة مسلمة سنة 1943، ويرجع السبب لهذا النقص هو إقبالهن على المدارس المهنية المحدثة خلال هذه المرحلة، وذلك راجع

---

459) Ibid, p 234

460) قدمت من مدينة طنجة وهي تتقن للغتين الانجليزية والفرنسية ويعتبرها أمين الريحاني كأول امرأة تعلم وتكتب في هذه المنطقة. الريحاني، **المغرب الأقصى**، م س، ص 31

461) valderrama, **Historia de la accion**, op cit, p234

462) Datos estadisticos del territorio de chauen, Año 1946, imprenta del majzen, tetuan, p 10

463) Oficios de distintes grúpos y escuelas de la zona acusande recibe del Matarial fungible recibido encencapte de anticipe del que la carreponde para el presente curse, capetra 1/2756, Año 1943, Fecha 28 Núm 58

بالأساس إلى السياسة التي جاءت بها إسبانيا للدفع بهذه المدارس لخلق آفاق جديدة تخدم ميدان المنتجات الحرفية(464). وقد كانت الإدارة الإسبانية تتكلف بتوزيع كتيبات لتعليم الفتيات(465)، وقد تلقت المؤسسة أيضا قائمة من الكتب التي يتم توزيعها بمناسبة مهرجان الكتاب في العديد من مدارس المنطقة(466)، عبارة عن قصص وكتب تاريخية للمطالعة والقراءة(467).

صورة رقم 7: أحد فصول الدراسة بمدرسة لالة فاطمة (حصة القرآن الكريم)

المصدر: Valderrama, **Historia de la acción cultural,** op cit, (S.N.P)

جدول رقم 18: مجموع التلاميذ المسجلين في المؤسسات الاسبانية العربية الاسلامية([468]) سنة 1943

المؤسسة	عدد المسجلين بالمؤسسة		المجموع
	المسلمون	الاسبان	
مجموعة مدارس رامون كاخال	125	161	286

[464]) أنظر الفصل المتعلق بالأنشطة الاقتصادية

[465]) Fecha 24 de febrero demitiendo a los escuelas musulmanas de la zona cuadernos y lapicerosque los la correspondide en concepto de anticipo de los que los corresponde en de presente ejercicio aconómico, carpeta 1/2756

[466]) oficio N 1509 de fecha 14 de abril remitiendo de la fista del libro tectos para bibliotecas y premios a las escuelas musulmanas de la zona fecha 15-4-43, carpeta 1/2756

[467]) Ibidem

[468]) Fecha 24 de febrero demitiendo a los escuelas musulmanas de la zona cuadernos y lapicerosque los la correspondide, carpeta 1/2756, op cit

مؤسسة التعليم الابتدائي للذكور	40	75	150
مؤسسة التعليم الابتدائي للإناث	40	70	110
المجموع	205	306	511

إن أول ملاحظة يمكن الخروج بها من الجدول أعلاه تتمثل في أن نسبة حضور المغاربة المسلمين هي أقل نسب في مجموع المسجلين بالمؤسسات التعليمية الإسبانية، وذلك راجع بالأساس للعديد من الاعتبارات وأهمها أن المدارس الحديثة لم تلق ثقة ساكنة المنطقة بأكملها، فرفضوا تسجيل أبنائهم في المدارس الإسبانية العربية الجديدة التي يديرها المستعمرون، بسبب تخوفهم من أن يفقدوا هويتهم العربية الإسلامية، وكذلك الخوف من تعليم أبنائهم لتعاليم الديانة المسيحية الكاثوليكية التي تبعدهم عن دين الإسلام(469). وفي أحيان كثيرة كانت الظروف الاقتصادية عاملا أساسيا يعيق حضور التلاميذ إلى المدارس الإسبانية العربية وخاصة في المناطق القروية([470])، حيث يتم إشراك الطفل في أداء المهام الزراعية في أوقات معينة من السنة، إضافة إلى ظروف انعدام المواصلات والطرقات لبعد المدارس عن المناطق السكنية(471). فاتخذت اسبانيا مجموعة من التدابير التي من شأنها أن تكسب ثقة الأهالي، والدفع بهم لتسجيل أطفالهم بالمدارس التعليمية الإسبانية فركزت على مسألة جلب أساتذة رسميين ومتخصصين في اللغة العربية، وقد

[469]) RICARDO ruiz orsatti, **la ensenanza en marruecos**, tetuan, papelera africana, p 50

[470]) رواية شفوية مع السيد الحسن القلعي، تمت المقابلة بمدينة شفشاون أمام مكتبة المناهل التابعة للمجلس البلدي بتاريخ 2014/06/11

[471]) Irene González González," Escuelas, niños y maestros...", art cit, p 127

كانوا هم الأساسيين والمطلوبين حسب تعبير فالديراما **من أجل صد الإشاعات والتأويلات الخاطئة وإيصال المفهوم الحقيقي للخطاب التعليمي الإسباني**"(472).

ومن أجل الدفع بمشروع التمدرس إلى الأمام كان لا بد من وجود فقيه على الأقل في كل مدرسة، وقد اشترط لتعيين الفقيه أن يكون قريبا من المدرسة لكي يكون دوره فعالا في المجال التعليمي، ويساعد كذلك على حضور التلاميذ واستمرارية النشاط التعليمي(473)، وتعيين الفقيه في المدارس الاسبانية العربية يتم انطلاقا من التقارير التي يقدمها قائد المنطقة الذي يقترح مجموعة من الفقهاء لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم([474]).

أسند النشاط التعليمي لأساتذة ومعلمين كانوا كلهم تحت إمرة مدير مدرسة(475)، وكانت عملية انتقاء أساتذة تابعين لمدارس الدائرة المركزية سهلة على العكس من المناطق النائية حيث كان من الصعب توفير معلمين ومربين بصفة دائمة خوفا من عدم انضباط هؤلاء الأساتذة في الحضور نظرا لبعدهم عن مركز التدريس وصعوبة المواصلات، لكن على الرغم من هذا تم فرض قوانين تقضي بفصل كل أستاذ تغيب عن الفصل(476).

وفيما يتعلق بالوسائل التعليمية فقد تم انتقاؤها من طرف الرئاسة المركزية للمنطقة باعتماد مالي مشترك ونفقات أخرى مختلفة بموافقة المفتش العام، ومن أجل تجاوز الصعوبات التي واجهت السياسة التعليمية الإسبانية والمتجلية بالأساس في عدم حضور التلاميذ إلى المدرسة بشكل مستمر قامت الإدارة بإنشاء مطاعم مدرسية يقدم فيها وجبات الأكل، وفي معظم الأحيان لجأت الإدارة إلى جمع الأطعمة التي يقدمها الأهالي كوسيلة

---

[472]) Valderrama, **Historia de la accion,** op cit, p171

[473])Valderrama , **Historia de la accion,** op cit , p 172

[474]) "El servicio E la enseñanza hispano-Árabe, Fokaha el muddarrisin, ART, carpeta 1/2756, caja n 1/5 Exp.74

[475]) Valderrama, **Historia de la accion**..op cit, p 171

[476]) Ibid, p 172

للاقتصاد والتوفير في الميزانية(477)، وتقديم مساعدات خيرية لفائدة الأسر المعوزة، وتشجيعهم للتخلي عن فكرة تشغيل أطفالهم في سن مبكر وتكريس فكرة تسجيل أبنائهم داخل المدارس الابتدائية(478). وقد ساعدت بالفعل هذه الإجراءات التي اتخذها المسؤولون الإسبان في كسب ثقة الأهالي من أجل إرسال أبنائهم للمدارس.

وفيما يخص المدارس الابتدائية التي أنشأها الاستعمار الإسباني بقبائل مدينة شفشاون، فقد توزعت بالشكل التالي:

جدول رقم 19: **مواقع المدارس الإسبانية بمنطقة غمارة وأسماء أساتذتها ما بين 1931-1954**

المدشر	تاريخ تأسيس المدرسة	أسماء الأساتذة	
		الإسبان	الفقهاء المسلمين
مدرسة حد بني دركل	ماي سنة 1931	Don luis leitanon canin	علي بن أحمد الحياني
مدرسة باب تازة	21 شتنبر 1935	Don policar Doleirana canrión	سيدي محمد الحاج
Puerto capas	ما بين شتنبر 1933 وأكتوبر 1934	dOn felicusmo torrago	علي بن علي شهبون
كيزاوة	17 يناير 1954	Julian Martinez Dona Nieto calia	محمد بن صالح الرزيني
بني احمد	1947	Don Reys Norro Martinez	محمد استيتو اليحمدي
مدرسة بغزاوة	1954		محمد بن صالح الرزيني

المصدر Valderrama Martinez Fernando**, Historia de la acción cultural de España en Marruecos**, op cit, p 235

477) Ibid, p 173

478) Sanchez M., "una visita a las escuelas musulmanas de xauen", **ABC**, 29/11/1952, p 21

غير أنه يلاحظ غياب هذه المدارس في العديد من القبائل الغمارية كبني خالد وبني منصور وبني سميح، وهو ما يفسر فشل المشروع التعليمي الإسباني بالمنطقة نظرا لتهريب الغماريين أبناءهم نحو المدارس العلمية العتيقة التي تزخر بها المنطقة.

عرقل النقص الحاصل في البنايات والأطر التعليمية إلى حد كبير الأهداف الاستعمارية المسطرة، فتم التركيز على إحداث التعليم الثانوي في عاصمة كل جهة، ومن ضمنها مدينة شفشاون باعتبارها عاصمة لإقليم غمارة، إذ كانت تتواجد بها كل المؤسسات الثانوية العمومية والمدارس العسكرية(479)، وهو ما يعكس صعوبة المنطقة من الناحية الأمنية، حيث كانت تخرج كل الرتب العسكرية التي تم توظيفها لتهدئة المناطق الشمالية بالمغرب.

شجعت السلطات الاستعمارية أبناء المنطقة لاستكمال تعليمهم الثانوي عبر تقديم منح دراسية للمتفوقين(480). أما الطلبة الذين كانوا يرغبون في متابعة دراستهم في إحدى المعاهد أو الجامعات الإسبانية فيتم اختيارهم انطلاقا من التقارير التي يرفعها المراقب المحلي للمنطقة للمندوب الشؤون الأهلية، ويظهر في العديد من الوثائق الإسبانية أن غالبيتهم كانوا من أبناء أعيان ووجهاء المدينة وناحيتها(481).

3. البرامج التعليمية

على الرغم من أن إسبانيا كانت تسعى من خلال سياستها التعليمية إلى الضرب في مقومات الهوية المغربية عبر ترسيخ الثقافة والتقاليد الإسبانية، إلا أنها لم تغفل تدريس اللغة العربية، حيث تم تعريب النموذج التربوي وتعريب الهيئة التدريسية بشكل تدريجي،

---

[479]) انظر الخريطة رقم 2 ضمن ملحق الخرائط

[480]) Documentación de los aspirantes de chauen para cinco becas sacadas aconcurso, de bachilleratto sección politica N 9 primero, EXP 1618/39, N 5973, Carpeta N3

[481]) Centros de enseñnza, institudo Ramiro de maezto José martos de castro-firmado, chauen 31 de enero 1940, SR Don mariano alonso, carpeta N 15 9/2748

وهي في حد ذاتها سياسة هادفة سعت من خلالها إلى زرع الثقة في نفوس المغاربة في التعليم الإسباني، حيث أولت اهتماما خاصا بالطفل المغربي([482])، إذ عمدت على تعليمه للغة الإسبانية يتلقى فيها التلميذ ثقافة حديثة يتعرف من خلالها على الأدب والتاريخ الاسباني. دون إغفال التعليم التقليدي بمظهريه الديني واللغوي، بناء على الظهير المتعلق بإصلاح التعليم الاسباني العربي الذي حث على ضرورة تعليم أساسيات اللغتين العربية والاسبانية(483)، تمت إضافة دروس باللغة العربية يتعلم فيها التلميذ قراءة وحفظ القرآن الكريم من طرف الفقيه الذي كان يعين مباشرة دون تدخل الأستاذ الإسباني. وفي المجال الديني لم يكن هناك شيء مشترك بين الإسبان والمغاربة فلكل طرف من هؤلاء دروسه الخاصة بعيدا عن الآخر، وإن حتمت ظروف قلة القاعات اجتماعهم في قاعة واحدة، فقد كانت الدروس تعطى بالتوازي لكل فوج درسه على حدة(484).

وفيما يتعلق بالدروس الملقاة باللغة الإسبانية فقد شملت المواد التالية:

- اللغة الاسبانية: تلقى دروس في القراءة والكتابة،
- الرياضيات: تعطى مفاهيم في قواعد الحساب الأربع (زائد-ناقص-الضرب والقسمة)(485)،
- الجغرافيا: تعطى فيها شروحات ودروس عن الكون والعالم مع التركيز على جغرافية المنطقة الاسبانية،

---

[482]) أشقرا عثمان، "التعليم الاستعماري في المغرب والتباس الوضعية الاستعمارية"، **مجلة المناهل**، عدد 87، يناير 2010، ص 186

[483]) Dahir de 18 de julio de 1935 aprobando y poniendo en vigorla reforma de la ensenanza hispano-arabe en la zona, **BZEPEM**, pp 30-33

[484]) إذا رغب أحد التلاميذ من أبناء الاسبان الموجودين بالمدينة تعليم اللغة العربية (رغم أن هذا لا يحصل إلا نادرا) يكون بعزل وفي حصص خاصة مغايرة عن التي يحضرها أبناء المسلمين في دروس القران انظر Valderrama, **Historia de la accion,** op cit, p172

[485]) Valderrama, **Historia de la accion**, op cit, p 172

- التاريخ: يركز فيه على مفهوم تاريخ الحضارات، مع الإشادة بتاريخ اسبانيا ومشاركتها في الغزو الإيبيري على الخصوص،
- العلوم الفيزيائية الطبيعية: الظواهر الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية،
- الرياضة: (ألعاب، المشي...)،
- الفن: الرسم، الخط، الموسيقى(486).

4. الوسائل التربوية

يعتبر التعليم الابتدائي هو اللبنة الأولى والقاعدة الأساسية في سلم التعليم، وأساسا لذلك كان لزاما على الإدارة الاسبانية اعتماد وسائل تربوية جديدة تتناسب وعمر التلميذ، الذي أصبح يلتمس الفرق الجلي بين الأساليب التربوية التقليدية الممارسة بالكتاب والأساليب التي يتلقاها في المدارس الإسبانية الحديثة، ببرامجها وبناياتها المنظمة وبأقسامها الدراسية المريحة، وغيرها مما يشعر الطفل بالارتياح والدهشة، خاصة مع استعمال وسائل تربوية جديدة تختلف عن النهج الكلاسيكي، وإدراج مواد جديدة داخل البرنامج الدراسي من شأنه أن يخرج الطفل عن الطابع القديم، إذ يلعب العامل النفسي دوره في استكانة التلميذ ورغبته القوية في حب الدراسة، والتعلق بالمؤسسة الجديدة، ومن بين الوسائل الحديثة التي اعتمدت في التدريس: الكتب المطبوعة والألواح وأقلام ملونة وحبر وطباشير ملونة وأوراق للتعلم، فلم يعد يعتمد فقط على اللوح كأداة رئيسية للتعلم([487]).

---

[486]) "la ensenanza en el protectorado esnsenanza espanola", **Blanco y negro** (madrid), 23/04/1933, p 145

[487]) Fecha 12 de enero remitiendo textos escolares adistintos grupos escolares de la zona, ART, Fecha 4-2-43, carpeta 1/2757

IV. التعليم الإسلامي في مواجهة الاستعمار الإسباني

1. الكتاتيب القرآنية:

نظرا للوظيفة الحضارية التي كانت تقوم بها الكتاتيب القرآنية عبر التاريخ الإسلامي، أصبحت هذه المؤسسة التعليمية واحدة من الركائز الأساسية التي تعتمد عليها المنظومة التربوية المغربية، أسهمت في توجيه المغاربة والرفع من مستواهم الثقافي والعلمي، وشكلت في الآن نفسه حصانة لهوية المجتمع ومقوماته، يستمد خصوصياته من القيم والمبادئ الإسلامية في وجه التيارات الخارجية([488]).

وقد تميزت مدينة شفشاون بكثرة الكتاتيب القرآنية، ويوجد معظمها بأحياء المدينة العتيقة، فلم يخل مسجد أو زاوية بحي من هذه الأحياء من وجود مسيد(489)، وهو ما يدل على النهضة التعليمية التي كانت تعرفها المدينة(490). فأخذت السلطات الإسبانية تحس بالقيمة المعرفية والمعنوية للتعليم الديني، فبادرت لإصلاح مؤسساته عبر إصدار ظهائر جديدة تسهر على تنظيمها وإخضاعه للرقابة تحت إشراف المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي الذي تأسس سنة 1934. وقد ارتكزت وظيفة هذا المجلس في تنظيم مؤسسات التعليم المغربي الإسلامي، ووضع برامج تجعل من التعليم الديني المنطلق الأساسي لهذه المدارس. فخضعت المعاهد الدينية ومن ضمنها الكتاتيب القرآنية باعتبارها النواة الأولى التي ينطلق منها هذا الإصلاح نظرا لاستقطابه لعدد كبير من أبناء المنطقة، فعمدوا إلى إحصاء عددها بالعديد من مدن المنطقة كتطوان والقصر الكبير والعرائش وغيرها، فوجدوا بمدينة شفشاون حسب ما ورد عند فالديراما ستة كتاتيب قرآنية، ووصل عدد

---

[488]) ابن يعقوب، **في ضيافة الكتاب..**، م س ، ص 10

[489]) كلمة المسيد تطلق كما هو متعارف عليه في المغرب على المكان الذي يتعلم فيه الأطفال الكتابة والقراءة من خلال النص القرآني المشتغل عليه

[490]) ابن يعقوب، **في ضيافة الكتاب..**، م س ، ص 10

المحضرة فيها 190 محضري، في حين بلغ عددها إلى 18 كتابا سنة 1955(491)، وهي:

- كتاب جامع العنصر
- كتاب حومة السوق
- كتاب الجامع الكبير
- كتاب الزاوية العيساوية
- كتاب سيدي سالم بهوتة حومة الحرازين
- كتاب سيدي بوخنشة
- كتاب سيدي الحاج الشريف

وبناء على هذه الإحصاءات تم بناء مدارس حديثة لجمع هذه الكتاتيب في مقر واحد تتوفر فيه جل الشروط التربوية والصحية ويتلقى فيها التلاميذ دروسا تابعة للنظام التقليدي(492)، عبر تلقينهم دروس في التربية الإسلامية واللغة العربية التي تشكل هوية المجتمع الشاوني، أطلق عليها مدرسة التعليم الابتدائي لتعليم القرآن، وقد بلغ عدد المسجلين بها 371 تلميذا سنة 1946(493)، وهو ما يدل على أن هذه المؤسسة لقيت إقبالا كبيرا.

وبحكم المنافسة القوية للمدارس العصرية الاستعمارية للكتاب، أغلقت بعض الكتاتيب أبوابها نتيجة تهافت الأطفال على التسجيل بهذه المؤسسات الحديثة، خاصة وأن القرآن الكريم شكل جزءا من برامجها كما رأينا بمؤسسة مولاي علي بن راشد ومؤسسة لالة فاطمة(494).

---

491) valderrama, **Historia de la accion**...op cit, p 155
492) Santiago otero (1930), op cit, p.106
493) Datos Estadisticos Territorio de Chauen, op cit, p 10
494) ابن يعقوب، **في ضيافة الكتاب..**، م س ، ص 10

لقد كانت الصعوبة الأولى تكمن في نقص المعلمين، لكن كان من السهل العثور على مدرسين لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية، وفي مجال باقي التخصصات الأخرى فقد اتجهت الإدارة الإسبانية إلى تهيئ موظفين وإعدادهم لوظيفة التدريس، في الوقت الذي كانت فيه الساكنة تعرف تزايدا، ولهذا السبب تولى معلم اسباني تدريس الرياضيات والجغرافيا والتاريخ والعلوم والزراعة الحديثة والرسم والغناء والحرف اليدوية، وبطبيعة الحال تدريس اللغة الاسبانية وهذا هو دورها المحدد([495]). وبالرغم من كون هذه المدارس كانت مخصصة لتعليم الفئات المسلمة بالمدينة إلا أنها ركزت على ضرورة إدراج اللغة الإسبانية ضمن الشعب التي كانت تدرس، وهي سياسة هادفة بالأساس إلى ضرورة التخلي عن أسلوب التدريس الذي كان يعتمد بداية على المساجد والكتاتيب القرآنية، وإعطائها طابعا حديثا يقوم على أساس الجمع بين النظام التقليدي ومزجه مع علوم عصرية أخرى.

2. نشأة المعهد الديني

قبل مرحلة الحماية كانت حلقات الدروس تلقى بمساجد المدينة وخاصة المسجد الأعظم، على الطريقة التقليدية القديمة (يدرس فيها علوم القرآن والفقه واللغة والأدب)([496])، ولم يعرف التعليم الديني الإسلامي بهذا المعهد شكله الحديث إلا حوالي سنة 1934-1935. فمنذ تأسيس الجامع الكبير بقيت الدراسة تعطى بشكل تطوعي من بعض الفقهاء ولم تكن تعرف نظاما، ولكن مع مجئ الإسبان وبافتتاح المعهد الديني في 15 يونيو من سنة 1935 التحق به العديد من العلماء كموظفين مأجورين كأمثال محمد

[495]) Santiago otero (1930), op cit, p.106

[496]) أبو عسل، م س، ص 115

أصبان الحسني(497)، محمد بن عياد الخمسي(498) وغيرهم(499)، وقد أسندت لهذا الأخير رئاسة هذا المعهد، وأعطيت له صلاحيات تعيين الأساتذة فيه، ولذلك اعتبره محمد الهبطي أنه كان ينحاز إلى تعيين من كان بدويا صرفا أو له علاقة بالبادية وهو ما كانت تسعى له إسبانيا(500). وانتظم فيه التعليم بمستوياته الابتدائية والثانوية بشكل رسمي سنة 1937، وكسياسة تنظيمية تطلب تسجيل الطلبة وامتحان منظم في آخر السنة(501).

وقد كان المعهد يمنح شهادتين دراسيتين:

- شهادة التعليم الابتدائي
- شهادة الدراسة الثانوية الدينية 1937([502]).

وإذا رغب أحد الطلبة في استكمال تعليمه الثانوي كان يتوجه إلى مدينة تطوان حيث يحصل في نهاية دراسته على شهادة الدراسة الدينية العليا، والتي تخول لصاحبها متابعة دراسته بجامعة بالقرويين بفاس أو بالمعهد العالي بتطوان أو بجامعات مصر. وتشجيعا للطلبة الوافدين من البوادي تمنح لهم منح دراسية تقدر ب 20 و 22 بسيطة شهريا سنة 1940 تمنح من قبل إدارة الأحباس، وقد ارتفعت سنة 1946 إلى 75 بسيطة للطالب ، لتصبح فيما بعد 130 بسيطة سنة 1954 و150 بسيطة سنة 1955. وفيما يتعلق بالعطل الدراسية فقد حددت خلال مساء الخميس ويوم الجمعة ويوم عاشوراء وفاتح

---

[497]) محمد أصبان ولد سنة 1907م ببني جبارة إحدى قبائل منطقة جبالة، تولى إدارة المعهد من سنة 1956 إلى سنة 1966

[498]) محمد بن عياد الخمسي ولد بمدشر الهوتة من قبيلة الأخماس جنوب غرب شفشاون وبه حفظ القرآن، وفي سنة 1309 ه توجه إلى مدينة فاس حيث قضى ثلاث سنوات، ثم انتقل إلى مصر وشغل بها كمدرس بالأزهر سبع سنوات، ثم عاد إلى مسقط رأسه ليستقر بشفشاون حيث تولى إدارة المعهد الديني توفي سنة 1982

[499]) أبو عسل ، ص 116

[500]) الهبطي، محمد، **مفتون منسيون بغمارة وشفشاون**، ط 1، نداكوم للصحافة والطباعة، الرباط، 2000، ص 152

[501]) أبو عسل، م س، ص 115

[502]) Valderrama, **Historia de la accion**…op cit, pp 340-341

السنة الهجرية والمولد النبوي الشريف وعيد الفطر وعيد الأضحى، وعطلة الصيف ثلاثة أشهر(503).

وقد ضم هذا المعهد خلال سنة 1940 أربعين طالبا يهيئون للدكتوراه في تخصص الشريعة الإسلامية وما يوازيها من مواضيع اختيارية، وللحفاظ على استمرارية هذا المعهد يتم تمويله من قبل الأوقاف([504]). ومن أبرز العلماء الذين درسوا بهذا المعهد الديني نذكر من: محمد بن محمد بن عبد السلام الصبان، العياشي بن عبد السلام السردوني، عبد السلام بن عبد السلام الوركلي، وأحمد بن محمد بن خجو، وعبد السلام بن عبد القادر الحضري([505]).

يتضح مما سبق أن منطقة شفشاون حظيت بمكانة علمية مرموقة، بفضل انتشار المدارس العتيقة وتنوع المواد المدرسة بها، مما جعل المدينة تنتج علماء ذاع صيتهم في كل أرجاء المغرب، متحدية مخططات السلطات الاستعمارية التي أرادت تدمير البنيات الفكرية والتعليمية بالمنطقة.

ولعل أهم مكسبت حصلته الثقافة الشفشاونية بفضل احتكاكها بالثقافة الغربية، هو اقتحام المغاربة لكتابة مواضيع اجتماعية وثقافية، في الوقت الذي اقتصر فيه المؤرخون آنذاك على كتابة التاريخ السياسي.

---

[503]) Valderrama, **Historia de la ccion**, op cit, pp(340-341-346-353)

[504]) Otero santiago, op cit. p.107

[505]) عبد الرحيم الجباري ، **مشاهير علماء المعاهد الدينية بمدن شمال المغرب**، تخريج وإضافة وتعليق، ط1، 2012، صص 19-39

الفصل السادس

تطور الحركة الوطنية بمدينة شفشاون: من النضال الثقافي إلى النضال السياسي

لقد كانت الحركة الوطنية بشفشاون يحكمها الهاجس السياسي ولها أهداف مناهضة بالطبع للمخططات الاستعمارية، حركة عملت على نقل الصراع مع المحتل، من مستوى المواجهة العسكرية التي تؤرخ لها معارك حرب الريف وجبالة، إلى مستوى العمل السياسي المعتمد على إقناع الإدارة الاستعمارية بضرورة الاستجابة إلى مطالبها. واتخذ العمل الوطني في البداية شكل نشاط ثقافي قاده العديد من الشباب المتعلم داخل المدينة، يتلخص على وجه الخصوص في إنشاء مدرسة حرة بغرض التصدي للتعليم الرسمي التابع لنظام الحماية. فلماذا ركزت الحركة الوطنية الشمالية في بدايتها على المطالبة بتأسيس المدارس؟

I. إسهامات النخبة المثقفة الشفشاونية في إصلاح التعليم

الواقع أن الجهود المبذولة من قبل السلطات الإسبانية لم تصل إلى مستوى تطلعات المغاربة، الشيء الذي أدى إلى ردود فعل متواصلة من لدن الحركة الوطنية، الذي أرغم الإقامة العامة على الزيادة في عدد المدارس، وإعطاء مكان أكبر لتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم داخل المنظومة التربوية، كاستجابة لمطالب الأهالي، برزت بوادرها الأولى جليا ابتداء من حدث إعلان الجمهورية الإسبانية يوم 14 أبريل سنة 1931، الذي شكل حافزا للحركة الوطنية، لتحرير وثيقة مطالب الأمة المغربية وتقديمها لرئيس

الجمهورية، وقد خصصت فيها مكانا خاصا لمشاكل التعليم، باعتباره ركيزة أساسية للعمل السياسي للحركة الوطنية([506]).

وفي سياق الوعي الذي أخذت تتجه صوبه النخب المثقفة الشفشاونية، تتجلى بوضوح الجهود التي بذلتها الحركة الوطنية في سبيل الدفع بالمنظومة التعليمية التربوية، وتوفير جل الشروط لنشر التعليم وتعميمه. فقد أفرد وكيل حزب الإصلاح الوطني بشفشاون خطابه لمشاكل التعليم وجاء فيه:" **إننا نريد أن يوحد التعليم ببلادنا ولا نريد تعليما عميقا باليا بل نريد تعليما منتجا إسلاميا جديدا، وإننا بصدد مقاومة كل تعليم مختلف البرامج في بلادنا، فلا نحب إلا تعليما موحدا ولا نحب إلا لغة موحدة ولا نحب إلا دينا موحدا، وخير لنا أن تبقى البلاد تعتمد على التعليم الحر من أن تعتمد على التعلم الرسمي، إذا كان مفلسا وإننا لنسعى بدل جهودنا في أن تتوحد صفوف الأمة في سائر مظاهرها... فلهذا لا نريد أن نضع برنامجا ضيقا قد يليق بطبقة دون أخرى**.."(507)، ففي هذا الخطاب إشارات واضحة لعمق السياسة الاستعمارية التعليمية التي تسعى من خلال مؤسساتها ضرب هوية الثقافة المغربية، وتجزئة المجتمع المغربي، كما يشيد بأهمية التعليم الحر الذي بنت عليه الحركة الوطنية مشروعها التعليمي الهادف إلى تكوين أبناء المنطقة تكوينا ينسجم مع تطلعاتهم، والتقليل من تأثير نشاط المدارس الاستعمارية الإسبانية.

وكانت النخبة الواعية في الشمال تدرك بأن نشر التعليم هو أساس كل إصلاح، وأن أساس الاستمرار في التقدم هو رهين بمدى وعي الأمة. وقد عانت مدينة شفشاون من

---

[506]) عبد الغفار العلمي، "الحركة الوطنية في الشمال ومقاومتها للتأثير الاسباني في ميدان التعليم على عهد الحماية"، **الذاكرة الوطنية**، عدد 6، 2004، ص 46

[507]) "خطاب وكيل الحزب بشفشاون"، **الحرية**، عدد 23 السنة 1، 1937

سوء الاهتمام من الناحية العلمية فمن دون المؤسسات التي أنشأتها إسبانيا أو أعادت بناءها، ظل التعليم الديني يعرف نقصا كبيرا في البنايات الخاصة به(508)، لأجل ذلك عمل الشفشاونيون على إيصال شكايات من شأنها إعادة الاعتبار لهذه المدينة والاستفادة من جمهرة العلماء الموجودين فيها(509)، وفي هذا المضمار استغل الوطنيون زيارة رئيس الجمهورية الإسبانية ألكلا ثامورا Alcala Zamura لمدينتهم سنة 1933، وكلفوا أحمد المقدم المرابط بتقديم كلمة ترحب بالرئيس نيابة عنهم، غير أن المسؤولين الاستعماريين فوجئوا بتجاوز كلمة المقدم مسألة الترحيب، فتضمن خطابه عددا من المطالب من بينها "**فتح مدارس ابتدائية خاصة بالأهالي يكون فيها التعليم على أسس اللغة العربية وثقافتها**"(510).

وأمام امتناع السلطات الاستعمارية عن الموافقة على مطالب السكان بتوسيع التعليم بالمنطقة وجعله قائما على اللغة العربية، عمد الوطنيون على تأسيس لجنة التعليم يوم 18 ماي 1934، التي كان هدفها هو خلق مدارس مستقلة عن النظام التعليمي الإسباني(511)، وضمت في عضويتها العديد من الوطنيين أمثال عبد الخالق الطريس وعبد السلام بنونة، وتم تأسيس فرع لها بمدينة شفشاون يوم 30 من نفس الشهر(512).

---

508) "حظ شفشاون من التعليم"، **جريدة الحرية**، السنة 2، العدد 20، الخميس 4 غشت 1938

509) ابي الأندلسي، "رسالة شفشاون"، **الحرية**، السنة 1، العدد 43، 30 ذو الحجة 1356

510) محمد بن عزوز حكيم، **يوميات زعيم الوحدة**، ج 2، الهلال العربية، الرباط، 1992، ص 289

511) ياسين الهبطي، م س، ص 148

512) محمد ابن عزوز حكيم، **وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب**، ج 1، مطابع الشويخ، تطوان، 1980، ص 32

تبين لقادة الحركة الوطنية أنه لا يمكن القيام بأي خطوة أو نوع من التوعية الوطنية داخل وسط ظل الجهل يسيطر فيه على العقول، ولأجل ذلك فقد كان السبيل الوحيد لذلك هو تكريس الجهود من أجل تعميم التعليم ونشر المعرفة(513).

ولأجل ذلك وبغية محاربة التعليم الإسباني تم التفكير في إنشاء بعض المدارس الحرة. وقد شكلت هذه الخطوة قفزة نوعية كان لها بالغ الأثر للدفع بالإستراتيجية التعليمية إلى الأمام.

وهكذا فكر رواد النخبة السياسية في النهوض بأوضاع التعليم بإنشاء مدارس حديثة، فتم تأسيس المدرسة الأهلية سنة 1924 على يد عبد السلام بنونة، كأول مدرسة عربية إسلامية وطنية حرة، بشمال المغرب في أعقاب المناهج والنماذج الأوروبية، حيث احتل التاريخ والجغرافيا والأدب المغربي مكانة الصدارة، وشكلت اللغة العربية فيها اللغة الرسمية على عكس المدارس التي أنشأها الإسبان، وقد استفاد طلابها من منح دراسية منحت لهم من قبل المفوض السامي سنة 1937(514)، وقد مولت هذه المدارس من الرسوم التي كان يدفعها التلاميذ، والهبات المقدمة من قبل الوطنيين(515) فتأسست للمدرسة فروع مستقلة في جل مدن المنطقة الخليفية كالعرائش والقصر الكبير وشفشاون(516).

وفيما يتعلق بالمدرسة الأهلية بمدينة شفشاون فقد اختلف في تاريخ تأسيسها، حيث أشار محمد بن عزوز حكيم إلى أن تاريخ تأسيسها كان في 10 من أكتوبر سنة

---

[513]) محمد ابن عزوز حكيم، "المعهد الحر أول معهد للدراسة الثانوية العصرية الحرة بالمغرب"، **الوثائق الوطنية**، عدد5 و6 مارس يونيو 1990، ص.3

[514]) Irene González González y Bárbara Azaola Piazza (2008).«Becarios marroquíes en El Cairo 1937-1956 una visión de la política cultural del Protectorado español en Marruecos», **Awraq**, xxv, pp. 159-182

[515]) Irene González González, "escuelas, niños y maestros…, op cit, p 121

[516]) العلمي، مقال سابق، ص.49

1934(517)، بينما ذكر فيرناندو فالديراما Frnando Valderrama إلى أن افتتاحها كان سنة 1947(518) وتعاقبت على المؤسسة وعلى التدريس بها عدد من الأسماء الوطنية مثل القاضي الحسن العمارتي والمفضل الهاشمي وأحمد بن المقدم الشحام وغيرهم(519)، وقد كان نشاطها الثقافي والتعليمي ينحصر بالأساس عند تعليم وتلقين مبادئ الإسلام وأركانه(520)، وذلك من خلال الدروس التي كانت تتناول مستويات متعددة، والتدريس يكون من الكتب التي ألفت لهذه الغاية باللغة العربية(521). وكانت تدرس بالمدرسة الأهلية أيضا اللغة الإسبانية على يد محمد بزيز(522)، إذ أولى الوطنيون اهتماما كبيرا لتدريسها للمغاربة كي يتمكنوا من العمل داخل الإدارة الاستعمارية ويكونوا عيونا للحركة الوطنية لمعرفة نوايا الإسبان وسياستهم(523).

عانت المدرسة الأهلية بشفشاون من قلة الموارد في بادئ الأمر حيث اعتمدت على الإعانات المقدمة من الأحباس بلغت فقط "**500 بسيطة، و75 بسيطة من الشركة الكهربائية الشفشاونية تسلمها شهريا ولولا جلود الأضحية المقدمة من طرف آباء التلاميذ وحصول مجلسها على تبرع مناسب من محسن كبير لما كان في الاستطاعة**

---

[517] محمد ابن عزوز حكيم، أول مشروع لمحاربة الأمية بالمغرب أعده حزب الإصلاح الوطني سنة 1938"، **مجلة الوثائق الوطنية**، عدد 3-4، تطوان، ش1988، ص 136

[518]) Valderrama, op cit, p.562

[519]) الهبطي، م س، ص 152

[520]) Valderrama, op cit, p.562

[521]) مثل كتاب الصلاة للأطفال وكتاب القراءة للأطفال، عبد السلام الهراس، " البعثات العلمية الشفشاونية وأثرها في الوعي الوطني والثقافي"، **أعمال ندوة تاريخ المقاومة والحركة الوطنية بإقليم شفشاون 1913-1955**، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ط 1، الرباط، 2005، ص 83

[522]) نفسه.

[523]) الهبطي، م س، ص 152

إصلاح المكان الذي تقع فيه المدرسة وهو للأحباس أيضا وتحسي حالتها الدراسية"(524).

كان لرجال الحركة الوطنية تصور واضح لمشروعهم التعليمي، إذ سعوا إلى مواكبة مسار المتعلمين والحرص لإتمام دراستهم بعد مرحلة الابتدائي بإحدى المعاهد المؤسسة بتطوان، سواء بالمعهد الحر التابع لحزب الإصلاح الوطني، أو بمعهد مولاي المهدي الذي أنشأه حزب الوحدة المغربية(525).

كما اهتم الشفشاونيون أيضا بشأن البعثات العلمية، حيث توجه عدد من طلبة أبناء المدينة للدراسة بالقرويين بفاس، مثل عبد السلام الوراكلي ومحمد زيطان وعبد الكريم الطبال ومحمد المختار العلمي ومحمد بوعسل وغيرهم، وقد كان لهذه البعثة آثار طيبة على مدينة شفشاون في المجالات الدينية والتربوية والفقهية والأدبية والعلمية زمن الحماية الإسبانية(526).

وفي بداية الخمسينيات شهدت المدينة التحاق بعثة طلابية هامة نحو المشرق العربي وقد تضمنت أسماء مثل عبد السلام الهراس إلى سوريا ومصر ولبنان والمهدي العمارتي وعبد الله المرابط ومحمد أبو عسل، وقد اتجه بعضهم إلى الدراسة بالعرق بالكلية العسكرية أو بكلية الفنون الجميلة ببغداد. وقد عرفت هذه البعثة التحاق أول فتاة شفشاونية وهي حبيبة بنت الحسن العمارتي التي حصلت على الإجازة في علم النفس والاجتماع(527).

---

524) "احتفال المدرسة الأهلية"، **الأمة**، عدد 280، 23 يوليوز 1954

525) الهبطي، م س، ص 152

526) عبد السلام الهراس، " البعثات العلمية الشفشاونية وأثرها...، م س، ص 85

527) نفسه، ص 88

ولا شك في أن جميع هؤلاء الذين درسوا في شفشاون أو بتطوان وفاس أو بالمشرق العربي شكلوا نخبة من المثقفين الشباب تتميز باتساع ثقافتها، ساهمت في إحداث نهضة أدبية ومعرفية بالمدينة، وفي هذا الصدد يقول عبد السلام الهراس باعتباره أحد أفراد هذه البعثة: " "**كانت لهذه البعثة آثار طيبة في الوعي الوطني والنهضة الثقافية،فقد كان لكل فرد أصدقاء ورفقاء ينقل إليهم ما شاهده وعرفه وتأثر به ... وكان بعضنا يصحب معه كتبا جديدة اشتراها من مكتبات فاس فيعيرها لأصدقائه وإخوانه، وكانوا يبثون أفكارهم في مناسبات الحفلات الوطنية والأعياد الدينية**"(528).

لقد كان الشفشاونيون يشجعون أبناءهم سواء الذين يدرسون داخل المدينة أو خارجها، وتجسد ذلك عبر تنظيم الحفلات احتفاء بالطلبة العائدين من خارج المدينة(529)، أو لتوديع المسافرين منها إلى الخارج(530).

وعموما فقد شكل تأسيس المدرسة الأهلية منعطفا جديدا في الاستراتيجية التربوية التعليمية لدى وطنيي شفشاون، وبالتالي فقد حصل نوع من التعايش بين السياسة التعليمية الاستعمارية والتعليم الوطني في المنطقة، ساهمت في خلق فئة واعية أدركت أن نشر التعليم هو أساس كل إصلاح، واقتنعت بأن لا سبيل لمواجهة الإسبان إلا بنهج طريق العلم وتطويره ليواكب مسيرة المجتمع المعاصر، مما شكل دعما حقيقيا للعمل الوطني، وبروز ثقافة سياسية ساهمت في تعزيز الشعور الوطني لدى ساكنة شفشاون. فأين تبرز مظاهر هذه الثقافة؟

---

528) عبد السلام الهراس، البعثات العلمي..، م س، ص 88

529) بدون كاتب، " فرع الوحدة المغربية بشفشاون يحتفل بتلامذة معهد مولاي المهدي، **جريدة الوحدة المغربية**، عدد 2 فبراير 1938

530) بدون كاتب، شفشاون تحتفل بابنها المبعوث، **جريدة الوحدة المغربية**، عدد 16 شتنبر 1938

II. بروز ثقافة سياسية في مواجهة الغزو الإسباني

1. نشأة الحركة الوطنية

لقد كان لهزيمة محمد بن عبد الكريم الخطابي، صدى قوي في كل أرجاء البلاد، مما دفع المثقفين المغاربة إلى اختيار العمل السياسي السلمي كسلاح لمجابهة الاحتلال. وبالموازاة مع فتح المدارس الحرة، ظهرت تنظيمات على نسب متفاوتة من السرية إلى جانب الجمعيات الثقافية، حيث كانت بمثابة بؤر للثقافة السياسية، وإطار للقاء والنقاش بين النخب الوطنية. وقد شهدت سنة 1926 تكوين مجموعة من الشباب المنتمين إلى مدينتي الرباط وتطوان منظمة وطنية، تمثلت في **رابطة المدافعين عن الحقيقة**(531)، وقد عرفت أيضا باسم **الرابطة المغربية**(532)، وكانت لها عدة فروع من بينها فرع مدينة تطوان الذي كونه عبد السلام بنونة(533). وتعتبر هذه البادرة دليلا واضحا على استمرارية العلاقات بين وطنيي المنطقة الخليفية والمنطقة السلطانية، على الرغم من جميع المحاولات التي كانت تعمل على إحباط أي تواصل وتعاون بينهم.

ومن خلال الإشارة إلى ما عرفته مدينة تطوان من خطوات أولى في اتجاه بلورة حركة وطنية سياسية، يتضح أن هذه المدينة أصبحت مركزا للعمل السياسي الوطني في المنطقة الخاضعة للاحتلال الإسباني، إذ أن مختلف المشاريع والأعمال السياسية الوطنية انطلقت منها لتمتد فروعها إلى باقي المدن والقبائل التابعة لها ومن بينها مدينة شفشاون.

وشكل ظهير 16 ماي 1930 المعروف بالظهير البربري نقطة تحول في العمل السياسي الذي فرض نفسه بطريقة أو بأخرى لكثرة الاحتجاجات الشعبية الرافضة له،

---

531) Abdelmajid Benjelloun, "Le mouvement nationaliste marocain dans l'ex-Maroc espagnol (1930-1956)", **El Protectorado español en Marruecos: la historia trascendida**, op cit, p 185

532) عبد الكريم غلاب، **تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية إلى بناء الجدار السادس في الصحراء**، ط2، مطبعة الرسالة، الرباط، ج 1 ص, 38

533) نفسه

بالإضافة إلى الدور الذي لعبته زيارة شكيب أرسلان لمدينة تطوان في التحريض ضد هذا الظهير، وكذا التظاهرت الشعبية والاحتجاجات التي انطلقت من المساجد، وعلى إثر هذه الزيارة تأسست أول هيأة وطنية سرية بالمدينة(534)، على يد العديد من الوطنيين بمختلف مدن المنطقة الخليفية ومن بينهم عبد السلام بنونة، محمد داود، التهامي الوزاني، أحمد غيلان، محمد الصفار إضافة إلى الغالي الطود من القصر الكبير، محمد بناني من العرائش، ومحمد الناصري من أصيلا، ثم أحمد بن المقدم من مدينة شفشاون وغيرها من الأسماء([535]).

يعتبر حضور أحمد بن المقدم في اجتماعات تأسيس هذه الهيأة كممثل عن مدينة شفشاون كدليل على أن هذه الأخيرة كانت تعمل بتنسيق مع وطنيي مدينة تطوان، وقد كان لها دور في بلورة العمل الوطني بالمنطقة الخليفية. ويمكن إرجاع سبب جعل هذا التنظيم سريا إلى طبيعة النظام السياسي الذي كان سائدا بإسبانيا، فعلى الرغم من وجود ملكية بإسبانيا، إلا أن الحكم كان ديكتاتوريا بسبب سيطرة العسكريين عليه، إذ لم تكن للملك أي سلطة فعلية، مما لم يكن يسمح للوطنيين بالقيام بأي أنشطة مضادة، ولم يكونوا مستعدين لإعطاء فرصة قيام أي مقاومة من نوع جديد(536)، ويتجلى هذا بوضوح في أن عددا من المناطق المحتلة كانت لا تزال تعتبر مناطق عسكرية، كشفشاون والحسيمة والناظور.

2. الحركة الوطنية في ظل الجمهورية الاسبانية

بعد الإطاحة بالملك ألفونسو الثالث وظهور الجمهورية في إسبانيا خلال شهر أبريل 1931، أخذ الوطنيون يفكرون بضرورة استغلال هذه الظرفية فسارعوا في 8 من

---

[534]) التهامي الوزاني، **المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في شمال المغرب**، تحقيق وتعليق محمد بن عزوز حكيم، الرباط/ 1980، ص 121

[535]) محمد ابن عزوز حكيم، **أب الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة حياته ونضاله** ، م س، ج 2، ص.27

[536]) ياسين الهبطي، م س، ص 207

يونيو لتسليم رئيس الجمهورية رسالة تضمنت مطالب ذات طابع إصلاحي، وقد تم توقيعها من قبل 108 شخص(537).

غير أن هذه المطالب لم تكن تتعدى حدود العمل الثقافي، حيث حصلت هذه الحركة كخطوة أولى على حرية تكوين الجمعيات، فتم إنشاء الجمعية الخيرية الإسلامية، لكن سرعان ما اتسعت رقعة هذه المطالب لتشمل قضايا أخرى عبر وضع برنامج وقعه عبد الخالق الطريس ويتمثل في قضية إصلاح النظام الضريبي، والدعوة إلى استقلال الأحباس، وحماية العامل المغربي، وضرورة توزيع الرعاية الطبية المجانية والفصل بين السلطات القضائية والتنفيذية(538)، وغيرها من المطالب التي دافعت عنها الهيأة الوطنية بشمال المغرب، التي تم تشكيل فرع لها بمدينة شفشاون يضم العناصر التالية:" أحمد بن المقدم (رئيسا)، عبد القادر الشحام (مكلفا بالأمر المالية)، أحمد بن الهاشمي (عضوا)، عبد السلام ريان (عضوا)، أحمد بن الأمين الريسوني (عضوا)([539]). وقد ظلت المدينة تواكب جل التغييرات التنظيمية التي عرفتها الهيأة بمدينة تطوان، التي تقرر توسيع نطاقها فأصبحت تعرف بكتلة العمل الوطني التي لم يتغيب وطنيو شفشاون عن انتخاب أعضاء عنها لتسيير الفرع الجديد بإشراف من عبد الخالق الطريس، وهم: أحمد بن الأمين الريسوني، علي العافية، أحمد بن المقدم، محمد العمارتي، عبد السلام ريان([540]).

وقد استمر عمل هيأة العمل الوطني بشمال المغرب المعروفة بالكتلة الأولى في مدينة شفشاون وقبائلها، حيث أشرفت على عدة أنشطة وتحركات قام بها الشفشاونيون،

---

[537]) Benjelloun, op cit, p. 186

[538]) Benjelloun, op cit, p.187

[539]) الهبطي، م س، ص.214

[540]) نفسه، ص.215

إلى غاية تأسيس كتلة العمل الوطني في شمال المغرب المعروفة بالكتلة الثانية في فاتح فبراير 1936.

3. الحرب الأهلية والعمل الوطني

شكلت الحرب الأهلية الإسبانية التي قادها الجنرال فرانثيسكو فرانكو Francisco Franco، مرحلة جديدة في تاريخ الحركة الوطنية بالشمال، فبعد أن ظلت هذه الأخيرة تعمل لمدة طويلة بشكل سري استطاعت أن تخرج إلى العلن عبر منحها حرية تأسيس صحافة وطنية، وحرية تأسيس أحزاب سياسية. كان الغرض من هذه السياسة تهدئة الأوضاع بالمنطقة وذلك عبر التقرب من الوطنيين، حيث كان الجنرال فرانكو على علم بأنهم سيعارضون بشدة تجنيد المغاربة في صفوف قواته، فأخذ يتقرب منهم بواسطة المندوب السامي الإسباني الكولونيل خوان بيكيبدر(541) Juan Bigbeder، وقد كان لهذا الأخير القدرة على زرع الشقاق بين صفوف الوطنيين([542])، نتج عنه ميلاد أحزاب سياسية موالية للمستعمر بالمنطقة، واستطاع بيكيبدر أن يشتري صمت الوطنيين بالحرية النسبية لأنشطتهم السياسية مقابل تجنيد الآلاف من الجنود المغاربة خلال الحرب الأهلية الإسبانية، لكن الوطنيين استغلال ورقة التعاون للاستفادة من مما تم عرضه من قبل المقيم العام، وذلك بغية انتزاع أكبر قدر ممكن من الإصلاحات، لكن حصل عكس ما تم التخطيط له لأن الحركة الوطنية أدركت بمجرد انتهاء الحرب، بأن الوعود الإسبانية ظلت مجرد وعود وفقط([543]).

---

[541]) بيكيبدير خوان juan bigbeder جنرال إسباني عين على رأس مراقبة الإيالة لمقاطعة شفشاون غمارة سنة 1935، وعندما وقع الانقلاب العسكري الذي أطلح بالجمهورية الاسبانية يوم 18 يوليوز 1936 تولى نيابة الأمور الوطنية بتطوان، انظر **معلمة المغرب**، ج 6، صص 1961-192

[542]) Benjelloun, op cit, p 191

[543]) Ibidem

وقد تمكن الوطنيون بفضل الضغوطات الممارسة على السلطات الإسبانية من توسيع نشاطهم والعمل بحرية تامة فسارعوا إلى تأسيس أول حزب أطلق عليه حزب الإصلاح الوطني بتاريخ 18 دجنبر 1936، وقد كان مركزه بمدينة تطوان، وتوجه وفد من مدينة الشاون لتقديم الدعم للحزب الجديد والتعبير عن استعداداهم لدعمه والدعاية له([544]). وبعد مرور مدة وجيزة على تأسيس الحزب، تم إنشاء فرع له بمدينة شفشاون مكون من اللجنة التالية: أحمد بن المقدم (رئيسا)، عبد القادر الشحام (كاتبا)، العياشي العلمي (مساعد الكاتب)، محمد بن عبد السلام العمارتي (أمينا)، عبد الكريم السمار، عبد السلام بن عبد الكريم الحضري، أحمد الكويرة وكلهم أعضاء([545]).

وبمجرد تكوين هذه اللجنة تم تنظيم حفل خطابي للتعريف بأهمية العمل الوطني، فألقى عبد السلام الحضري خطابا حول موضوع (التضامن الحزبي في الإصلاح) إضافة إلى العياشي العلمي الذي ألقى بدوره درسا عنوانه (مبدأنا وغايتنا في الإصلاح)، وقد اختتمت أعمال هذا الحفل بمسيرة إلى مركز اللجنة الفرعية لحزب الإصلاح معلنين تأييدهم للحزب بقيادة عبد الخالق الطريس([546]).

وقد كان فرع شفشاون يضم شعبتين هما الشعبة الراشدية(547) والشعبة الأندلسية، لكل منها رئيس وكاتب وأمين وأعضاء، كانت تعمل فيما بينها بواسطة المراسلات المكتوبة، إضافة إلى وجود فروع للتنظيمات الموازية التي أنشأها الحزب، كمنظمة الفتيات واتحاد الطلبة والاتحاد النسائي([548]).

---

[544]) الهبطي، م س، ص. 219

[545]) "أخبار حزب الاصلاح الوطني"، **الحرية**، عدد 33، 24 دجنبر 1937

[546]) "حفلة خطابية بشفشاون"، عدد 51، السنة 1، 4 مارس 1937

[547]) يطلق أحيانا على شفشاون اسم الراشدية نسبة إلى مؤسسها علي بن راشد

[548]) الهبطي، م س، ص.220

وخلال سنة 1937 شهدت الساحة السياسية ظهور حزب جديد أطلق عليه اسم حركة "الوحدة المغربية" بقيادة محمد المكي الناصري، كمحاولة من المندوب السامي بيكيبدير في كسر شوكة حزب الإصلاح الوطني فترك العنان مفتوحا أمام تأسيس هذا الحزب وقدم له الدعم، فاستطاع أن يمثل إلى جانب الإصلاح الوطني أهم حزبين بالمنطقة الشمالية، فأصدر هذا الحزب صحيفة تحمل نفس الاسم "الوحدة المغربية"([549]) باللغتين العربية والإسبانية، وقد لقي هذا الحزب بدوره ترحيبا من لدن وطنيي مدينة شفشاون الذين كانوا يؤمنون بفكرة الوحدة والعمل السياسي([550])، وإن لم يصل إلى المستوى الذي حققه حزب الإصلاح الوطني(551). وبناء على ذلك تم تأسيس فرع لحزب الوحدة المغربية(552)، ضم كلا من الحسن العمارتي (رئيسا)، عبد السلام احرازم (كاتبا)، أحمد الأمين الريسوني (عضوا)، عبد القادر المقدم (عضوا)، محمد عياد الخمسي (عضوا)، محمد بورياش (عضوا)، الهاشمي بن عبد الكريم الحضري(553).

[549]) صدر أول عدد منها بتاريخ 3فبراير 1937

[550]) المنتصر القادري، **"أهلا وسهلا بالوحدة المغربية"، الوحدة المغربية**، عدد 10، فبراير 1937

[551]) ياسين الهبطي، م س، ص.224

[552]) لقد كان للحزب بالشاون نشيد خاص به كان مطلعه حيا الله ووفق رجالها العاملين

[553]) ياسين الهبطي، م س، ص. 224

صورة رقم 8: وطنيي مدينة شفشاون خلال النصف الأول من الثلاثينيات(554)

وهكذا عرفت سنة 1938، انضمام عدد كبير من الشفشاونيين إلى الحزب بعد انسحابهم من حزب الإصلاح الوطني، وجاء ذلك كرد فعل لعدم إرسال أبناء شفشاون ضمن البعثة الطلابية إلى القاهرة من لدن حزب الإصلاح الوطني والمكونة من أبناء المعهد الحر بتطوان، وكان لذلك أثر سلبي على علاقة وطنيي شفشاون برجال حزب الإصلاح(555)، وهو الأمر الذي حاول المكي الناصري عدم الوقوع فيه، خلال البعثة التابعة لحزبه التي أرسلها المعهد الخليفي إلى القاهرة سنة 1938، وتضم أحد أبناء مدينة شفشاون وهو الطالب عبد السلام الكويرة الذي أقيمت له حفلة وداع بفرع الوحدة المغربية بشفشاون (556).

واكبت مدينة شفشاون إذا جميع الخطوات التنظيمية التي عاشتها الحركة الوطنية بالمنطقة الخليفية منذ تأسيس الهيأة الوطنية السرية سنة 1930، إلى غاية سنة 1936 تاريخ تأسيس حزب الإصلاح الوطني، و1937 سنة تأسيس حزب الوحدة المغربية، وهما

---

554) تجمع على التوالي الواقفين من اليمين عبدالكريم الدحمان العمارتي والمكي بن عبدالقادر ابن يحيي وعبدالسلام بن قاسم ريّان أما الجالسين بدأ من اليمين كذلك أحمد بن الهاشمي ابن حمدة وأحمد المقدم المرابط وأحمد بن الأمين الريسوني وعبدالقادر الشحام، صورة خاصة في الجمعية الراشدية بمدينة شفشاون

555) الهبطي، م س، صص. 224-225

556) "شفشاون تحتفل بابنها المبعوث"، **الوحدة المغربية**، 16 شتنبر 1938

الحزبان اللذان أطرا العمل السياسي بالمدينة، وأصبحا يعملان بتنسيق فيما بينهما منذ سنة 1940، وتبنيا مختلف مطالب سكانها واحتجاجاتهم وفق برامج سطرتها القيادة الحزبية بتطوان، أحيانا والجماهير الشفشاونية أحيانا أخرى.

III. تفاعل المنطقة مع بعض القضايا الوطنية

أصدرت السلطات الفرنسية بتاريخ 16 ماي 1930 الظهير البربري، عملت فيه على تخصيص الأمازيغ بمجموعة من القوانين، خاصة على المستوى القضائي، بغية إحداث تفرقة بين العرب والأمازيغ، وقد شكل هذا الفعل خطرا كبيرا على وحدة المغرب. وعلى إثر صدور هذا الظهير عمل المغاربة بمختلف الوسائل للدفاع عن وحدتهم، فأخذوا بقراءة اللطيف في المساجد بصيغته المعروفة " اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادر، ربنا لا تفرق بيننا وبين إخواننا"

لم تتأخر ساكنة شفشاون من جانبها في التعبير عن احتجاجها على هذا السلوك الاستعماري الفرنسي، وذلك يوم 16 ماي من كل سنة، وقد سجلت مختلف الصحف التي كانت تصدر في هذه المرحلة، مختلف مظاهر الاحتجاج الذي قامت بها ساكنة المدينة ونذكر من بينها ما جاء في جريدة الحياة:

" **ففي ماي من سنة 1934، نظمت المنطقة الخليفية احتجاجا تنظيميا ظهر فيه استنكار هذه الجهة للسياسة التي اتبعتها الدولة الفرنسية في الجهة السلطانية ، ففي صباح هذا اليوم بدأت الحركة في مدن المنطقة ومن بينها مدينة شفشاون، فعلقت الجماهير شارات الحداد واجتمعت لتلاوة القرآن الكريم وقراءة اللطيف** "([557]).

[557]) "منطقتنا تشارك أختها في المحنة"، **الحياة**، 24 ماي، 1934

وقد تابع الشفشاونيون تضامنهم مع المنطقة السلطانية، فأحيوا الذكرى الثامنة لصدور ظهير 16 ماي 1930، حيث قررت اللجنة التابعة لحزب الإصلاح الوطني أن عقد اجتماع بالمسجد الأعظم بعد صلاة الظهر لقراءة اللطيف والذكر الحكيم، فامتلأ المسجد بكثرة الحضور وقد قام عبد القادر الشحام بإلقاء كلمة بين فيها للمجتمعين أسباب الجمع والغاية منه([558]). كما قام عبد السلام الحضري رئيس اللجنة الفرعية لحزب الإصلاح الوطني، بإلقاء خطاب شرح فيه السياسة الفرنسية في الشمال الإفريقي وما ترمي إليه. كما تلا نص الاحتجاج الذي رفع إلى مقيم فرنسا بالمغرب، وأكمل المجتمعون قراءتهم إلى حين صلاة العصر، فخرج الجميع في مظاهرة كانت من أقوى المظاهرات في تاريخ الحزب، واختتمت بكلمة ألقاها أمين اللجنة الفرعية عبد السلام ريان وسكرتير اللجنة الفرعية العياشي العلمي([559]).

وقد قامت حركة الوحدة المغربية بدورها بإحياء هذه الذكرى، حيث أقيم تجمع احتجاجي بمشاركة حزب الإصلاح الوطني بالمسجد الأعظم بعد صلاة العصر يوم 16 ماي عام 1940، ألقيت فيها كلمة قدمها الطالب عبد القادر المقدم باسم اللجنة الفرعية لحركة الوحدة المغربية، بين فيها أهداف فرنسا الخبيثة من إصدارها لهذا الظهير([560]).

اما الذكرى الحادية عشر لإصدار الظهير البربري، فقد تم إحيائها في مهرجان بمدينة طنجة شاركت فيه مختلف مدن الشمال، وقد مثل مدينة شفشاون في هذا المهرجان عبد القادر المقدم الذي ألقى كلمة بالنيابة عن رئيس الوحدة المغربية، وقد جاء في إطار حديثه عن هذا الظهير ما نصه: " **ها هي الوحدة المغربية تعلن بلسان الأمة المغربية**

---

[558]) "ماي بشفشاون"، **الريف**، 7 يونيو، 1938

[559]) بدون كاتب، ماي بشفشاون، م س

[560]) "الذكرى العاشرة للظهير البربري"، **الوحدة المغربية**، 23 ماي، 1940

سخطها ضد تصرفات فرنسا الفاشلة، تلك الدولة الغاشمة التي مدت يدها الأثيمة إلى ملايين من إخواننا مسلمي البربر فأرادت أن تجعهلم ضمن أبنائها وأن يصيروهم شعبا ملحقا بالامبراطورية الفرنسية، كما تصل إلى تحقيق سياستها في المغرب الأقصى، التي هي استعمار المغرب استعمارا أبديا فكان منها أن اختلقت مشروعا مزيفا خطيرا أطلقت عليه اسم الظهير البربري، الذي أصدرته في مثل هذا اليوم من سنة 1930"، ويضيف قوله بالتأكيد على دعم ومشاركة شفشاون، في إحياء هذه الذكرى : "**أيها السادة: إنني باسم بيت الوحدة المغربية الشفشاوني أضم أصواتنا بالاحتجاج ضد الظهير البربري المشؤوم، إلى أصوات كافة المغاربة تحت قيادة مؤسس حركة الوحدة المغربية...**"(561).

إن مختلف هذه النماذج لا تمثل سوى أمثلة على أشكال الاحتجاج التي كان يعبر بها الشفشاونيون، وإن تنوعت بين تنظيم المهرجانات وإلقاء الخطب والإضراب عن العمل، وقراءة اللطيف، فكلها تعبر عن مدى التأثير الذي تركته فرنسا في نفوس المغاربة عموما ونفوس الشاونيين خصوصا.

وبعد قضية هذا الظهير، عرفت سنة 1937 ظهور قضية أخرى معروفة بماء بوفكران، فعلى إثر إصدار السلطات الفرنسية للقرار الوزيري المؤرخ في نونبر من سنة 1936 القاضي بتوزيع ماء بوفكران، وعلى إثره اندلعت بمدينة مكناس في 2 شتنبر من سنة 1937 مظاهرات احتجاجية، ردت عليها السلطات الفرنسية بإطلاق النار مما أدى إلى وقوع قتلى وجرح عدد من المحتجين، وتفاعلا مع الأحداث التي شهدتها مكناس، نظمت شفشاون يوم الجمعة 11 شتنبر 1937 صلاة الغائب على الشهداء. ثم ألقى

---

561) "كلمة الفرع الشفشاوني"، **الوحدة المغربية**، 23 ماي، 1941

العياشي العلمي عضو اللجنة الفرعية لحزب الإصلاح الوطني خطابا حماسيا تضمن احتجاج الشفشاونيين على السياسة الهمجية لفرنسا، وتضامنهم مع إخوانهم في المنطقة السلطانية([562]).

IV. الكفاح الوطني في شفشاون

1. مدينة شفشاون وحدث نفي السلطان محمد بن يوسف

قامت السلطات الفرنسية بتاريخ 20 غشت من سنة 1953 باتخاذ إجراء خطير تمثل في نفي السلطان محمد الخامس وخلعه عن عرشه، وإرساله رفقة أسرته إلى خارج المغرب، وعوضته بسلطان آخر هو محمد ابن عرفة، وهو الأمر الذي لم يقبله المغاربة مطلقا.

وقد أحدثت سنة نفي الملك الشرعي للبلاد هزة عنيفة في أوساط الحركة الوطنية المغربية، تجلى في اندلاع العمل المسلح وسيره جنبا إلى جنب مع العمل السياسي.

ومنذ ذلك الحين أصبحت الحركة الوطنية، تدافع من أجل قضيتين، أولهما: عودة سلطان البلاد الشرعي محمد الخامس، وثانيهما استقلال المغرب. وككل المغاربة كان رد فعل الشفشاونيين، عنيفا فأصبحت بذلك الأعياد الدينية والوطنية محطات احتجاجية واكبتها صحف المرحلة التي كانت تصدر بالمنطقة الخليفية.

ففي يوم 18 نونبر من سنة 1953، أقيم بمدينة شفشاون احتفال لإحياء ذكرى عيد العرش، حيث ألقيت فيه قصائد وكلمات تضمنت الحديث عن المعاناة والمأساة التي حلت بالمغاربة على إثر هذا الحدث، كما تمت قراءة اللطيف بعد صلاة العشاء بمسجدي الأندلس وسيدي وخنشة([563]).

---

[562]) عبد السلام الحضري، "صلاة الراشدية على شهداء مكناس"، **الريف**، عدد 107، 24 شتنبر 1937

[563]) "إحتفال مدن المنطقة وفروع الحزب فيها بعيد العرش"، **الأمة**، عدد 74، 19 نونبر 1953

وقد عمدت اللجنة الفرعية لحزب الإصلاح الوطني، على توجيه برقية إلى الحكومة الفرنسية تندد فيها بالأعمال التي تمارسها بمنطقة نفوذها ومسها بشرعية السلطان محمد الخامس([564]).

وفي يوم 20 غشت خلد المغاربة ذكرى ثورة الملك والشعب، إذ أصبح هذا الاحتفال سنويا، وقد قدمت جريدة الأمة وصفا للأجواء التي شهدتها مدينة شفشاون في هذه الذكرى بما يلي: "**شاءت شفشاون في ذكرى 20 غشت أن تصبح مدينة الشعور بالواجب وإعلان التضامن الوطني في أحلى حلله، فأضربت عن أنواع الكسب إضرابا جماعيا، ليس عليه من أثر التكليف احتجاجا على سياسة فرنسا الاستعمارية، التي تنفذها بوحشية جنودها وإرهاب بوليسها المتجبر... وقد استجاب للنداء الوطني كل خطباء الجمعة فتضرعوا على المنبر لذكرى الكارثة الأليمة...**"([565])

وقد كان الشفشاونيون حريصون على إحياء هذه الذكرى كتعبير عن مدى رفضهم لهذا الفعل الفرنسي الشنيع، حيث أعلوا إضرابا عاما، فدارت كل خطب الجمعة حول هذه الذكرى الأليمة، وقد شارك فيها عدد وفير من السكان وبعد صلاة العصر تلي اللطيف، ثم أقيمت صلاة الغائب على أرواح شهداء الفداء، وقد قام رئيس الفرع الشفشاوني لحزب الإصلاح الوطني بإلقاء كلمات حماسية حول الموضوع([566]).

والواقع أن نفي السلطان محمد الخامس، كان إجراء غبيا من طرف الفرنسيين لأنهم لم يضعوا صوب أعينهم النتائج التي قد تحصدها من جراء ذلك، وكيف سيكون رد فعل الشعب المغربي، وما مدى التطور الذي عرفه العمل الوطني بالمغرب، والاحتفال

---

[564]) "فروع الحزب تحتج"، **الأمة**، 24 نونبر 1953

[565]) "شفشاون يوم ذكرى 20 غشت"، **الأمة**، عدد 305، 23 غشت 1954

[566]) "نفسه

بعيد العرش لم يكن عملا احتفاليا فقط، بل كان يرمز لمسألة أرقى من ذلك، فهو يرمز إلى التعلق بالحاكم الشرعي للبلاد والوحدة المغربية.

لقد كانت مدينة شفشاون حريصة على أن تحتفل بعيد العرش في كل سنة يوم 18 نونبر، تعلن فيه إضرابا عاما، وشكل مناسبة للاحتجاج على الممارسات الاستعمارية المختلفة، وفرصة للتعبئة من أجل القضية الوطنية، وكان نشطاء الحركة الوطنية هم المشرفون على تلك الاحتجاجات بمساعدة لجن خاصة كونها سكان أحياء المدينة والمهنيون والتجار([567]).

وعموما إن مختلف الاحتجاجات التي ظل يعبر بها الشفشاونيون كل يوم 20 غشت ويوم 16 ماي، و18 نونبر عيد العرش، من كل سنة، لها دلالة واحدة تتجلى في التشبث بالوحدة المغربية التي يشكل السلطان رمزا لها.

وقد استطاع بالفعل رجال الحركة الوطنية تأطير هذه الاحتجاجات وتوجيهها وذلك بفضل روح الوطنية التي يتشبع بها الوطنيون الشفشاونيون طوال الفترة التي خضعت فيها إلى الاستعمار.

2. حدث استقلال المغرب:

شكل حدث 20 غشت 1953 تاريخ نفي السلطان محمد الخامس، بمثابة الشرارة التي أججت نار الكفاح الوطني، حيث تظافرت المقاومة الشفشاونية مع المقاومة المنظمة في مناطق أخرى بشكليها المسلح والسياسي، بشكل لم تستطع معه الجيوش الاستعمارية فعل أي شيء على إثره، سوى السماح للسلطان المنفي بالعودة إلى بلاده يوم 16 نونبر 1955، والجلوس إلى مفاوضات إيكس ليبان خلال شهر غشت 1955، وتوجت باتفاقية

[567]) الهبطي، م س، ص 264

2 مارس 1956، التي استعاد المغرب على إثرها استقلاله من الاستعمار الفرنسي، لتسير على نهجها الدولة الاسبانية، حيث بثت الإذاعة الوطنية الإسبانية حديثا أدلى به الجنرال فرانكو حيث قال: "**إن إسبانيا ستسلك الطريق الذي سلكته فرنسا أخيرا بأن وضعت حدا لحمايتها بالمغرب**"([568]).

وعلى إثر ذلك قامت مدينة شفشاون باحتفالاتها بمناسبة الاستقلال، هذا الاحتفال نشرته جريدة الأمة التي جاء فيها: "**احتفلت مدينة شفشاون يوم الاستقلال ويوم عودة الملك من فرنسا حاملا وثيقة الاستقلال، احتفالا رائعا أشرفت على تنظيمه اللجنة الفرعية لحزب الإصلاح الوطني، بالاتفاق التام مع باشا شفشاون. وقد نظمت حفلات ليلية شارك فيها الخطباء وشباب الحزب بأناشيدهم والجوق الموسيقي، فكانت حفلة اللجنة الفرعية بدار العمارتي يوم السبت، وحفلتي الشعبة الأندلسية والشعبة الراشدية في ساحة وطاء الحمام يومي الأحد والاثنين. أما المظاهرة العظيمة التي نظمها شباب الحزب بشعبه وخلاياه، فلم يشارك فيها البوليس حسب طلب الحزب الذي تعهد بحراسة الأمن، وسار في المظاهرات سائر الأهالي من الأعيان والشرفاء والموظفين، على رأسهم سعادة الباشا وفضيلة القاضي، وقد اعتبرت هذه المظاهرة مظاهرة الجميع لا فرق فيها بين الهيات.**

وبعدما اجتمع الجمهور العظيم في ساحة وطاء الحمام، قام سكرتير فرع حزب الإصلاح عبد الله قريش، وألقى باسم الحزب خطابا حماسيا، ثم قام الشريف مولاي أحمد المصلوحي باشا المدينة بتحية المغرب حرا مستقلا موحدا، وطلب من الجمهور أن يحافظ على الامن والهدوء. وسارت المظاهرة في أهم الشوارع، وعند رجوعها إلى

---

[568]) " تصريحات هامة للجنرال فرانكو إلى جريدة نيويورك هيرالد تريبيرن حول المغرب"، **الأمة**، عدد 803، 4 أبريل 1956

وطاء الحمام تكلم مرة ثانية الأستاذ قريش ثم وقف الباشا يشكر الجمهور ويدعو الله، والجميع يؤمن على دعواته"([569]).

هكذا مرت الاحتفالات بشفشاون بمناسبة استقلال المغرب، لنجد المدينة مرة أخرى تساهم بدورها في التعبير على وطنيتها ورغبتها في وحدة البلد واستقلاليته.

يتبين مما سبق أن سكان مدينة شفشاون شاركوا بفعالية في الدفاع عن استقلال وطنهم، وحققوا من خلال هذه المشاركة مكتسبات مهمة إلى جانب باقي جهات المملكة، تجلى أبرزها في إرغام المستعمر على الاعتراف باستقلال المغرب، وهو دليل على أن إسبانيا فشلت في استدراج أبناء المنطقة على الرغم من الإصلاحات التي جاءت بها.

[569]) "يوم الاستقلال في شفشاون"، **الأمة**، عدد 779، 7 مارس 1956

الفصل السابع

التحولات المعمارية والعمرانية بمدينة شفشاون عهد الحماية

لقد تطلب بناء مدينة شفشاون عدة قرون. وأنتجت كل مرحلة تراثا هندسيا متميزا، وخلال الفترة الكولونيالية لم تستطع إسبانيا أن تغير من النسيج العمراني والمعماري للمدينة، بل عملت على تقليد الفضاء الحضري للمدينة العتيقة لشفشاون خاصة في هندسته، وهذا لا يعني أن معمارها لم يخضع للتحولات التي شهدتها باقي الميادين خلال هذه المرحلة، فالتغيير كان جذريا في كل مراحل التوسع الاستعماري، وذلك نتيجة اندماج شفشاون في سيرورة الأحداث السياسية والاقتصادية الخاصة بالمجتمع الإسباني. فما هو تأثير السياسة العمرانية في تدبير المجال الحضري بالمدينة؟

I. التهيئة العمرانية والمعمار

حافظت المدن الشمالية ومن ضمنها مدينة الشاون على نمط الحضارة الأندلسية المغربية في المعمار لعدة قرون، فظلت شاهدة على أثر الأندلس في المغرب، وهو ما كان راسخا في جل معالم المدينة المقدسة، فصارت تشكل نسيجا ثقافيا مغربيا متكاملا انعكس على سلوكيات الإنسان المغربي وهويته وتراثه، وقد استكمل هذا الميراث التراثي في المدينة مع التدخل الإسباني بالمجال المعماري والحضاري، وهو مايؤكد على أن الأثر الإسباني كانت له كلمة بدوره في مجال الهندسة والعمران. فأين يتجلى هذا التأثير؟

1. نشأة المدينة القديمة:

تعتبر الفترة من نهاية القرن الخامس عشر حتى بداية القرن الثامن عشر هي الأكثر تأثيرا في تشكيل العمارة الشفشاونية القديمة، ونظرا إلى كون العمارة الشاونية هي جزء لا يتجزأ من تراث العمارة والحضارة الإسلامية، فإننا نجد أنها تشترك في الخطوط العريضة مع القيم الفنية للتراث المعماري الإسلامي، تستمد خصوصياتها من روائع الفن المريني المغربي الأندلسي(570)، ويظهر ذلك جليا في استخدام مواد البناء، وفي أسلوب تصميم الشوارع الضيقة، وفي أنواع وطريقة المباني التقليدية. وحتى في التحصينات العسكرية من أسوار وأبواب، ويأتي على رأسها القصبة النواة الأولى التي كانت بمثابة دار الإمارة، ملحقة بعشرة أبراج(571)، وإذا كانت الوظيفة الدفاعية هي الأساس في عمارة هذه الحصون، فقد روعي في تصميم واجهة سور القصبة والأبراج التي تتخلله، شكلا هندسيا متناسقا(572)، مما يدل على أسلوب فني هندسي عال.

وقد عمد الشاونيون إلى بناء سور يحيط بكل حي من أحياء المدينة(573)، وقد جعل لهذه الأسوار أبواب للربط بين المدينة وعالمها القروي وهي كالتالي:

- باب العنصر - باب المحروق
- باب جنان القايد - باب السوق الكبير
- باب السوق الصغير – باب العين
- باب الحمار - باب الهرمون

---

[570]) عبد العزيز بن عبد الله،" شفشاون واثارها المعمارية عبر التاريخ"، **مجلة المناهل**، عدد 28، السنة 10، دجنبر 1983، ص 33

[571]) Martinez lopez, op cit, p.170

[572]) محمد القاضي، أشرفان أحمد، **شفشاون، تاريخ، حضارة**، م س، 95

[573]) الصادق الريسوني، م س، ص 36

- باب الملاح - باب الملاح الفوقية(574)

وقد كان لتوافد عدد كبير من الأندلسيين واستقرارهم في وسط المجتمع الشفشاوني أثر في المعمار الشفشاوني، ويعتبر حي السويقة أول ما شيد بالمدينة(575)، وبشكل متتابع برزت أحياء ريف الأندلس والعنصر والصبانين خلال القرن السادس عشر، وحي السوق خلال القرن السابع عشر والخرازين في وقت متأخر بعدئذ(576).

فتحولت إذا مدينة شفشاون وهي مخبأة في كنف قصبتها إلى مركز حضري مكون من الحمامات والفنادق والفضاءات التجارية(577)، ويضاف إلى ذلك الزوايا والمساجد التي لا تخلو هندستها من الطابع الفني الأندلسي- الإسلامي، ومن أهم أمثلة هذه المساجد، جامع ريف الأندلس، مسجد الصبانين، العنصر، مسجد سيدي بوخنشة، وهي بسيطة في بنائها خالية من الزخرفة، صغيرة في حجمها، ويعد المسجد الأعظم من أبرز المساجد القديمة بالمدينة(578)، كونه يتميز بمئدنة أحدثت على الطابع التركي(579)، وخلال القرن الثامن عشر تم ترميم هذا المسجد(580)، مما أضفى عليه الطابع الذي أحدث عليه من قبل، في حين استمرت المنشآت والمباني العمومية وفية للطابع المعماري وللثقافة الحضرية الأندلسية.

---

574) Anuario guias del norte de Africa, op cit, p 23. También, De lasquetti, op cit, p 17

575) يعتبر من أكبر الأماكن المركزية في المدينة الإسلامية حسب ما ورد عند Soria Marco, **al través de Marruecos**, op cit, p 115

576) Martinez lopez, op cit, p 187

577) الصادق الريسوني، م س، ص 37

578) انظر الصورة رقم 14 ضمن ملحق الصور

579) القاضي محمد، م س، ص 122

580) سعيد أعراب، "جامع شفشاون"، **مجلة دعوة الحق**، عدد 1، السنة 6، أكتوبر 1962، ص 34

وقد تميز النسيج الحضري للمدينة العتيقة بالكثافة وانعدام التنظيم، إذ عرف كل من حي السوق والخرازين والسويقة تكدسا سكانيا مقارنة بحي ريف الأندلس والصبانين وحي العنصر وذلك سنة 1918(581)، ويرجع سبب هذا التوزيع غير المتكافئ للطبيعة الطبوغرافية الجبلية للمنطقة، الشئ الذي فرض ضيق الممرات والأزقة وشكلها العشوائي.

هذا على المستوى الخارجي، أما على مستوى تنظيم المنازل القديمة بشفشاون، فهو لا يختلف عن المنازل التقليدية في المدن المغربية الأخرى، لكن أهم ما يميزه هو وجود فناء واسع على شكل مربع أو مستطيل، والذي كان يحدد نظام تقابل الغرف المتخذة عادة شكلا رباعيا، إلا أن هذه القاعدة كانت تختلف من منزل لآخر تبعا للمستوى المادي لمالكيها، فالأسر الميسورة كانت تملك بيوتا واسعة ومزخرفة تحيط بها حدائق، وغالبا ما كانت هذه البيوت تتشكل من طابقين، في حين بيوت الأسر الفقيرة ذات أشكال عادية، ومكونة من طابق واحد(582).

2. التأثير الأندلسي على العمارة بالمدينة:

خضعت مدينة الشاون لتأثير الحضارة العربية الأندلسية، وقد مس هذا التأثير مختلف الميادين، وخاصة منها الميدان المعماري. فمع نهاية القرن السابع عشر أخذ هذا التأثير يبرز بشكل واضح بعد موجة الأندلسيين الذين وجدوا في المغرب ملاذا لهم وخاصة في المدن العتيقة ومنها مدينة الشاون، هذه الفئة السكانية التي استقرت

---

581)Abdelhamid EL hassani , **étude architecturale de la médina de chefchauen**, imp:al maarif, casablanca, p 41

582) EL hassani a, **étude architecturale de la médina de chefchauen**, imp:al maarif, casablanca, p 44

بالمدينة حملت معها المآثر المعمارية الأندلسية وعملت على إحيائها وذلك ببناء أحياء خاصة بهم تحمل نفس مميزات الأحياء الأندلسية من حيث الشكل والهندسة، وقد برز ذلك على ثلاث مستويات:

- على المستوى الهندسي: حيث أعطى وجود أحياء وأزقة وشوارع بهندستها المتميزة وأشكالها المتنوعة بشفشاون صورة مطابقة لمثيلاتها بمدينة غرناطة، من حيث تشابه مواد البناء وكذلك التقنيات التي كانت مستعملة في تلك المنطقة.

- المستوى المورفولوجي الجغرافي: بحكم موقع المدينة الجبلي، جعل التوزيع المعماري يتخذ شكلا غير منظم بفعل وجود منخفضات ومرتفعات، على خلاف المدن التي بنيت في مناطق سهلة منبسطة كسلا. وبإلقائنا نظرة على الشكل المعماري الشفشاوني الغرناطي، نجد كلتا المدينتين بنيت على مرتفع متدرج من قمته عين مائية(583).

- المستوى الجمالي: إن استعمال السقوف المائلة من القرميد الأحمر والأثاث الحضري، والشكل المثمن الزوايا للمئذنات والصوامع، بالإضافة إلى استخدام هياكل بناء من الخشب المنقوش في زخرفة الأزقة والشوارع، جلها عناصر شهدت على مدى التأثير الأندلسي الذي طبع المعمار الشفشاوني(584).

---

583) El hassani, op cit, , pp.39-40

584) El Dahan, op cit, p. 139

وعموما فجل هذه الخصوصيات المعمارية الشفشاونية تدل على مدى التشابه الكبير بينها وبين التخطيط المعماري لمدينة غرناطة، ولا شك في أن السلطات الاستعمارية قد حاولت تدعيم وجودها بهذه المدينة من خلال إعادة ترتيب مجالها. فأين يبرز هذا التأثير؟

II. التحولات المعمارية للمدينة خلال مرحلة الاستعمار

ترتبط الهندسة المعمارية دائما بالتحولات السياسية والاقتصادية، وهو ما عرفته المدن الشمالية التي شهدت تمازجا بين نمطين مختلفين انطلاقا من التأثير المغربي ووصولا إلى التأثير الإسباني، الذي جاء بمعايير وأساليب هندسية حاولت من خلالها المزج بين الثقافة الأندلسية والطابع الأوروبي الحداثي، وهو ما جعل المنطقة تعيش نوعا من التعايش بين طابعين مختلفين.

لقد كان لإسبانيا غاية، بعد إخضاع جل مناطق الشمال، وهي أن تعمل على إعادة تهيئ المجال الذي وجدت فيه لتستطيع التكيف مع الأوضاع والمتغيرات التي أدخلتها سواء الاقتصادية منها أو الثقافية، هذه المجالات التي عرفت تطورا ملحوظا استطاعت من خلاله استقطاب العديد من المهاجرين الإسبان الذين توافدوا على المدينة، فكان من الطبيعي أن تلجأ الإدارة الإسبانية لإعادة هيكلة المجال الحضري، لكن ما يثير الانتباه هو أن المستعمر ظل دائما يؤكد على ضرورة المحافظة على الطابع التقليدي للمدن القديمة ومن بينها مدينة شفشاون، وهو ما يدعو للتساؤل عن ماهية القيمة التي تمثلها الهندسة المعمارية لهذه المدينة؟ وما هي الإجراءات التي اتخذتها الإدارة الاستعمارية لهذه الغاية؟

لا شك في أن هذا القرار نابع من الحنين الذي ظلت تعبر عنه إسبانيا للحضارة الأندلسية التي كانوا يعتبرونها مكونا من مكونات ثقافتهم المعمارية، وتعتبر المعالم الفنية التي ظلت تزخر بها مدينة شفشاون دليلا حيا على تاريخ مشترك وحافل يتمثل في الثقافة الإسلامية الأندلسية. لهذه الأسباب ولأسباب أخرى كان من الصعب جدا على إسبانيا أن تنشئ أحياء على شاكلة الأحياء القديمة على مستوى الهندسة المعمارية، بل حاولت أن تخلق مزيجا فيما بينها، وبالرغم من ذلك فقد أحدثت انفصالا وازدواجية بين هذين المجالين، وبالتالي يمكن القول بأن إسبانيا كانت تعيش نوعا من الجدل فيما بين سياسة التغيير التي أرادت أن تنهجها وبين رغبتها في المحافظة على الطابع التقليدي.

1. السياسة الحضرية للسلطات الاستعمارية:

إن التأثير الحاصل في العمارة الأندلسية بالعديد من المدن القديمة ومنها شفشاون، يعتبر من القضايا الرئيسية التي انجذبت إليها إسبانيا خلال سياستها الحضرية في المدن الشمالية، وبمقارنة النموذج الإسباني مع الفرنسي نجد بأن هذه الأخيرة جاءت بمخطط معماري يهدف إلى تهميش الأحياء القديمة وتجريدها من جميع خصائصها وتحويلها إلى أحياء أخرى تعطي الأولوية للعنصر الأوروبي، الأمر الذي خلق هوة عميقة بين السكان في الحقوق الاجتماعية والاقتصادية

والثقافية، أما النموذج الإسباني فقد سعى منذ البداية إلى اتخاذ إجراءات من شأنها المحافظة على التراث عبر خلق مجلس أعلى للمآثر الفنية والتاريخية(585).

على الرغم من أن الإسبان تأخروا في احتلال مدينة الشاون، إلا أنهم كانوا يعملون على وضع مخططات ترمي إلى ضرورة دعم البحث الأكاديمي التاريخي الذي من شأنه أن يساهم في دراسة الفن المعماري للمدينة وكيفية المحافظة على المعالم التاريخية التي تحتويها، ومن هذا المنطلق كانت هناك رغبة في تنظيم بعثة طلابية للدراسة في المدرسة العليا للمهندسين بإسبانيا يستفيد منها المغرب، وتعتبر هذه البعثة الأولى من نوعها التي أرادت من خلالها السلطات الإسبانية الاطلاع على كل ما هو موجود في مدينة الشاون من خلال تصميمها الهندسي والذي لا يوجد بإسبانيا، وقد كانت هذه البعثات تحت إشراف أستاذين مكلفين بهذا المشروع وهما Ripalles و Amasagasti اللذان كانا يقومان بتنظيم بعثات خلال شهر فبراير من كل سنة، وجل الأبحاث التي تم جمعها حول المدينة تؤكد على أن هذه الأخيرة تختلف تماما عن باقي المدن الإسلامية في طباعها وطابعها المعماري(586)، إذ اعتبرتها الدراسة الصادرة عن الإقامة العامة الإسبانية "**فريدة من نوعها تختلف عن جل مدن المغرب، هندستها المعمارية إسبانية مماثلة لتلك التي في غرناطة، مع**

---

585) Antonio Bravo, **arquitectura y urbanismo Español en el norte Marruecos,** consyeriade obras publicas y transportes, direccion general de arquitectura y veinpa, 2000**,** op cit, p 121

586) Luis M. de Gana y fernando de Urrutia y Francisco H. Rubio,"Viaj a marruecos de los almunos de 4 de la escuela superior de arquitectura", **ingar 10**, Num 1y 2, p 249

التأثيرات المغربية واجهتها مزينة باللون الأبيض وكأنها لوحة فنية، هاتان المدينتان شكلتا قطبان إسلاميان مهمان في الحضارة الاسلامية الواسعة"(587).

إضافة إلى هذه البعثات تم الشروع في إنشاء مدارس إسبانية عربية سنة 1930 أتت من أجل التعليم والمحافظة على كل ما هو فن تقليدي في جل المجالات وحتى العمرانية من بينها لأجل إعادة إحياء كل ما هو تراث قديم ومزجه مع كل ما هو حضاري معاصر(588).

انطلاقا من المعلومات التي جمعتها الإدارة الإسبانية توجهت هذه الأخيرة لتطبيق سياستها الحضرية والتي كانت تهدف بالأساس إلى دعم وجودها بمدينة شفشاون. فبعد أن استطاعت إنشاء مدينة ذات طابع أوروبي، تتميز بازدواجية مجالية استطاعت من خلالها إسبانيا تجريد المدينة القديمة من جميع وظائفها سواء على مستوى الأنشطة المتزاولة أو على مستوى التسيير الحضاري(589)، وهو ما يؤكد أنه على الرغم من أن الإسبان جاءوا بفكرة تقليد الطابع المعماري القديم للمدينة، إلا أنهم حاولوا مزجها مع جل المتغيرات التي شهدتها وتجريدها من طابعها العسكري الذي كانت عليه من قبل وإخضاعها بالتالي للظروف الجديدة التي أصبحت عليها.

---

587) A.C.E.M, **accion de España en Marruecos**, op cit, p 620

588) Federico Castro Morales," Huellas arquitectónicas de un proyecto transfronterizo la identidad andalusí", **El Protectorado español en Marruecos: la historia trascendida,** vol 2, p 141

589) El Hassani, op cit, p 41

كان من البديهي أن تخضع المدينة كغيرها من المدن المغربية إلى سياسة الازدواجية، وذلك راجع بطبيعة الحال إلى أنها سارت تشكل مزيجا يجمع بين ساكنة تختلف كل الاختلاف فيما بينها في العادات والتقاليد والديانات، فكان لزما على السلطات الإسبانية أن تلجأ لهذه السياسة ذات الطابع الايديولوجي الاستعماري، وذلك لإرضاء الفئات الإسبانية التي تقطن المدينة، والتي كان يصعب عليها التعايش مع مجتمع مخالف لها، فانتهجت مبدأ الفصل بين المدينة القديمة والمدينة الجديدة، الذي مس في العمق التجانس الذي حافظت عليه شفشاون لمدة طويلة على مستوى فئاتها الاجتماعية وثقافتها المغربية العربية الإسلامية(590)، وهو ما دفع بالفنان التشكيلي برتوشي إلى القول: "**بأن شفشاون قد اغتصبت في معالمها التاريخية وتقاليدها وعاداتها، لأن الوجود الإسباني فيها حاول طمس هوية المدينة باسم الانفتاح، لكن المقاومة الذكية للسكان الأصليين ساهمت في المحافظة على المعالم التي تزخر بها المدينة دون أن يتمكن المستعمر محو أثرها، بحيث أن معالم القصبة لا زالت شاهدة على ثقافة وعقلية وذكاء حضارة خالدة**"(591).

2. تأثير الإسبان على المدينة العتيقة لشفشاون

تميز تدخل الإدارة الاستعمارية في المدينة العتيقة بمحدوديته في البداية، وذلك لكون عمليات البناء والتهيئة تجسدت فقط في هوامش ساحة وطاء الحمام(592)

---

590) El Dahan, op cit, p 140

591) Luis M. de Gana y fernando de Urrutia y Francisco H. Rubio, op cit, p 249-230

592) تعرف ساحة وطاء الحمام باستقبالها منذ القدم جميع الشخصيات السياسية التي جاءت لزيارة المدينة، منذ القرنين 19 و20، نذكر على سبيل المثال السلطان العلوي الحسن الأول الذي دخل من بال الاثنين ومر من الشارع الذي يسمى حاليا الحسن الأول، للوصول إلى ساحة وطاء الحمام، والجيش الإسباني سنة 1920، دخل أيضا من نفس البوابة باب السوق، وصولا إلى لهذه الساحة، كما أن المقيمين العسكريين الإسبان في فترة الحماية، وخليفة السلطان الذي أتى من تطوان، كلهم توقفوا عند هذه الساحة

ابتداء من سنة 1936، من خلال إقامة منشآت استفادت منها ساكنة المدينة، مثل دار القاضي، مستوصف، وغالبية هذه المنشآت مثلت الهندسة المعمارية الأندلسية بصورة مطابقة.

صورة رقم9: جانب من ساحة وطاء الحمام 1930

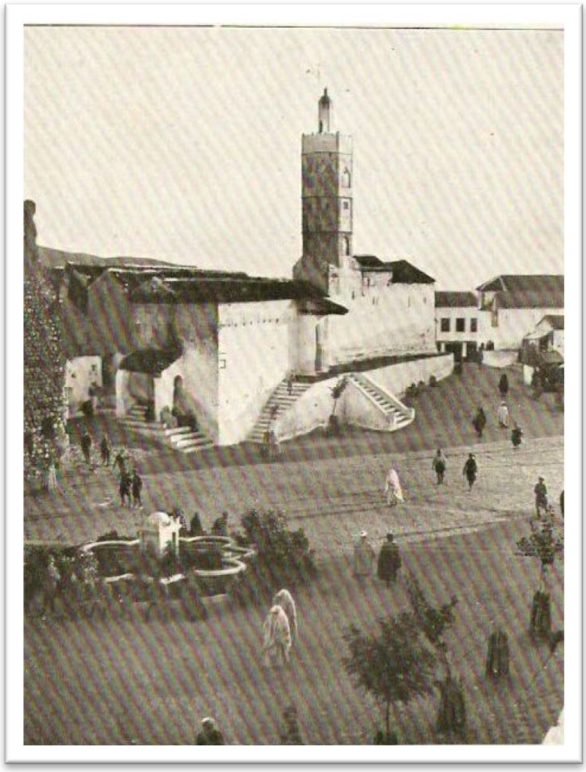

المصدر : Bravo Antonio, **arquitectura y urbanismo Españo, op cit**

تميزت الهجرة القروية بوثيرة مرتفعة خلال الحماية، أدت إلى تحولات اكتسحت الإرث العقاري وازدادت حدتها مع كثرة الطلب على السكن مقابل انخفاض العرض خاصة إذا أخذ بعين الاعتبار تخلي المالكين الأصليين عن هذا الإرث، ونزوحهم للاستقرار بالمدينة الأوربية أو بمدن أخرى(593). فالتحولات المجالية بدأت إذا انطلاقا من تغير صفة الحيازة لإنتاج فضاء حضري خصوصا بعد ظهور

593) El Dahan, op cit, p 140

مواد البناء العصرية، ومن أجل الحفاظ على الخصوصية التراثية للمدينة العتيقة، سنت البلدية الاستعمارية وإدارة الفنون الجميلة القوانين التالية:

- يجب أن تكون النوافذ ضيقة.
- إلزامية الحفاظ على الأسقف التقليدية المحتوية على القرمود الأحمر، واستعماله في البنايات الجديدة.
- أن تكون الأبواب مقوسة مع تسقيفة بالقرمود.
- أن لا تتعدى البنايات طابقا أو طابقين(594).

إلا أن هذه القوانين شهدت خروقات، مما ساهم في ظهور بعض البناءات التي تتعدم فيها هذه الشروط، لكن هذا لا يمنع من الاعتراف بالدور الذي لعبته السلطات الإسبانية في المحافظة على الهندسة المعمارية الخارجية حيث أدخلت بعض التجديدات على المعمار المحلي والمتمثلة في الأبواب والنوافذ المكونة من الزجاج، إضافة إلى الشبابيك للزيادة في تحصين المنزل الشفشاوني ولضمان إنارة مناسبة(595).

3. الشكل المعماري للمدينة خلال المرحلة الاستعمارية: الثابث والمتحول

شهدت مدينة شفشاون تحولا حضاريا ومعماريا ابتداء من النصف الثاني من عشرينيات القرن الماضي، برزت نواته الأولى بعد التصميم الذي جاء به المهندس ميغيل غارسيا Miguel Garcia في 12 أبريل 1928، والذي قدم فيه مشروعا لتشييد المرافق الضرورية والعسكرية لاستقرار الجنود الإسبان، وقد توالت وتطورت عمليات البناء والتجهيز والإصلاحات على يد هذا المهندس، حيث كان جد حريص

---

[594]) El hassani, op cit, p 44
[595]) A.C.E.M, **Accion de España en Marruecos**, op cit, pp 620-621

على تنفيذ مشروع تغيير شفشاون من طابعها الأصلي إلى طابع أوروبي يليق بمقام الأجانب الإسبان، فكان لحرصه ومراقبته دور فعال فيما وصلت إليه المدينة(596).

لم يكن هذا المشروع سوى انطلاقة لمشروع ثان لم يقتصر على ساحة وطاء الحمام، بل شمل المدينة كلها، كمحاولة لإضفاء الطابع الإسباني على المدينة العريقة. وكنتيجة لتضاعف أعداد الساكنة ولارتفاع نسبة الإسبان الوافدين على المدينة، بدأ التحضير لإنشاء حي أوروبي خارج أسوار المدينة، (جنوب شرق المدينة العتيقة) بناء على المخطط التوجيهي لسنة 1944، الذي يطابق في خطوطه العريضة المدينة العتيقة(597)، ويرجع اختيار هذا الموقع لأسباب طبوغرافية تغطي ساحة شاسعة قابلة للاستجابة لمتطلبات المعمرين وضمت احتياطات عقارية تسمح بتوسيع المدينة الأوروبية مستقبلا(598). فجاءت فكرة بناء ساحة اسبانيا Plaza de España على شكل دائري (599)، بمساحة تقديرية بلغت 1120 مترا مربعا(600).

---

596) Bravo Antonio, op cit, p 102

597) انظر التصميم الحضري لسنة 1948 ضمن ملحق الوثائق

598) El Dahan, op cit, p.140

599) Bravo Antonio, op cit, p 102

600) Derecto visirial aprobando la delimitacion de la finca urbana propiedad del majzen situada en la plaza de españa de la ciudad de xauen cuyos limites se indican, **BOZEM**, Año XXIV, 31 julio 1936, N 20, pp 779-780

صورة رقم 10: ساحة اسبانيا صورة مأخوذة من فوق

المصدر(S.N.P) op cit ,A.C.E.M, **accion de españa en marruecos,**

وقد لقي مشروع هيكلة المدينة استحسانا لدى ساكنة شفشاون، واستطاع فيما بعد أن يعم باقي الأحياء سواء المسلمة أو الأوروبية، لأنه كان يخدم حاجة الساكنة البيئية والصحية. ولنفس الغاية تم كذلك الاهتمام بتوسيع الأزقة الضيقة والمظلمة التي تميز المدينة القديمة التي كان يقطنها الشفشاونيون لفك عزلتهم وتحسين معيشتهم، فأصبح بذلك عرض الأزقة الموسعة يتراوح بين 10 و15 متر، كما أن هذا التغيير مس أيضا نوافذ المنازل التي تحولت إلى نوافذ كبيرة بأقواس مزينة بنقوش تقليدية(601).

لم يأثر التخطيط الطوبوغرافي لشفشاون، على الطابع التراثي القديم الذي يعود أساسا إلى الأندلسيين النازحين من إسبانيا كما سلف الذكر. ولأجل هذه الغاية عينت سلطات الحماية المهندس المعماري مانويل لاتور Manuel Latorre رئيس مصلحة البناء المدني، والذي وصل إلى المدينة سنة 1929، للإشراف على المباني العامة بساحة إسبانيا، حيث كان له إلمام واسع بالهندسة والأنماط المعمارية

601) Alta comisaria. E. M, op cit, pp 620-621

الأندلسية، فشهدت المدينة ارتفاعا مهما في نسبة التحضر، رافقه الاستقرار النوعي الذي شهده النشاط الصناعي والتجاري للمدينة(602). وقد تعددت المباني والطرز المعمارية في المدينة التي تجمع بين النمط الشاوني وبين التقنيات الحديثة في البناء، مع الأخذ بعين الاعتبار تصميمات تهدف إلى إرضاء حاجيات السكان. وبرزت كذلك بنايات عالية وعمارات بأشكال معمارية وهندسية متنوعة، وواجهات مختلفة يسكنها أعداد من السكان متجاورين ومتعايشين فيما بينهم(603)، ويجب أن نشير هنا إلى أن شكل هذه العمارات المقوس والمنحني، وسقوفها المغطاة بالقرمود خلق نوعا من النسقية والتناغم في المنظر العام للمدينة.

هذا الإصلاح لم يشمل فقط مجال بناء وتوسيع الأرصفة، بل اهتم كذلك بالمجال الأخضر حيث تم إنشاء منتزهات وحدائق عامة بشفشاون كما هو الحال بمدينة قرطبة الخضراء، وذلك في جل أرجاء المدينة وباقي مدن المنطقة الخليفية، حتى أصبح الإسبان ينعتون مدينة شفشاون، بالمدينة الحديقة(604)CIUDAD jardin، جلها من تصاميم المهندس المعماري فرانسيسكو بريتو مورينو Francisco Prieto Moreno(605).

وبهذ الوثيرة وبسرعة تحولت ساحة وطاء الحمام وساحة اسبانيا إلى قطب المدينة المركزي ببناياته العمومية، وتم بناء الكنيسة، وهي من تصميم المهندس المعماري مانويل لاطور Manuel Latorre والقس أنطونيو بادو Antonio bado،

602) Bravo Antonio, op cit, p 175
603) A.C.E.M, **Accion de España en Marruecos**, op cit, pp.620-621
604) ibidem.
605) Bravo Antonio, op cit, p 205

وبنيت في بادئ الأمر بقلب المدينة الإسلامية، الأمر الذي كان يعيق أشغالها، حيث لم يكن يسمح بقرع جرس الكنيسة ولا حتى وضع علامة الصليب، حفاظا على الخصائص التقليدية للمدينة، فلم يكتمل هذا المشروع إلا بعد مرور خمس سنوات، وعرف تغييرا في مخططه، حيث عملت السلطات على نقل هذا المشروع إلى مكان يبعد عن المدينة القديمة ب 200 متر، في الجانب الشمالي للمدينة الجديدة وعلى مقربة من إدارة الحماية، فوضع المهندس لاتوري هذا المعبد بأسلوب ونمط روماني-شاوني، وبشكل ملائم للطابع الجبلي، كمحاولة لإدماجه داخل البنية الهندسية المحلية للمدينة(606).

صورة رقم 11: الكنيسة الإسبانية بمدينة شفشاون

Revue Mauritania, N42, 1931

606) Olega Ando, Luis," bendicion de una nueva iglesia en xauen", **Mauritania**, N42, 1931, pp.310-311 - también Luego Pérez Antonio "xauen fundacion de la mision catolica", **Mauritania**, N183y 184, 1943, pp.36 a 39, y 61-63

كما تم بناء مقر البريد، وتم الاهتمام بالمجال المائي، سواء تعلق الأمر بقنوات الماء الصالح للشرب، أو مد مجاري المياه المعدمة (الواد الحار)، وكان ذلك موازيا لما جاء به مشروع التهيئة الحضرية(607) للمهندسين الإسبان آنذاك(608).

رغم التخطيط الذي اعتمدته السلطات الإسبانية منذ احتلالها للمدينة لتحويلها إلى مدينة أوربية ورغم التغييرات التي أدخلتها على التراث المعماري للمدينة، فقد حافظت بشكل جزئي على طابعها التقليدي المتمثل بالخصوص في كيفية تسقيف المنازل بالقرميد. وعموما فقد تميز التنظيم المجالي لشفشاون خلال هذه الفترة بالعقلانية، الشيء الذي ساهم في التخفيف من ملاحظة تحولاته.

607) انظر المخططين الحضريين ضمن ملحق الوثائق

608) Bravo Antonio, op cit, pp103-104

خاتمة عامة:

حرصت هذه الدراسة على رصد مميزات الأجهزة التي اعتمدت عليها السلطات الإسبانية في عملها الاستعماري بمدينة شفشاون، عبر التوقف عند مختلف المجالات البنيوية والإصلاحية التي مست ميادين خدماتية عديدة، أحدثت مجموعة من التحولات الجذرية في البنيات التحتية والاقتصاد والمعمار والتعليم والثقافة، وهي تحولات فرضت نفسها على الهوية المغربية في إطار التفاعل الطبيعي مع مختلف مكونات الحداثة والعصرنة التي اقتحمت المجتمع الشفشاوني بشكل مفاجئ.

وتأخذ دراسة التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية قيمتها العلمية، من خلال النظر إليها من منظور تزامني مقارن بين الحالة التي كانت عليها الأوضاع المجتمعية قبل التدخل الاستعماري، وبين ما أصبحت عليه خلال مرحلة الحماية، لأن المقارنة هي الكفيلة بإبراز الثابت والمتحول وكشف العام والخاص، في الظواهر الاجتماعية والاقتصادية.

فمن خلال تتبع فصول هذه الدراسة لمظاهر التحولات التي عرفتها مدينة شفشاون تبين بالملموس إيقاع تحول الأشياء والأفراد في مجتمع هذا المجال المدروس حيث فرض عليهم كثيرا من التغيرات التي لم تكن مقتصرة على مجال دون الآخر، بل شملت كل الميادين مع احتفاظ بعض المجالات بخصوصيتها، فالشروط الاقتصادية والاجتماعية الجديدة التي فرضتها إسبانيا مثلا لم تعصف بكل مكونات المجتمع الشفشاوني التقليدي، وإنما جعلته يعيش نوعا من الازدواجية، فإلى جانب المعاملات والأنشطة الحديثة فقد بقيت الأنشطة القديمة تقاوم، وإذا كانت بعض

الأسر قد انصهرت في أنماط عيش عصرية فقد ظلت أخرى متشبتة بكل ما هو تقليدي.

وقد أعطى الاستعمار الإسباني لنفسه الحق في استغلال المجتمع الشفشاوني بكامله، إذا لم يكن اقتصاد المنطقة سوى مشروع أجنبي دافعه الوحيد هو الربح، حيث ظل الإسبان متحفظون من إشراك الشفشاونيين من مجموع الامتيازات التي خولتها الإدارة الاستعمارية لفائدة الأقلية الأجنبية بشفشاون، بل أصبح هؤلاء يخضعون لمنطق جديد في التعامل مع الأرض وكيفية استغلالها من خلال الترويج لتقنيات وآليات جديدة تفوق آليات اشتغال الفلاحين المغاربة، بل وشملت أيضا دخول منتوجات استهلاكية جديدة. كما تعرضت العديد من الحرف التقليدية للتهميش حتى يكون مآلها الموت البطيء على حساب حرف معينة التي شهدت ازداهارا مثل حرفة نسج الزرابي التي تعرضت بفعل الوجود الإسباني إلى تحولات عميقة أعادت هيكلة بناها الإنتاجية وفق مقتضيات السوق الإسبانية.

وإذا كانت السلطات الإسبانية قد شنت في محطات ومناسبات عديدة حربا لا هوادة على ثقافة المدينة، وخاصة على معالمها وممارساتها الرمزية التي تعرضت للكثير من التضييق والطمس، إلا أن هذه الثقافة استطاعت بممارساتها المختلفة أن تنفلت من موت كاد أن يبدو محققا، لكن سبل البقاء هذه لم تحل دون ظهور أشكال جديدة تأثرت بالثقافة الإسبانية، الأمر الذي زاد من غناها ورصيدها المعرفي.

يعتبر التراث الأندلسي بمدينة الشاون واقعا تاريخيا لازال حيا، وهو في الآن نفسه يعدو مصدرا لدراسة العلاقات الإسبانية المغربية، وخاصة في مجال الفنون

الذي أثار انتباه الإسبان خلال الحماية، وفي ذلك إشارة واضحة أنه على الرغم من التحولات التي مست ميدان العمران، إلا أن المدينة استطاعت أن تحافظ على طابعها التقليدي التراثي المغربي.

أما على المستوى السياسي فقد أدى الحضور الإسباني إلى بروز تنظيمات سياسية ونقابية التي ساهمت في صنع الحدث خلال هذه المرحلة، وهي نفسها استمرت في التواجد داخل الساحة المغربية، وهو ما يؤكد على أن المستعمر كان له أثر واضح على تقدم المستوى الفكري الذي لم يعد حبيسا داخل المناهج التقليدية القديمة.

وإذا ما تم تصنيف مختلف هذه التحولات التي شهدتها مدينة شفشاون خلال مرحلة الحماية يتبين أن مظاهرها لم تكن إرادية وطبيعية من حيث أسبابها بل كانت اضطرارية وإلزامية، وكانت طبيعية من حيث نتائجها التي يمكن أن يتعرض لها أي مجتمع خضع لمثل تلك المؤثرات بحجمها وقدرتها.

فـهـرس الجــداول

رقم الجدول	العنوان	الصفحة
1	أعيان وباشوات المنطقة خلال 1873-1912	48
2	مساحة أصناف المزروعات خلال الموسم الفلاحي 1935-1936	64
3	الموسم الفلاحي 1936-1937	64
4	الموسم الفلاحي 1937-1938	64
5	مساحة أصناف الزراعات خلال الموسم الزراعي 1945-1946	65
6	إنتاج الخضر خلال المواسم الفلاحية (1935-1936-1937-1938)	66
7	إحصائية أشجار المنطقة خلال المواسم الفلاحية (1936-1937-1938-1945-1946)	68
8	عدد المواشي بمنطقة شفشاون ما ين 1931 و1948	71
9	إحصائيات لعدد الحرفيين خلال سنتي 1945-1946	75
10	مدرسة الفنون والحرف التقليدية سنة 1945	80
11	إحصائيات بعدد التلاميذ المسجلين بمصانع الزرابي ومعلميهم (1935-1943)	81
12	الأسواق التي كانت تقام بناحية الشاون خلال مرحلة الحماية	85
13	تطور الساكنة الشفشاونية (مابين 1918 و 1954) مقارنة مع الساكنة الإسبانية	100
14	اعداد المواليد والوفيات بمنطقة شفشاون	108
15	بعض الكلمات الأكثر استعمالا في اللهجة الشفشاونية	116
16	نماذج من الكتابات التي كانت تنشرها صحف ومجلات المرحلة حول شفشاون	128-129
17	أسماء المدرسين المسلمين بمؤسسات التعليم الإسباني	147
18	مجموع التلاميذ المسجلين في المؤسسات الاسبانية العربية الاسلامية	151
19	مواقع المدارس الإسبانية بمنطقة غمارة وأسماء أساتذتها ما بين 1931-1954	154

فهرس الصور والرسوم

رقم الصورة	عنوانها	الصفحة
1	نسيج الزرابي بمدينة شفشاون	79
2	المحلات التجارية العربية بساحة إسبانيا	84
3	اللجنة المكلفة بتنظيم المواسم والأعياد بمدينة شفشاون	87
4	المستوصف المدني بمدينة شفشاون	123
5	مدخل لمجموعة مدارس رامون كاخالRamón y cajal	144
6	صورة جماعية لتلامذة مدرسة مولاي علي بن راشد رفقة مدرسيهم	148
7	أحد فصول الدراسة بمدرسة لالة فاطمة (حصة القرآن الكريم)	151
8	وطنيي مدينة شفشاون خلال النصف الأول من الثلاثينيات	175
9	جانب من ساحة وطاء الحمام 1930	196
10	ساحة اسبانيا صورة مأخوذة من فوق	198
11	الكنيسة الإسبانية بمدينة شفشاون	200

فهرس المبيانات

رقم المبيان	عنوانه	الصفحة
1	أعداد الأشجار بمنطقة شفشاون (1936-1946)	68
2	توزيع المقالات المرتبطة بمدينة شفشاون بصحف ومجلات المرحلة	127

فهرس الخرائط

رقم الخريطة	عنوانها	الصفحة
1	المجال الجغرافي لقبائل منطقة شفشاون	20

الملـــحـــق

أولا: ملحق الخرائط

خريطة رقم 1: المساحة الإجمالية للأراضي المزروعة بالمنطقة الشمالية[609]

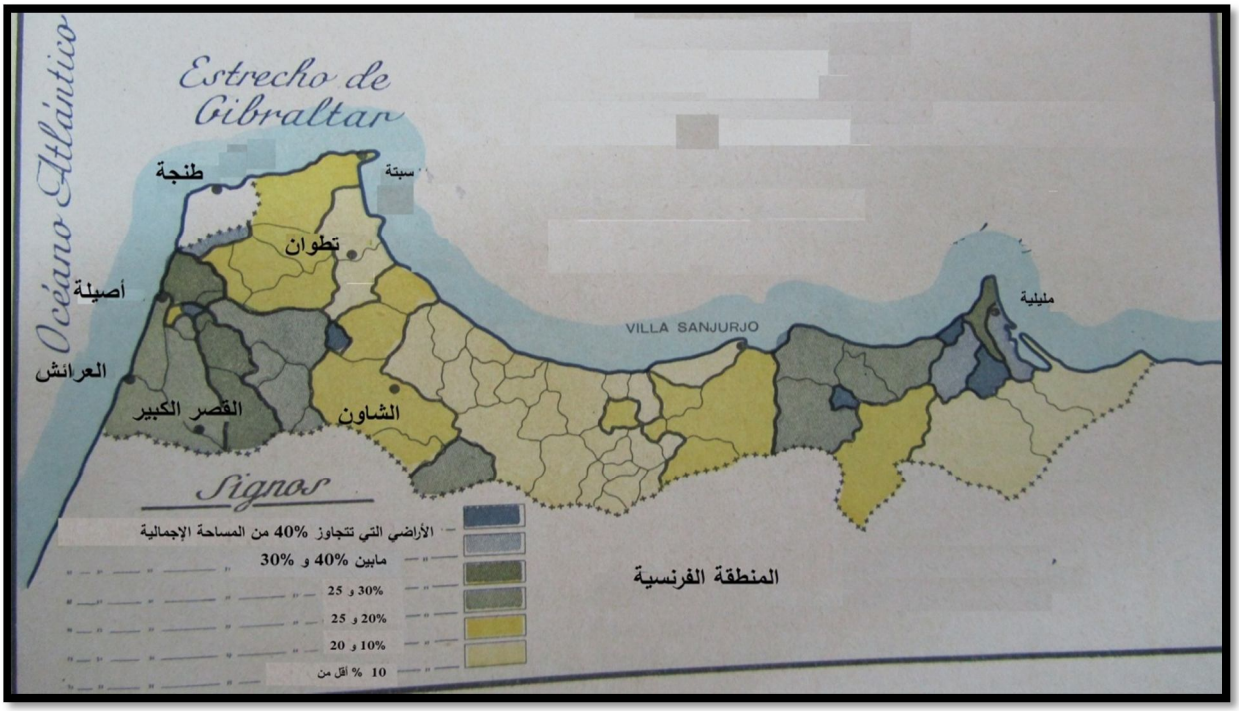

خريطة رقم 2: مواقع المدارس الثانوية الإسبانية ما بين 1912 و1956[610]

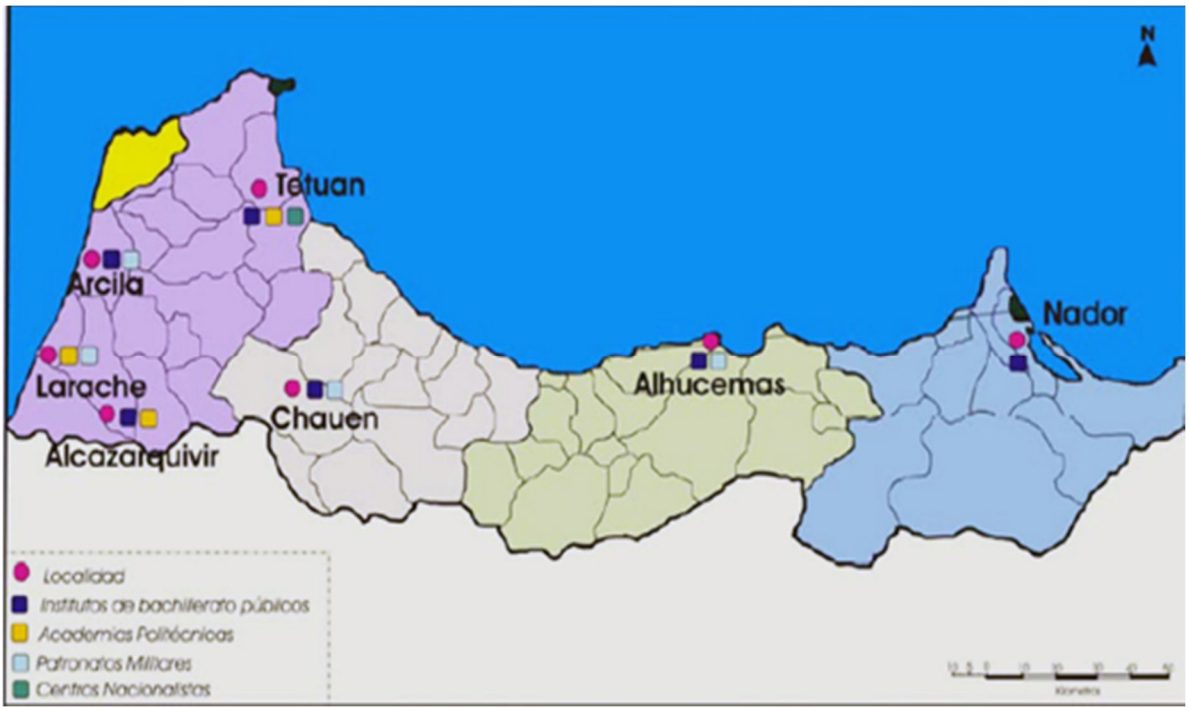

A.C.E.M, **Accion de España en Marruecos**, op cit)[609]

archivo donacion carlos pereda roig, I. C.T, caja n 1, carpeta A/5)[610]

تصميم حضري رقم 1: لمدينة شفشاون سنة 1940(611)

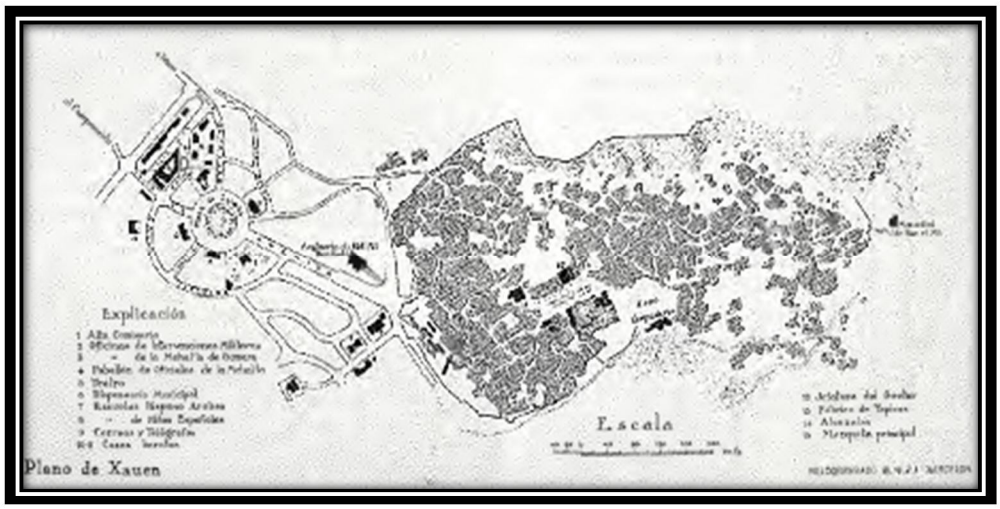

تصميم حضري رقم 2 سنة 1948(612)

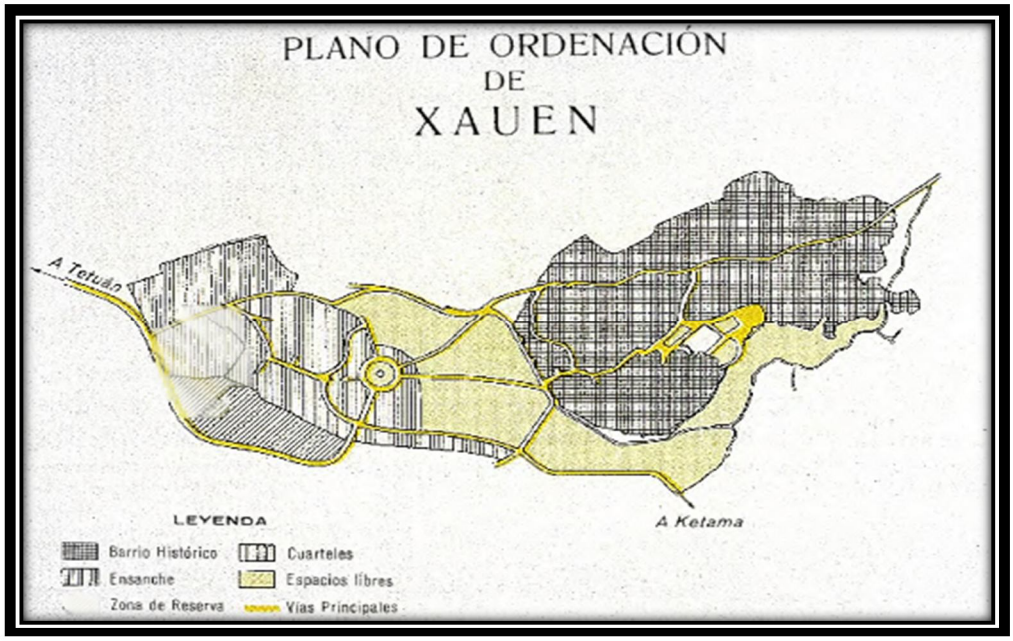

611)Nieto Bravo Antonio, op cit

612)A.C.E.M, accion de espana marruecos

ثانيا: ملحق الوثائق:

وثيقة رقم1: رسالة من السلطان المولى عبد العزيز إلى محمد الطريس والزامه بضرورة التدخل حول النزاع القائم بين الأخماس والشاون[613]

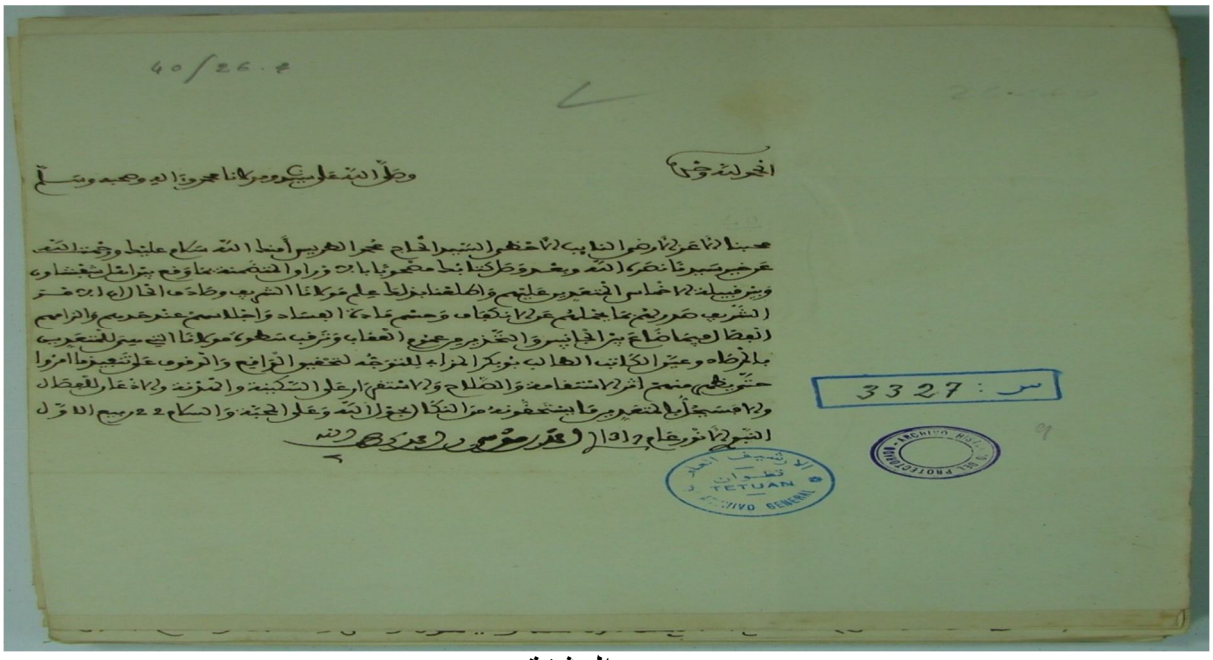

نص الوثيقة

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

محبنا الأعز الأرض النائب الأحظى السيد الحاج محمد الطريس أمنك الله سلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد وصل كتابك مصحوبا بالأوراق المتضمنة بما وقع بين أهل شفشاون وبين قبيلة الأخماس المتمردين عليهم واطلعنا بذلك علم مولانا الشريف وصادف الحال ان الأمر الشريف صدر لهم بما يحملهم عن الانكفاف وحسم عادة الفساد واجلاسهم عند حدهم والزامهم الفصال فيما ضاع بين الجانبين والتحزيم من عموم العقاب وترقب سطوة مولانا التي هي للمتعدين بالمرصاد وعين الكاتب الطالب المزابي للتوجه لتحقيق الواقع والوقوف على تنفيذ ما امروا حتى يظهر منهم اثر الاستقامة والصلاح والاستقرار على السكينة والهدنة والاذعان للفصال والا فسيحل بالمتمرد ما يستحقونه من النكال بحول الله وعلى المحبة والسلام في 2 ربيع الأول النبوي الأنور عام 1319 احمد موسى .

[613]) توجد نسخة منها بالخزانة العامة بتطوان تحت رقم 26/40

وثيقة رقم 2: عريضة احتجاجية لساكنة حي لوبار بمدينة شفشاون على وزير الأوقاف بالمنطقة الخليفية بخصوص مسجد بوزعافر بتاريخ 18 مارس 1938م615

الحمد لله وحده ولا يدوم إلا ملكه

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

سعادة الفقيه الأمجد الأحظى وزير الأحباس الإسلامية بمنطقتنا الخليفية السعيدة المحترم السيد محمد بن موسى السلام عليكم ورحمة الله بوجود سيدنا دام علاه وبعد:

فإننا الموقعين بذيل هذه العريضة نرفع إليكم قضيتنا المؤلمة وهي: نحن سكان لوبر وغيره من ضواحي مدينة شفشاون هذه نحو من عشرة أعوام أوجد لنا المخزن السعيد مسجدا يدعى جامع أبو العصافير على ربوة هناك كي تقام فيه الصلوات المفروضة وذلك بمشاركة الأهالي في بنائه إما شخصيا وإما بمؤاجرة عامل عمن أراد ذلك ولقد يشهد ضعيف الإيمان بمزايا هذا المسجد الكثيرة، ولكن في هذه الأيام سكت ذلك الداعي الذي اعتادته أسماعنا حين يجهر بكلمة الإسلام: الله أكبر.. فسألنا عنه هل هو مسافر أو مريض فدلنا أحد المطلعين على أن مفكرا أوحى لوزارة الأحباس بترك إقامة شعائر الدين في بيت الله هذا بحجة أن لا فائدة في الآذان هناك ونحن في استطاعتنا أن نأتي بشهادة ثلث البلد لا يعتمد في الاذان إلا عليه وهو حومة الصبانين وحومة باب الحمار وغيرهما فضلا عن سكان تلك الضواحي والكواشة وبالجملة نحن نستعطفكم بكل إلحاح على أن ترجعوا لنا من يشعرنا بحياة الإسلام وقت أشغالنا، ويستدعينا إلى التوجه لعبادة الواحد القهار، ورجاؤنا فيكم هو التلبية حتى لا نظطر إلى كراء المؤذن من جيوبنا في حياة استقلال الأحباس وتقبلوا فائق احترامنا والسلام

شفشاون في 15 [illegible] 1357.

وثيقة رقم 3: رسالة من قاضي بن سعيد إلى المراقب المحلي الضون خوسي اورديا حول الفقيه العياشي الطيار المرشح للإشتغال داخل المؤسسة الإسبانية-العربية([616])

[615]) **جريدة الحرية**، السنة 2، العدد 4، الخميس 6 صفر 1357ه/ 7 أبريل 1938

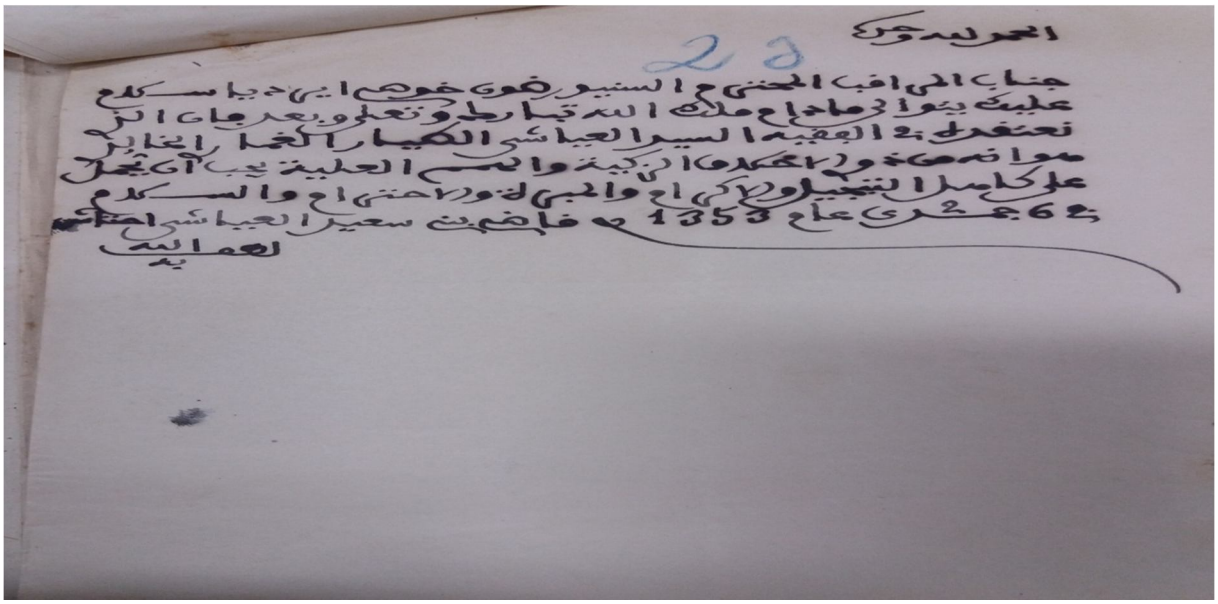

نص الوثيقة

الحمد لله وحده

جناب المراقب المحترم السنيورضون خوسي ايرديا سلام عليك يتوالى ما دام ملك الله تبارك وتعالى ،وبعد فان الذي نعتقده في الفقيه السيد العياشي الطيار الغماري الخالدي هو انه من ذوي الاخلاق الزكية والهمم العلية يجب أن يحمل على كامل التبجيل والاكرام والمبرة والاحترام والسلام في 6 جمادى 2 عام 1353 قاضي بني سعيد العياشي لطف الله به.

[616]) ART, caperta 1/2756, sección 1/5, caja n74, "El servicio E la enseñanza hispano-Árabe, Fokaha el muddarrisin

وثيقة رقم4 : نموذج من التقارير التفتيشية الصادرة عن المكتب الجهوي لغمارة-الشاون تتضمن معلومات حول الفقهاء الذين سيتم تعيينهم بالمدارس الإسبانية العربية([617])

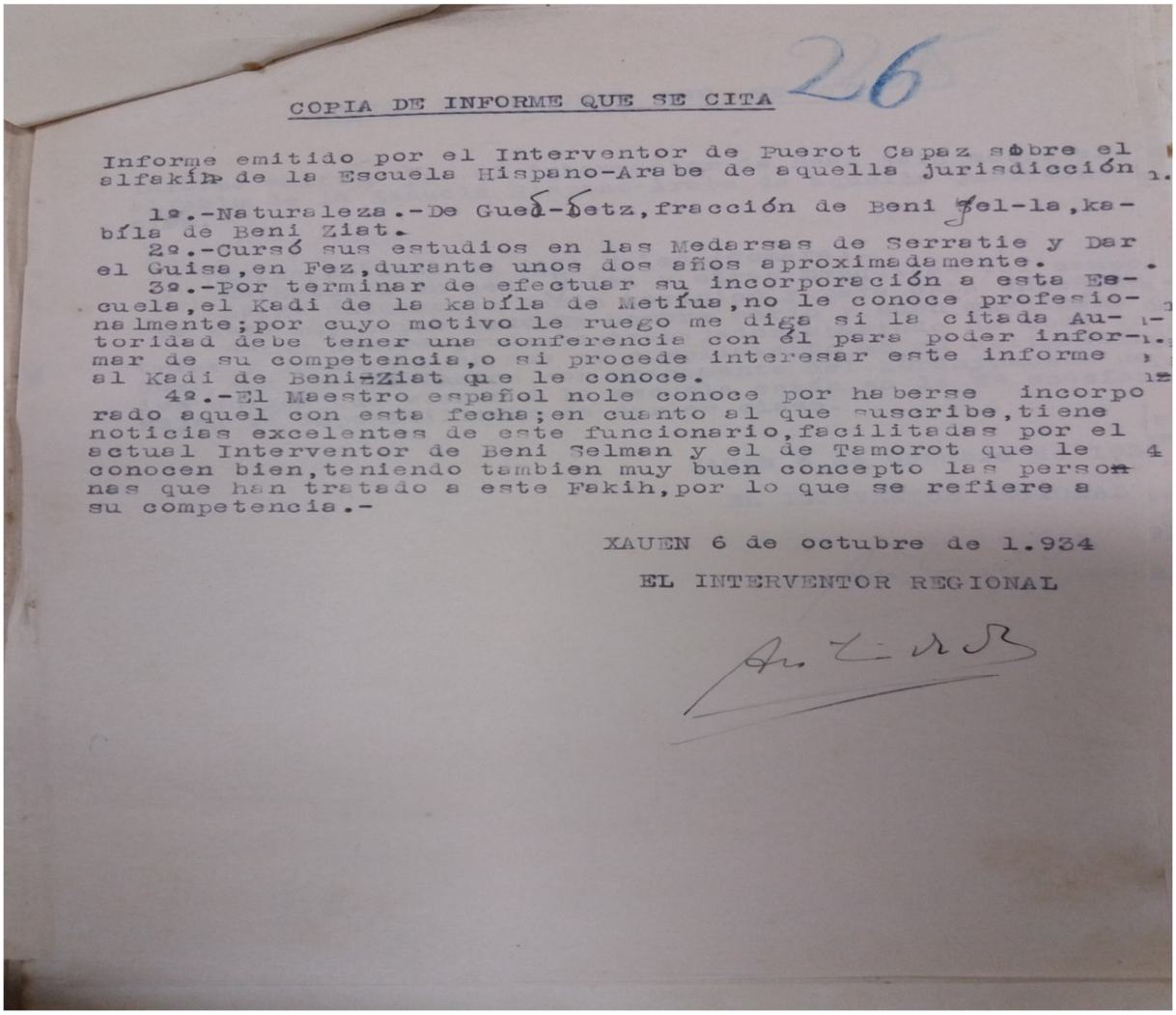

COPIA DE INFORME QUE SE CITA 26

Informe emitido por el Interventor de Puerot Capaz sobre el alfakín de la Escuela Hispano-Arabe de aquella jurisdicción

1º.-Naturaleza.-De Gued-Betz, fracción de Beni Yel-la, kabíla de Beni Ziat.

2º.-Cursó sus estudios en las Medarsas de Serratie y Dar el Guisa, en Fez, durante unos dos años aproximadamente.

3º.-Por terminar de efectuar su incorporación a esta Escuela, el Kadi de la kabíla de Metíua, no le conoce profesionalmente; por cuyo motivo le ruego me diga si la citada Autoridad debe tener una conferencia con él para poder informar de su competencia, o si procede interesar este informe al Kadi de Beni-Ziat que le conoce.

4º.-El Maestro español nole conoce por haberse incorporado aquel con esta fecha; en cuanto al que suscribe, tiene noticias excelentes de este funcionario, facilitadas por el actual Interventor de Beni Selman y el de Tamorot que le conocen bien, teniendo tambien muy buen concepto las personas que han tratado a este Fakih, por lo que se refiere a su competencia.-

XAUEN 6 de octubre de 1.934

EL INTERVENTOR REGIONAL

وثيقة رقم 5:

شهرة الحرف التقليدية الشاونية بالخارج ومن ضمنها الزربية الشاونية([618])

[617]) Asunto fokaha el mudarrisin Al servicio de la enseñanza Hispano árabo, carpeta 7/2755, exp N 74

DELEGACION DE ASUNTOS INDIGENAS — SECCION DE INFORMACION DE PRENSA Y PUBLICACIONES

Recorte de LA GACETA DE AFRICA, de Tetuan

de fecha 26 de febrero 1938

El valor e importancia de la industria marroquí

UNA ALFOMBRA DE XAUEN CAUSA ADMIRACION EN EL EXTRANJERO

No es la primera vez que los artículos de fabricación marroquí fueron causa de merecidos elogios, convirtiéndose sus compradores en sus mejores propagandistas. La fama de los artífices, tejedores, tallistas y artistas en general, musulmanes, ha llegado con frecuencia más allá de las fronteras produciendo admiración y asombro sus labores.

Ahora, se pone otra vez de manifiesto en este caso particular, con motivo del regalo hecho por S. E. el Alto Comisario por conducto del ministro de S. M. la Reina de Holanda en Tánger, a una distinguida y elevada personalidad holandesa, de la que ha recibido S. E. la siguiente respuesta:

"Soestdijk 17-2-1.038. Sr. Alto Comisario. Fué para mí una gratísima sorpresa cuando recibí por intermedio del ministro de S. M. la Reina en Tánger, la magnífica alfombra que V. E. ha tenido la bondad de regalarme. Ya ha sido colocada en uno de nuestros cuartos y produce un efecto maravilloso.

Tengo el honor de darle a V. E. mis gracias más expresivas por este producto de una manufactura que en su tiempo he visitado con tanto interés y tanto gusto.

Al reiterarle de nuevo las gracias le envío a V. E. mis saludos afectuosos. Firmado. Bernhard Prins de Nederlanden. Prins van Lippe Biesterfeld".

Es muy de tener en consideración, por lo que vale y significa, este elogio de una alfombra regalada por S. E. el Alto Comisario y fabricada en Xauen. Es una autorizada e inteligente apreciación que alcanza a toda nuestra industria marroquí, famosa en el mundo entero, como lo deja entrever la carta que queda publicada, prestigio bien sentado desde antiguo en todas partes, como lo prueban los irrecusables testimonios de cuantas personas visitan los centros del Marruecos español donde se producen estos artículos que de tanta estimación gozan.

" centros de enseñanzas particulares", escuelas de alfombras de)[618]
chauen, carpeta N 10, caja 5/2748, ART

وثيقة رقم 6:
وثيقة تعريفية بمدرسة الزرابي الشاونية تتضمن الاختصاص والمكان والتسيير الإداري ([619])

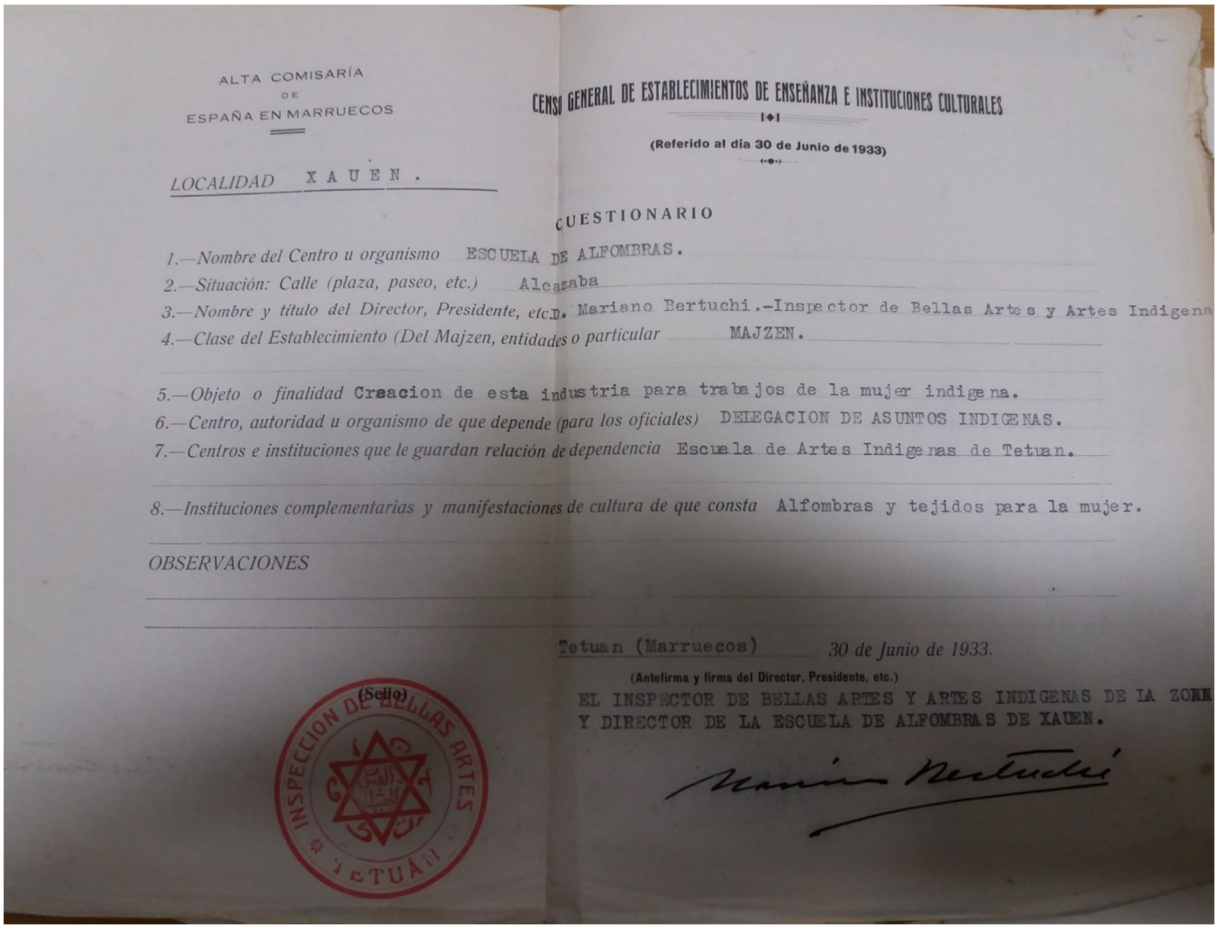

ALTA COMISARÍA
DE
ESPAÑA EN MARRUECOS

CENSO GENERAL DE ESTABLECIMIENTOS DE ENSEÑANZA E INSTITUCIONES CULTURALES

(Referido al día 30 de Junio de 1933)

LOCALIDAD XAUEN.

CUESTIONARIO

1.—Nombre del Centro u organismo ESCUELA DE ALFOMBRAS.
2.—Situación: Calle (plaza, paseo, etc.) Alcazaba
3.—Nombre y título del Director, Presidente, etc. D. Mariano Bertuchi.-Inspector de Bellas Artes y Artes Indigena
4.—Clase del Establecimiento (Del Majzen, entidades o particular MAJZEN.
5.—Objeto o finalidad Creacion de esta industria para trabajos de la mujer indigena.
6.—Centro, autoridad u organismo de que depende (para los oficiales) DELEGACION DE ASUNTOS INDIGENAS.
7.—Centros e instituciones que le guardan relación de dependencia Escuela de Artes Indigenas de Tetuan.
8.—Instituciones complementarias y manifestaciones de cultura de que consta Alfombras y tejidos para la mujer.

OBSERVACIONES

Tetuan (Marruecos) 30 de Junio de 1933.

(Antefirma y firma del Director, Presidente, etc.)

EL INSPECTOR DE BELLAS ARTES Y ARTES INDIGENAS DE LA ZONA
Y DIRECTOR DE LA ESCUELA DE ALFOMBRAS DE XAUEN.

(Sello) INSPECCION DE BELLAS ARTES TETUAN

[619])" centros de enseñanzas particulares", escuelas de alfombras de chauen, carpeta N 10, 5/2748, ART

وثيقة رقم 7:
إحدى القضايا التي رفعت إلى القاضي المحلي بالشاون حول ترسيم ممتلكات أراضي امرأة من ناحية الشاون([620])

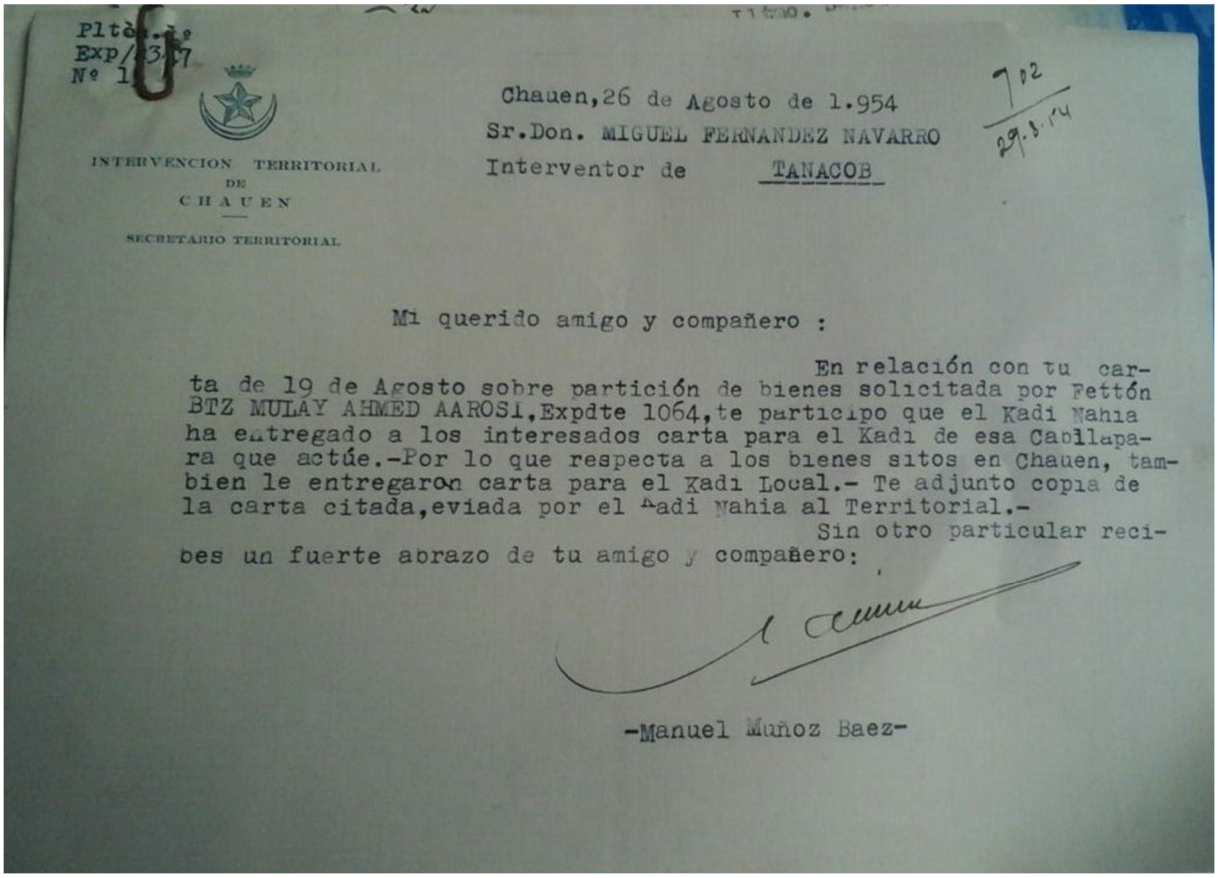

INTERVENCION TERRITORIAL
DE
CHAUEN

SECRETARIO TERRITORIAL

Chauen, 26 de Agosto de 1.954
Sr.Don. MIGUEL FERNANDEZ NAVARRO
Interventor de TANACOB

Mi querido amigo y compañero :

En relación con tu carta de 19 de Agosto sobre partición de bienes solicitada por Fettón BTZ MULAY AHMED AAROSI, Expdte 1064, te participo que el Kadi Wahia ha entregado a los interesados carta para el Kadi de esa Cabilapara que actúe.-Por lo que respecta a los bienes sitos en Chauen, tambien le entregaron carta para el Kadi Local.- Te adjunto copia de la carta citada, eviada por el Kadi Wahia al Territorial.-

Sin otro particular recibes un fuerte abrazo de tu amigo y compañero:

-Manuel Muñoz Baez-

[620]) وثيقة خاصة في ملكية الأستاذ عبد الإلاه العلمي ابن القاضي الحسن العلمي بشفشاون

وثيقة رقم 8:
وثيقة تبين الأهداف التي توختها السلطات الاستعمارية لتوجيه أبناء المنطقة نحو الصناعة التقليدية، وتوسيع تخصصات مصنع الزرابي بالشاون عبر إضافة فرع جديد خاص بالنجارة والطلاء، على حساب التعليم الثقافي([621])

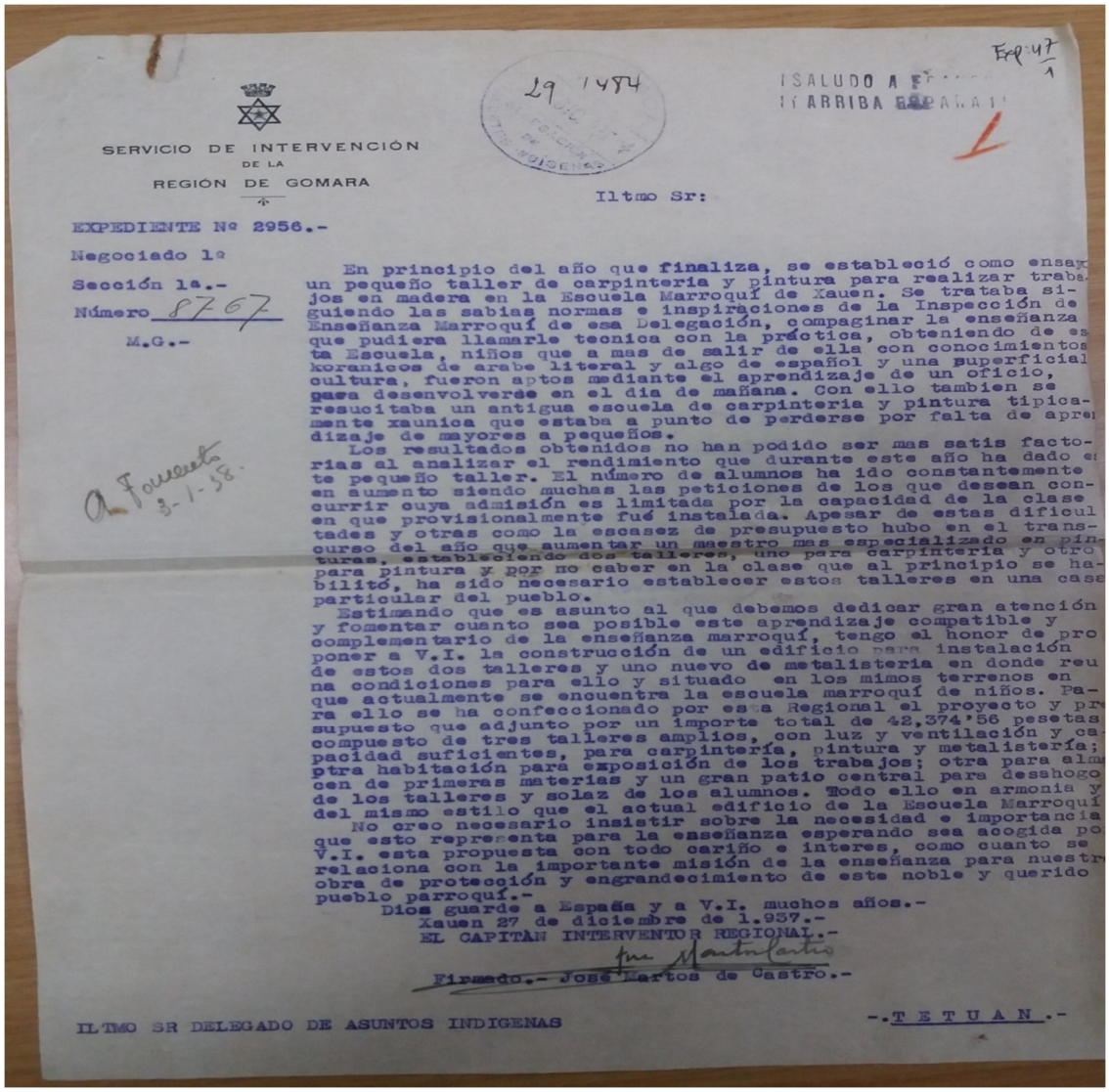

SERVICIO DE INTERVENCIÓN
DE LA
REGIÓN DE GOMARA

Iltmo Sr:

EXPEDIENTE Nº 2956.-
Negociado 1º
Sección 1ª.-
Número 8767
M.G.-

En principio del año que finaliza, se estableció como ensay
un pequeño taller de carpintería y pintura para realizar traba
jos en madera en la Escuela Marroquí de Xauen. Se trataba si-
guiendo las sabias normas e inspiraciones de la Inspección de
Enseñanza Marroquí de esa Delegación, compaginar la enseñanza
que pudiera llamarle tecnica con la práctica, obteniendo de es
ta Escuela, niños que a mas de salir de ella con conocimientos
koranicos de arabe literal y algo de español y una superficial
cultura, fueron aptos mediante el aprendizaje de un oficio,
para desenvolverse en el dia de mañana. Con ello tambien se
resucitaba un antigua escuela de carpintería y pintura tipica-
mente xaunica que estaba a punto de perderse por falta de apre
dizaje de mayores a pequeños.
Los resultados obtenidos no han podido ser mas satis factorias al analizar el rendimiento que durante este año ha dado e
te pequeño taller. El número de alumnos ha ido constantemente
en aumento siendo muchas las peticiones de los que desean con-
currir cuya admisión es limitada por la capacidad de la clase
en que provisionalmente fué instalada. Apesar de estas dificul
tades y otras como la escasez de presupuesto hubo en el trans-
curso del año que aumentar un maestro mas especializado en pin-
turas, estableciendo dos talleres, uno para carpintería y otro
para pintura y por no caber en la clase que al principio se ha-
bilitó, ha sido necesario establecer estos talleres en una casa
particular del pueblo.
Estimando que es asunto al que debemos dedicar gran atención
y fomentar cuanto sea posible este aprendizaje compatible y
complementario de la enseñanza marroquí, tengo el honor de pro
poner a V.I. la construcción de un edificio para instalación
de estos dos talleres y uno nuevo de metalistería en donde reu
na condiciones para ello y situado en los mimos terrenos en
que actualmente se encuentra la escuela marroquí de niños. Pa-
ra ello se ha confeccionado por esta Regional el proyecto y pr
supuesto que adjunto por un importe total de 42,374'56 pesetas
compuesto de tres talleres amplios, con luz y ventilación y ca-
pacidad suficientes, para carpintería, pintura y metalistería;
otra habitación para exposición de los trabajos; otra para alm
cen de primeras materias y un gran patio central para desahogo
de los talleres y solaz de los alumnos. Todo ello en armonia y
del mismo estilo que el actual edificio de la Escuela Marroquí
No creo necesario insistir sobre la necesidad e importancia
que esto representa para la enseñanza esperando sea acogida po
V.I. esta propuesta con todo cariño e interes, como cuanto se
relaciona con la importante misión de la enseñanza para nuestr
obra de protección y engrandecimiento de este noble y querido
pueblo parroquí.-
Dios guarde a España y a V.I. muchos años.-
Xauen 27 de diciembre de 1.937.-
EL CAPITAN INTERVENTOR REGIONAL.-
Firmado.- José Martos de Castro.-

ILTMO SR DELEGADO DE ASUNTOS INDIGENAS -.TETUAN.-

[621]) las creadas en la escuelas de artes y oficios de tetuan, AT, caja n 29/484, carpeta N 2

ثالثا: ملحق الصور

صورة رقم 1:عدد من الصحفيين الاسبان رفقة المقيم العام الجنرال بيرينكيرBerenguer بباب مدينة شفشاون سنة 1920[622]

صورة رقم2: مدخل لمجموعة مدارس مولاي علي بن راشد للذكور 1933[623]

[622]) صورة بالخزانة العامة بتطوان بقسم الصور تحت رقم 20886

[623]) Valderrama, **Historia de la acción cultural,** op cit, (S.N.P)

صورة رقم 3: مجموعة مدارس لالة فاطمة للإناث[624]

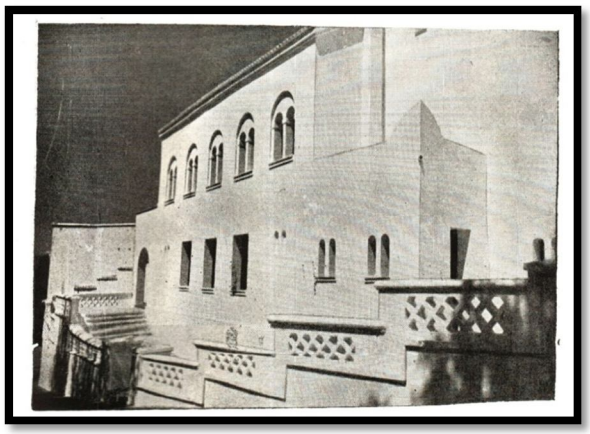

صورة رقم 4: المكتبة الراشدية للمطالعة بشفشاون سنة 1948(625)

صورة رقم 5: المعهد الديني بشفشاون[626]

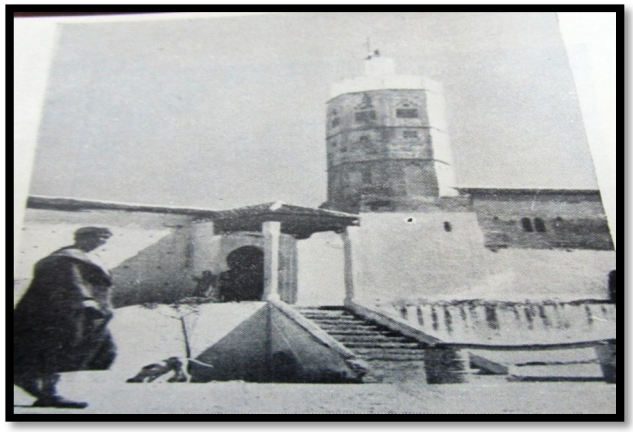

Valderrama, **Historia de la acción cultural,** op cit, (S.N.P)) [624]

[625])A.C.E.M, accionde españa en marruecos, op cit, (S.N.P)

[626]) Ibidem

صورة رقم 6: سوق اللحوم (الجزار المتجول)[627]

صورة رقم 7: بائعو الأقمشة بشفشاون سنة 1933[628]

صورة رقم 8: الحلاقة العصرية بشفشاون[629]

[627]) todocoleccion. net
[628]) **FOTO GARCIA CORTES N (19553**), todocoleccion. net
[629]) Ibidem

صورة رقم 9:جانب من أشغال مزرعة شفشاون 1940(630)

صورة رقم 10: جانب من مدرسة الحرف اليدوية للأهالي بالشاون[631]

صورة رقم 11: أطفال يحيكون زربية تحمل الشعار الاسباني 1929(632)

صورة رقم 12:الخط الرابط بين تطوان –الشاون عبر نهر مارتين(633)

---

[630])A.C.E.M, **accion de españa en marruecos, op cit(S.N.P)**

[631]) Vial de morla, España en marruecos, op cit, (S.N.P)

[632])نشرت **بمجلة الاتحاد،** عدد 33، السنة 3، 1929 (ب ص)

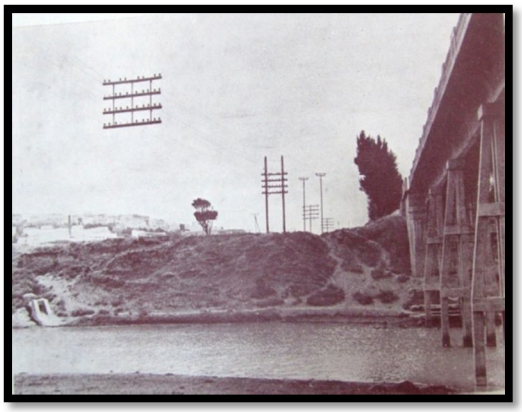

صورة رقم 13: زيارة وزير المعارف فرناندو لوس ريوس"Fernando de Los ríos"والمقيم العام لمعمل الزرابي[634]

صورة رقم 14: المسجد الكبير ذو المئذنة المثمنة([635])

[633])A.C.E.M, **accionde españa en marruecos,** op cit, p 786

[634]) صورة نشرت **بمجلة الاتحاد**، عدد 56، السنة 6، يناير 1932 (ب ص)

[635]) EN Rivesta Africa, 1-5-1928 (S.N.P)

لائحة البيبليوغرافيا المعتمدة

اولا :الوثائق المخطوطة:

[1]:الوثائق العربية

1.رسالة موجهة من السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام إلى القائد محمد أشعاش، بتاريخ 2 ربيع الثاني، 1256 / 8 يونيو 1840، توجد نسخة منها بالخزانة الحسنية بالرباط، مح 15/8.ك

2.رسالة السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى القائد محمد بن عبد الرحمان أشعاش، بتاريخ 6 جمادى الثانية، 1260 ه، توجد منها نسخة بالخزانة الحسنية بالرباط، مح، 16/14ك

3.رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى بوسلهام الطيب، بتاريخ 11 رجب 27/1260 يوليوز 1844، توجد منها نسخة بالخزانة الحسنية بالرباط، 2/12 ك 3

4.رسالة الأمينين محمد الدويري وعبد الكريم برشة إلى أمين الأمناء محمد بن المدني بنيس حول كنطردة شفشاون، بتاريخ 18 حجة 1288، بالخزانة الوطنية بالرباط، 22765

5.رسالة من السلطان المولى عبد العزيز إلى محمد الطريس بتاريخ 22 ربيع الأول 1312، بالخزانة العامة بتطوان، مح 26/40

2:الوثائق الإسبانية:

1. Asesoria tecnica de enseñanza "las creadas en la escuela de artes y oficios de tetuan , Carpeta N 2, AT, sección N 8767, 29/484
2. Asesoria tecnica de ensenanza becas las creadas en la escuelas de artes y oficios de tetuan", ART carpeta N2, exp 1956/39, n 5626, referencia E. marroqui, N 2335
3. El servicio E la enseñanza hispano-Árabe, Fokaha el muddarrisin, ART, caperta 1/2756, sección 1/5 Exp.74

4. Fecha 12 de enero remitiendo textos escolares adistintos grupos escolares de la zona, ART, Fecha 4-2-43, carpeta 1/2757
5. Fecha 24 de febrero demitiendo a los escuelas musulmanas de la zona cuadernos y lapicerosque los la correspondide en concepto de anticipo de los que los corresponde en de presente ejercicio aconómico, carpeta 1/2756
6. oficio N 1509 de fecha 14 de abril remitiendo de la fista del libro tectos para bibliotecas y premios a las escuelas musulmanas de la zona fecha 15-4-43, carpeta 1/2756
7. Oficios de distintes grúpos y escuelas de la zona acusande recibe del Matarial fungible recibido encencapte de anticipe del que la carreponde para el presente curse, capetra 1/2756, Año 1943, Fecha 28 Núm 58

ثانيا :المصادر باللغة العربية:

1. -ابن زيدان عبد الرحمان، **إتحاف أعلام الناس**، ط2، مطابع إديال، الدار البيضاء، 1990
2. -ابن عسكر محمد، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، ط 2، الرباط، 1977
3. -البوعياشي أحمد، **حرب الريف التحريرية ومراحل النضال**، مطبعة أمل، طنجة، 1975، الجزء الثاني
4. الحوات الشفشاوني العلمي سليمان، **ثمرة أنسي للتعريف بنفسي**، تحقيق عبد الحق الحيمر، تطوان، 1996
5. -الرهوني أحمد، **عمدة الراوين**، تحقيق جعفر ابن الحاج السلمي، ط 2، منشورات جمعية تطاوين أسمير، مطبعة ألطوبريس، 2001

6. الريسوني محمد الصادق، موجز تاريخ شفشاون، الطبعة ا، مطبعة القدس، شفشاون، 1986
7. الزياني أبي القاسم **الترجمانة الكبرى**، تحقيق عبد الكرم الفيلالي، وزارة الأنباء، الرباط، الطبعة الأولى، 1967
8. السكيرج أحمد، الظل الوريف في محاربة الريف، دراسة وتحقيق رشيد يشوتي، مطبعة كوثر برانيت، الرباط، 2010
9. الضعيف محمد ،**تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة العلوية السعيدة)**، ط 1، دار المأثورات، الرباط
10. العمارتي الحسن ، مجموعة الأحكام الشرعية، الطبعة الأولى، بيروت، 1991
11. القادري محمد الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق، ط 1، مكتبة الطالب، الرباط، 1982-1986، ج 1
12. الكتاني محمد بن جعفر، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب ومحمد حمزة بن علي الكتاني، ط 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004
13. كاربخال مارمول، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد توفيق، وأحمد بنجلون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1988-1989
14. الكراسي محمد، **عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1963
15. الوزاني محمد حسن، **مذكرات حياة وجهاد**، ج 2، الناشر مؤسسة محمد حسن الوزاني
16. الوزان الحسن، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، الرباط، بيروت، 1983، الجزء الثاني
17. الناصري أحمد ، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، 9 أجزاء، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954

ثالثا:المراجع باللغة العربية:

1.ابن عبود محمد ، **مركز الأجانب في مراكش: دراسة قاونونية لوضعية الأجانب في المغرب قبل عهد الحماية وخلاله**، ط 2، مطبعة الشويخ ديسبريس، تطوان، 1980

2.ابن عزوز حكيم:

-أب الحركة الوطنية المغربية عبد السلام بنونة، الجزء2-3 مطبعة الساحل، ط 3 الرباط، 1988

-مولاي علي بن راشد مؤسس شفشاون، ط بدون، دار الشويخ للطباعة، تطوان

-الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، مطبعة الساحل، الرباط، 1981

3.ابن منصور عبد الوهاب ، **مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد 1880**، ط 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1986

4. -ابن يعقوب محمد:

-**في ضيافة الكتاب وأشهر معلمي القرأن** الكريم **بشفشاون في عهد الحماية (1920-1956)**، ط 1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2012

-الهاشمي السفياني رجل زمانه، ط 1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2009

5.بنعبد الله عبد العزيز، **المعجم التاريخي**، الدار البيضاء، ب ت

6.بوتبقالت الطيب، **عبد الكريم الخطابي (حرب الريف والرأي العام العالمي)**، سلسلة شراع، دار النشر المغربية، 1995

7.الجباري عبد الرحيم، **مشاهير علماء المعاهد الدينية بمدن شمال المغرب**، تخريج وإضافة وتعليق، ط1، 2012

8.جرمان عياش، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط 1، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، 1986

9.رضوان احدادوا، **مسرح عبد الخالق الطريس**، ط 1، دار الشويخ للطباعة، تطوان، 1988

10. روبيرت بورنو، **عبد الكريم الخطابي أمير الريف**، ترجمة فؤاد أيوب، ط ب، طبعة دمشق
11. روم لاندو، **تاريخ المغرب في القرن العشرين**، ترجمة نيقولا زيادة، ط ب، دار الكتاب الدار البيضاء
12. السعود عبد العزيز، **تطوان خلال القرن التاسع عشر**، منشورات جمعية تطاون أسمير، 1996
13. **شفشاون تاريخ ، أصالة، حضارة**، تنسيق فردوس التهامي العلمي، جواد أعزاير، نشر جمعية تلاسمطان للبيئة والتنمية، مطبعة إيمبريما مدري، تطوان، 2012
14. العافية عبد القادر، **الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها خلال القرن العاشر الهجري**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1982
15. العلوي مصطفى، **الناورات الأجنبية ضد السيادة المغربية، الحرب المغربية الفرنسية الاسبانية 1906-1934**،مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء
16. عمراني محمد، **الشرف والمجتمع والسلطة السياسية بالشمال الغربي المغربي بين النصف الثاني من القرن 15 ونهاية القرن 19**، ط 1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2015
17. العياشي المريني، **صورة من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة: النضال الجبلي، الأنظمة الاجتماعية الجبلية، النظام الاقتصادي**، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال، طنجة، 1988، ج 2
18. غلاب عبد الكريم، **تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية إلى بناء الجدار السادس في الصحراء**، ط2، مطبعة الرسالة، الرباط، ج 1
19. الفاسي علال، **حماية اسبانيا في مراكش من الوجهتين التاريخية والقانونية**، ط1، القاهرة، 1948
20. كريم عبد الكريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، الدار البيضاء، 1977
21. اللوه العربي ، **المنهال في كفاح أبطال الشمال**، مطابع الشويخ ديسبريس، تطوان، 1982

22. مارتن ميكيل ، **الاستعمار الاسباني في المغرب 1860-1956**، ترجمة عبد العزيز الودبي، ط 1، الرباط، 1988
23. المكي عبد السلام ،**حج وحاجة**، بدون ذكر المطبعة،1973
24. الهبطي محمد، **مفتون منسيون بغمارة وشفشاون**، ط 1، نداكوم للصحافة والطباعة، الرباط، 2000
25. الهبطي ياسين، **مساهمة في دراسة تاريخ المقاومة المغربي للاستعمار الاسباني: مقاومة مدينة شفشاون نموذجا**، ط 1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 2012
26. الهراس المختار، **القبيلة والسلطة تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب**، طبعة بدون تاريخ، مطبعة الرسالة، الرباط
27. واتربوري جون، **أمير المؤمنين**، ترجمة عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي، عبد اللطيف الفلق، ط 1، مطبعة فضالة، المحمدية، 2004
28. الوزاني التهامي، **الزاوية**، مطبعة الريف،تطوان، 1942

رابعا:المجلات والندوات باللغة العربية

1.ابن راشد، "تدشين الجمعية الخيرية"،**جريدةالريف**، عدد 96، 13 غشت 1937

2.ابن عزوز حكيم، "المعهد الحر أول معهد للدراسة الثانوية العصرية الحرة بالمغرب"، **الوثائق الوطنية**، عدد5 و6 مارس يونيو 1990

3.ابي الأندلسي، "رسالة شفشاون"، **الحرية**، السنة 1، العدد 43، 30 ذو الحجة 1356

4.أشقرا عثمان، "التعليم الاستعماري في المغرب والتباس الوضعية الاستعمارية"، **مجلة المناهل**، عدد 87، يناير 2010

5.ارحيمو المدني "فتاة مغربية تستنهض المغاربة"، **جريدةالريف**، عدد 15، 15 أكتوبر 1936

6.بوشمال فاطمة، " إمارة شفشاون طموح سياسي أجهضه جوار صعب"، **ضمن مجالات الجوار المغربية استحضار لماضي تواصلي عريق**، أشغال الأيام الوطنية الثانية

والعشرين للجمعية الوطنية المغربية للبحث التاريخي، أيام 2 و3 و4 أبريل، 2015، بكلية الاداب والعلوم الانسانية، وجدة

7.بولرباح علي:

-"الخطاب الاستعماري الاسباني حول شمال المغرب (1850-1956) إشكاليات أولية"، **مجلة المناهل**، ع 89-60، السنة 31، يونيو 2011

-الكتابات الاسبانية حول مدينة تطوان من خلال أرشيف المكتبة الوطنية بمدريد: مقاربة بيولوجية (1912-1956)، **تطوان في الوثائق الاسبانية على عهد الحماية**، ط 1، مطبعة الهداية، 1998

8.بنعبد الله عبد العزيز ،" شفشاون واثارها المعمارية عبر التاريخ"، **مجلة المناهل**، عدد 28، السنة 10، دجنبر 1983

9.التليدي عبد القادر، "رسالة شفشاون"، **جريدة الريف**، عدد 57، 22 مارس 1937

10. التمسماني خلوق:

- "اراء في الحركة الوطنية بالمغرب الشمالي مثال مواقف التيار الاصلاحي من انقلاب فرانكو العسكري"، **مجلةدار النيابة**، عدد 21، سنة 6، 1989

- "الغزو الاستعماري الاسباني لبلاد جبالة والمقاومة الشعبية من 1912 إلى 1927"، **مجلة دار النيابة**، العدد 2، السنة 1، 1984

11. الحضريعبد السلام:

- "علاقة شفشاون بالملوك العلويين"، **مجلةدعوة الحق**، عدد 4، السنة17، 1975

- الحضري عبد السلام، "الأخلاق الفاضلة صراط الحياة المستقيم"،**جريدةالريف**، عدد 77، 7يونيو1937

12. حمدون أحمد، "الفرق بين شفشاون الماضي ووشفشاون الوقت الحاضر"، **جريدة الاصلاح**، عدد 285، سنة 12، 17 أكتوبر 1928

13. داوود محمد، "في مدينة شفشاون"، **مجلةالسلام**، ع 6، مارس 1934

14. الدراوي عبد القادر، "نشاط الجمعية الخيرية"، **جريدة الريف**، عدد 80، 18 يونيو 1937

15. الرحموني المفضل، " رسالة شفشاون"،**جريدةالريف**، عدد 53، سنة1، 8 مارس 1937

16. الشريف محمد، " الأصول الاجتماعية والثقافية لأعضاء المقاومة وجيش التحرير بإقليم الشاون (1953-1956)، **مجلة كلية الأداب تطوان**، ع 14، رقم 14

17. الطبال عبد الكريم،"المقاومة في الشعر المغربي: شعراء شفشاون نموذجا"، **أعمال ندوة المقاومة والحركة الوطنية بإقليم شفشاون 1913-1955**، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى، الرباط، 2005

18. القاضي محمد " مظاهر الحظارة الأندلسية في شفشاون"، **مجلة التاريخ العربي**، عدد 58، 1432ه/2011م

19. العافية عبد القادر:

- "لمحات تاريخية عن مدينة شفشاون بشمال المغرب"، **مجلة دعوة الحق**، العدد 5، السنة 18، يونيو 1977

-"نموذج لأبطال المقاومة ضد الاستعمار الاسباني بمنطقة شفشاون (1926-1930)"، تاريخ المقاومة والحركة الوطنية بإقليم شفشاون**أعمال ندوة المقاومة والحركة الوطنية بإقليم شفشاون 1913-1955**، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى، الرباط، 2005

20. العطري عبد الرحيم، "الحضور المخزني في المجتمع المغربي- استراتيجية الاختراق والهيمنة"، **مجلة وجهة نظر**، عدد 22

21. العلمي المختار محمد، "إطلالة على الانتاج الأدبي الذي ظل مواكبا للعمل الوطني ضد الاحتلال"، **أعمال ندوة تاريخ المقاومة والحركة الوطنية بإقليم شفشاون 1913-1955**، منشورات المندوبية السامية وقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى، الرباط، 2005

22. فرفور أحمد، "الشباب والمدينة"، **جريدة الريف**، 12 فبراير 1940

23. المنتصر القادري، "أهلا وسهلا بالوحدة المغربي"، **الوحدة المغربية**، عدد 10، فبراير 1937

24. " أعياد شفشاون"،**جريدة الاصلاح**، ع 178، سنة 1928

25. " الإعلان ضد مرض السل"، **جريدةالريف**، ع 223، السنة 4، 12 يونيو 1940

26. " إلى المجلس الأعلى للتعليم"، **جريدة الريف**، عدد 69، سنة 1، 3 ماي

27. " إهمال بلدية شفشاون"،**جريدةالريف**، عدد 51، سنة1، 1 مارس 1937

28. " حظ شفشاون من التعليم"، **جريدة الحرية**، السنة 2، العدد 20، الخميس 4 غشت 1938

29. " سفر سعادة الكوندى دي خوردانا إلى شفشاون"،**جريدةالاصلاح**، عدد 314، سنة13، 24 ماي 1929

30. "احتفال المدرسة الأهلية"،**جريدةالأمة**، عدد 280، 23 يوليوز 1954

31. "احتفلت مدينة شفشاون بأعيادها"، **مجلة الاتحاد**، سنة 2، ع 18، شتنبر 1928

32. "أعمال المراقبة بناحية غمارة وشفشاون"، **مجلة الاتحاد**، السنة 4، ع 43، دجنبر 1930

33. "الاحتفال باستقلال الأحباس"،**جريدةالريف**، عدد 44، السنة 1، 1 فبراير 1937

34. "المدرسة أعظم سلاح للوطنية"، **جريدةالريف**، عدد 72، 13 ماي، 1937

35. "جمعية أدبية بشفشاون"،**جريدةالحرية**، عدد 13، سنة 1، 13 يونيو 1937

36. "حصار شفشاون"، **جريدةالحرية**، ع 190، 6 يناير 1940

37. "حفلات شعبية لتكريم الرئيس"،**جريدةالأمة**، عدد 8، 18 ماي 1952

38. "خطاب وكيل الحزب بشفشاون"،**جريدةالحرية**، عدد 23 السنة 1، 1937

39. "رسالة شفشاون حادثتان مؤلمتان"،**جريدةالحرية**، ع 234، سنة 4، مارس 1940

40. "رسائل لمراسلي الريف حالة المقابر وإهمالها بشفشاون"،**جريدة الريف**، العدد 72، 26 أبريل، 1937

41. "رسائل مراسلي الريف مساجد متلاشية"، **جريدة الريف**، عدد 72، 13 ماي، 1937

42. "رئيس الحزب في شفشاون"، **جريدة الأمة**،عدد7 ماي 1952

43. "زيارة سعادة المقيم العام لمدينة شفشاون"، **جريدةالاصلاح**، عدد 291، سنة 12، 30 نونبر 1928

44. "شبابنا في ميدان التمثيل"، **جريدة الحرية**، عدد 470، 20فبراير1941

45. "شركة الزرابي الشفشاونية المحدودة"، **جريدة الحياة**، عدد 24، سنة 1، 23 غشت 1934

46. "شفشاون 24 رمضان 1346ه (الأحوال على وجه الإجمال)"، **جريدة الإصلاح**، ع 260، سنة 12، 31 مارس 1928

47. "شفشاون في طورها الجديد"، **جريدة الوحدة المغربية**، عدد 179، 2 ماي 1941

48. "شفشاون منذ سنتين"، **جريدة الوحدة المغربية**، 6 دجنبر 1940

49. "صلاة الراشدية على شهداء مكناس"،**جريدة الريف**، العدد 107، 24 شتنبر 1937

50. "عريضة الشاون"، **جريدة الحياة**، عدد 35، السنة 1، 8 نونبر 1934

51. "في مصلحة السياحة مضافة شفشاون"، **جريدةالاصلاح**، عدد 360، السنة 14، 8 يونيو 1930

52. "ماي بشفشاون"، **جريدةالريف**، عدد 140، 7 ماي 1938

53. "مدرسة وطنية بشفشاون"، **جريدة الحرية**، السنة 1، العدد2 ، الأحد 21 مارس 1937

54. "من ذاكرة الدكتور عبد السلام الهراس"،**جريدةالتجديد**، 2003/11/3

55. "نتيجة رحلة"، **جريدة الريف**، عدد 115، سنة 2، 9 نونبر 1937

56. "نشاط العناصر الصالحة في المدينة الراشدية"، **جريدة الوحدة المغربية**، عدد 56، 2 شتنبر 1938

خامسا:الظهائر والمراسيم

1. "أوامر صادرة من الإدارة الخليفية قرارات وزارية توظيفات، **الجريدة الرسمية**، سنة 14، ع1، 10 يناير 1930

2. "تقرير تأسيس مجلس الأشغال البلدية بشفشاون، **الجريدة الرسمية**، ، ع 13، 25 يونيو، 1928

3. قرار وزاري بترشيح السيد الحاج أحمد العمرتي عضوا في مجلس أشغال بلدية شفشاون، **الجريدة الرسمية**، ع 15، سنة 1512، يوليوز 1928

سادسا:المصادر باللغة الاسبانية:

1. Alta comisaría de España en Marruecos, **Accion de España en Marruecos**, la obra material, Tetuan, 1948
2. Alta comisaría de España en Marruecos, delegación de Asuntos indígenas Datos estadisticos de la superficie ultivada produción agrúcola obtenida y artabolado correspondiente a los años 1935-36-37 y 1938

3. Anuarios Guias del Norte de Africa, **Anuario guia oficial de Marruecos y del Africa y Española**, Ed. Ibero, Africano-Americana, Año 5, 1927
4. Arraras Jouaquin, **Franco**, libreria internacional sansebastian, segunda edicion, 1937
5. Berenguer Damaso, **compañas en el rif y yebala 1919-1922**, Ed. sucesores de R. velasco, madrid, 1923
6. Cabrera angel, **magreb el aksa**, recuerdos de cuatro viajes por yebala y por el rif, madrid, 1924
7. Datos estadisticos del territorio de chauen, Año 1946, imprenta del majzen, tetuan
8. De Herrera carlos Hernandez y Figueras Tomas Garcia, **Acción de España en Marruecos**, imprenta Municipal, Madrid, 1929-1930
9. De lasquetti Juan, **chefchauen: informacion hecha el año 1918**, Madrid, 1921
10. Emilio mola, **Paginas de sangre de dolors y de gloria**, Ed. Doncel, Madrid, 1971
11. Estado mayor del ejército servicio historico militar,**Geografia de Marruecos protectorados posesiones de España en Africa**, Madrid, 1947
12. Figueras Tomas Garcia, **Marruecosla acción de españa en el norte de áfrica**, Ed Barcelona, 1939

13. Franco francisco bahamonde, **papeles de la guerra de marruecos**, editorial impresion, madrid, 1986
14. Gonzales de lara, marruecos 1940, tetuan, 1940
15. Manuel bermudez parjera (1939), **compaña profiláctica contra el paludisdismo en la zona de protectorado español en marruecos durante el año 1929**, tetuán, alta comisaría de españa en marruecos
16. Mariano ferrer bravo, **descripción de xexauen y also sobre tanger**, Madrid, 1921
17. Otero Rotundo santiago (1930),**en el corazóndel rif**, impresiones de viaje efectuado en a la zona del protectorado español y plazas coberanía en marruecos, cueta, revista áfrica
18. Peréz Tomas, **la economía Marroquí**, bosh casa editorial, Barcelona,
19. RICARDO ruizorsatti**, la ensenanza en marruecos**, tetuan, papelera africana
20. Serra ortza, **recuerdos de la guerra del kert 1911-1912**, barcelona, 1914
21. TORRES y nido , **mission politica y tactica de las fuerzas indigenes en nuestra zona de pentracion al norte de marruecos, cooperacion tactica de las tropas europas con las ante dichas, en un ajército colonial probable**, ceuta, imprenta del rogimiesto serrallo, 1921

22. Valderrama fernando martinez (1955), ***manual del maestro espanol en la escuela marroqui***, tetuan, edatora marroqui
23. Valderrama Martinez Fernando**, Historia de la acción cultural de España en Marruecos**, Tetuan, 1956
24. Vial de morla, **España en Marruecos**,instituto de estudios africanos, Madrid, 1941
25. Vivero.a. derrunbaniento, **la verdadsobre el desastre del rif**, caroraggio editor, madrid, 1922
26. Woolman david s, **Abdelkrim y la guerra del Rif** , Ed. oikos-tau, Barcelona

سابعا: المراجع باللغة الاسبانية:

1."La reconquista de xauen", **Africa**, agosto, 1926-
2.**«** xauen pinroresco **»**, **mauritania**, año 2, 1 de agosto 1929
3. Bachoud,A, **los españoles ante las campañas de marruecos**, espasa, madrid, 1988
4. Barceló Romaguera Antonio, **Historia de chauen**, Edición limitada cien ejemplares, Año 2001
5. BOUARFA, Mohamed, **Marruecos y España**. El eterno problema. Málaga: Algazara, 2002
6. Manzanelo Cirilo Ruiz, **Tetuan es mi ciudad**, impress en graficas aminio, tetuan

7. Matinez carlos De campos, **Espana bélica el bélica et siglo XX marruecos**, Madrid, 1972
8. R.Ricard, **Moulay ibrahim, caid de chefchauen** (1490-1539), el andalus, t 5, 1941
9. SUEIRO SEOANE, Susana: **España en el Mediterráneo. Primo de Rivera y "la cuestión marroquí 1923-1930**, Madrid: UNED, 1992
10. Tuñón De Lara Manuel, **la españa del siglo XX**, Ed Akal, 2000
11. Villanova José Luis, **el protectorado de España en Marruecos organización política y territorial**, ed. bellaterre, colección alboran, Madrid, 2004

ثامنا: المقالات الصادرة بالمجلات باللغة الإسبانية

1. Alarcón CABALLERA A." la penetración el protectorado español en Marruecos (1911-1912): de la guerra del Kert a la toma de xauen", **cauderno tabor** N 21, junio 2012
2. Arqués fernandez enrique, **«** xauen la ciudad santa **»,lagaceda de africa**, tétuán, 1936
3. Bouabid bouzaid, "mariano burtuchi; la ensenanza del arte patrimonial y moderno", **El Protectorado español en Marruecos: la historia trascendida**, Edición y Manuel Gahete Jurado Colabora Fatiha Benlabbah Vol II

4. Eduardo tores- dulcelifante, "España en Marruecos: una reflexión en el cine ", **en el protectorado espanol en marruecos**, V2
5. El 14 de octubre 1920", **africa**, 1-10-1926 -
6. el fomento de turismo en la zona de protectorado español en Marruecos", **Africa**, 1-5-1929
7. EL genarl AYMAT, " la aviacion militar en marruecos", en **Africa**, n: 100, avril, 1950
8. Españolos hispaño americanas, "marruecos, xexauen, la misteriosa y heromética", **la lecturare vista de ciencias y de artes**, ano XX, septiembre, 1920, n 237
9. Federico Castro Morales," Huellas arquitectónicas de un proyecto transfronterizo la identida dandalusí", **El Protectorado español**
10. GUIZAN Alfonso, **«** xauen la ciudad santa **»**, **mauritania**, año 8, n :86, 1 de enero 1935
11. Irene González González y Bárbara Azaola Piazza (2008).«Becarios marroquíes en El Cairo 1937-1956 una visión de la política cultural del Protectorado español en Marruecos», **Awraq**, xxv
12. Irene González González," Escuelas, niños y maestros: la educación en el protectorado español en marruecos " **AWRAQ**, n.º 5-6. 2012

13. Jesús Albert Salueña," la economía del protectorado español en marruecos y su coste para españa", **El Protectorado español en Marruecos: la historia trascendida**, Edición y Manuel Gahete Jurado Colabora Fatiha Benlabbah Vol 1

14. Josep Lluís Mateo Dieste, "el teatro nacionalista marroquí: escenario de luchas políticas y cambios sociales", **en el protectorado español en marruecos: la historia trascendida**, v 1, Impresión tf. Artes gráficas

15. Juan jesus martin cabrera, " la fuerzas de regulares, 100 anos de historia, presente y futuro", **documento opunion**, 30 marzo, de 2012

16. La ocupacion de xauen y el eco de chefchauen", **africa** 1-10-1926 -

17. Luego Pérez Antonio "xauen fundacion de la mision catolica", **Mauritania**, N 183 y 184, 1943

18. Luengo , FR, "xauen (notas para su historia)", **MAURITANIA**, Año III, Núm : 28, 1 de agosto 1930

19. LUENGO.A, « xauen (notas para historia) », **mauritania**, Año 6, n : 33, 1 de enero, 1931

20. Luis M. de Gana y fernando de Urrutia y Francisco H. Rubio,"Viajamarruecos de los almunos de 4 de la escuelasuperior de arquitectura", **ingar 10**, Num 1y 2

21. Francisco Javier Martínez Antonio, "la medicina y la sanidad en el protectorado español en marruecos. Apuntesi conográficos", **AWRAQ**

22. Mimoun Aziza, La sociedad marroquí bajo el Protectoradoespañol (1912-1956), **El Protectorado español en Marruecos: la historia trascendida,** Edición y coordinación de Manuel GaheteJurado

23. Olega Ando, Luis," bendicion de una nueva iglesia en xauen", **Mauritania**, N42, 1931

24. real orden circular de 15 de septiembr eúltimo, **revista de sanidad militar,** Año 11, 15 noviembre 1921, N 22

25. sin autor, "españolas E hispano americanas: Marruecos xexauen, **la lectura Revista de ciencias y de artes**, año núm. 237, septiembre 1920

26. Sin autor**«** chauen ciudad de turismo **»**, **mauritania**, año 17, n :207, 1 de febrero, 1945

27. Valderrama martinez (f), "artsania marroqui y bellas artes en la zona de protectorado espanol en marruecos", **Mauritania**

28. xauen la triste", **África**, julio 1926

تاسعا: المقالات الصادرة بالجرائد باللغة الاسبانية:

1. Alfredo Rivera: "Nuestras conferencias telefónicas", **El Adelanto**, nº 12.073, 4 de octubre de 1923
2. Anuncio y pliego de condiciones del concurso para el arrendamiento de la explotación de la Hospederia de xauen, **BOZPEM**, Año 20, 10 de Abril 1932
3. bertuchi en el salón arte moderno" **el sol** 22/01/1921
4. Francisco ALCÁNTARA,"Tetuan y xauen cuadros de mariano -
5. las ninas artistas de xauen, creadoras del prodegio", **blanco y negro** (madrid), 24/02/1935
6. las operaciones en marruecos", **ABC**, 14/04/1922
7. "la colaboracion franco- espanola informacion interesante sobre la demanda de pazforma ladapor abdelkrim", **ABC**, 28-12-1925 -
8. "la ensenanza en el protectorado esnsenanza espanola", **Blanco y negro** (madrid), 23/04/1933
9. "la entrada de nuestra tropas en chefchauen", **la voz**, 15-10-1920 -
10. Sanchez M., "una visita a las escuelas musulmanas de xauen", **ABC**, 29/11/1952

11. sin auteur, "xexauen", **la época**, vienes 24 de septiembre 1920 año LXXII, n25090
12. Sin autor " de marruecos detalles de nuestras tropas en xauen: sanjurjo en la ciudad santa", **la vanguardia,** 14 agosto 1926
13. Sin autor" se la evacuado xauen", **la vanguardia**, 18 noviembre 1924
14. sin autor, " noticias de mellila", **la vanguardia**, 22 septiembre, 1925
15. Sin autor, "de Marruecos", **la vanguardia,** 4 agosto, 1926
16. Sin autor, "de maruecos", **la vanguardia,** 5 agosto 1927
17. Sin autor, "el general berenguer", **la vanguardia,** 1 de febrero 1919
18. Sin autor, "la compana de marruecos, muerte del general serrano", **la vanguardia**, 20 noviembre 1924
19. Sin autor, "varias noticias", **la vanguardia,** 13 septiembre 1925 -
20. Sin autor, "xauen bomberde a por la aviacion", **la vanguardia,** 7 novembre, 1925
21. Sin autour, "popular cinema de xauen", **ABC**, 24/2/1935
22. " xauen nuestra visita a la junta municipal de servicios-obrasrealizadas y proyectos a ejecutas", **Blanco y negro** (madrid), 23/04/1933

عاشرا: المصادر والمراجع الصادرة باللغتين الفرنسية والانجليزية:

1. Benjelloun Abdelmajid, "Le mouvement nationaliste marocain dans l'ex-Maroc espagnol (1930-1956)", **El Protectorado español en Marruecos: la historia trascendida**
2. EL DAHAN Mohame, « la promotion admistrativa et ses effets sur l'urbanisation des petites villes : escemple de chefchaouen », **espace domestique en milieu jbala purtait d'un micro-bignage et tableau de son ablissement**, jawharvignet du13 au 23
3. EL hassani a, **étude architecturale de la médina de chefchauen**, imp:almaarif, casablanca
4. Harris walter, "my ride to shechaouen", **from the land of on africaain sultan,** london
5. Le maroc, le repli espanol l'evacuation de xauen", **bulletin périodiques de la presse espagnol**, 15 janvier, 1925, N 110
6. Mouliéras auguste, **le maroc inconnu,** 2partie, augustin challamel, paris, 1899

أحد عشر: الظهائر والمراسيم

1. Dahir autorizando la ejecucion del trozo primero de la seccion segunda del proyecto de carretera de alcazarquivir-xauen por un presupuesto de pesetas, **bozem**, ano XXIV, 31 octubre 1936
2. Dahir de 13 de diciembre de 1938 poniendo en vigos el reglamesto del cuerpo de profesorado musulman al servicio de la ensenanza marroqui, **BOZPEM**, diciembre de 1938
3. Dahir de 18 de julio de 1935 aprobando y poniendo en vigorla reforma de la ensenanza hispano-arabe en la zona, **BZEPEM**
4. Dahir de 18 de julio de 1935, aprobando y poniendo en vigor la reforma de la ensenanza hispano-arabe en la zona, **BOzpem**,
5. Dahir de 31 diciembre de 1940 reoganzindo la ensenanzamarroqui en la zona protectorado, **BZPEM**, 8-20 MARZO1 940
6. Dahir de 7 de septiembre 1935, **bozpem** 1935, de 30 de noviembre de 1935, pp.1427-1430
7. Dahir nombrando a sid abdselam ben el fakih sid mohamed ben el amin ex-xaueni, bbaja de la ciudad de xauen, **bozem**, ano XXIV, 31 julio 1936
8. Dahir nombrando kadi de la ciudad da xauen y su anclatto al xerif sidi el hasan ben ahmed el alami, **bozem**, ano XX, 10 enero 1932

9. Dahir reorganozandola ensenanza hispano arabe, **bozpem**, 10 febrero de 1937
10. Disponiendo la esnanza la musulmana obligatoria", dahir de 26 octubre 1946, **bzpem**

اثني عشر: الرواية الشفوية

- علي الريسوني ولد سنة 1943 بمدينة شفشاون، باحث مهتم بتاريخ العلاقات المغربية الاسبانية والتاريخ الأندلسي وتاريخ مدينة الشاون، تم اللقاء بتاريخ 2011/03/15 بمقر سكناه قرب الزاوية الريسوني بشفشاون
- لحسن القلعي ولد سنة 1932 بالقلعة اشتغل بالفلاحة على عهد الحماية الاسبانية، تم اللقاء بساحة محمد السادس بمدينة شفشاون قرب مكتبة المناهل بتاريخ 2014/06/11

فهرس المحتويات

الاختصارات والرموز..... 1

مقدمة عامة..... 2

الفصل الأول مدينة شفشاون: التاريخ والمجال..... 13

I. الأصول التاريخية لمدينة شفشاون..... 13

1. إشكالية الاسم..... 13

2. نبذة تاريخية عن المدينة..... 14

II. مدينة شفشاون ومحيطها القبلي..... 19

1. التشكيلات القبلية لمدينة شفشاون ومحيطها..... 19

2. مظاهر الصراع وتدبير الاختلاف بين مدينة شفشاون وقبائلها..... 21

الفصل الثاني الاستعمار الإسباني لمدينة شفشاون: الأهداف والآليات..... 32

I. الاهتمام الإسباني بمدينة شفشاون..... 33

1. البعد الاستراتيجي..... 33

2. البعد الاقتصادي..... 34

3. البعد التاريخي..... 35

II. نماذج من الكتابات الكولونيالية حول مدينة شفشاون..... 37

1. الكتابات التاريخية خلال القرن التاسع عشر..... 37

أ- رحلة دوفوكو De Foucauld..... 37

ب- والتر هاريس Walter Harris..... 38

ت- موليراس Mouliéras..... 39

2. صورة مدينة شفشاون في الكتابات الإسبانية..... 42

3. مدينة شفشاون من خلال تقرير دي لاسكيطي De Lasquetti..... 43

أ- التعريف بالدراسة..... 43

ب- محتويات التقرير:..... 45
III. سياسة الاحتلال ووسائله..... 49
1. سياسة بيرينكيرBerenguer في الاحتلال..... 49
2. الوسائل والآليات الحربية..... 55
أ- قوات الريجولاريس..... 57
ب-الفيلق الأجنبي أو فرق التيرسيو tercio..... 59
الفصل الثالث التحولات الاقتصادية لمنطقة شفشاون على عهد الحماية..... 62
I. طبيعة استغلال الأ راضي الفلاحية..... 62
1. فلاحة يطغى عليها النظام التقليدي..... 62
2. سيادة الزراعات المعاشية التقليدية..... 63
3. وضعية التشجير بالمنطقة خلال الحماية..... 67
4. تربية الماشية..... 70
II. وضعية الحرف والصنائع التقليدية..... 72
III. سياسة إسبانيا اتجاه الحرف..... 74
IV. التجارية في مدينة شفشاون..... 83
1. الخصائص التجارية..... 83
2. أسباب ضعف الرواج التجاري..... 88
V. التجهيز والمواصلات..... 92
أ- التجهيز 92
ب-المواصلات..... 93
VI. أهمية القطاع السياحي في اقتصاد المدينة..... 94
الفصل الرابع التشكيلات الاجتماعية وديناميةالتغيير..... 97
I. ساكنة مدينة شفشاون على عهد الحماية..... 97

1) الأجناس السكانية بمدينة شفشاون..... 97
2) التطور الديمغرافي..... 100
II. تفاعل المجتمع الشفشاوني مع الحضور الإسباني..... 102
1. تأثير الإدارة الاستعمارية في المجتمع الشفشاوني..... 102
2. ظهور السينما كثقافة ترفيهية جديدة..... 106
3. صعوبة الظروف الطبيعية بالمنطقة..... 107
4. تطور وسائل الإنتاج والتحولات المرافقة له..... 109
III. عواقب التدخل الإسباني في المجتمع..... 110
1. على المستوى الاقتصادي..... 111
2. على المستوى الاجتماعي..... 113
IV. الطب العصري وتطور الأوضاع الصحية..... 122
الفصل الخامس التحولات الثقافية بمدينة شفشاون على عهد الحماية..... 125
I. الانفتاح الأدبي ودوره في تثقيف المجتمع..... 126
1. المقالات..... 126
2. الخطب..... 131
3. الشعر..... 133
4. المكتبة الراشدية..... 134
II. المسرح والجمعيات في خدمة القضايا الوطنية..... 136
1. التجربة المسرحية في مدينة شفشاون..... 136
2. الجمعيات..... 139
أ- جمعية النهضة الأدبية..... 139
ب-الجمعية الخيرية الإسلامية..... 139
ت-الجمعية العلمية لتأسيس المكتبة العمومية الشفشاونية..... 140

III. إنشاء التعليم العصري بالمدينة..... 142
1. السياسة التعليمية الإسبانية..... 142
2. المؤسسات الاستعمارية الإسبانية..... 144
أ- مدرسة رامون كاخال Ramon y cajal..... 144
ب-مدارس التعليم الأولي للذكور..... 145
ت- مدرسة التعليم الاسلامي الأولي للإناث..... 149
3. البرامج التعليمية..... 156
4. الوسائل التربوية..... 157
IV. التعليم الإسلامي في مواجهة الاستعمار الإسباني..... 158
1. الكتاتيب القرآنية..... 158
2. نشأة المعهد الديني..... 160
الفصل السادس تطور الحركة الوطنية بمدينة شفشاون..... 163
I. إسهامات النخبة المثقفة الشفشاونية في إصلاح التعليم..... 163
II. بروز ثقافة سياسية في مواجهة الغزو الإسباني..... 169
1. نشأة الحركة الوطنية..... 169
2. الحركة الوطنية في ظل الجمهورية الاسبانية..... 171
3. الحرب الأهلية والعمل الوطني..... 172
III. تفاعل المنطقة مع بعض القضايا الوطنية..... 176
IV. الكفاح الوطني في شفشاون..... 179
1. مدينة شفشاون وحدث نفي السلطان محمد بن يوسف..... 179
2. حدث استقلال المغرب..... 182
الفصل السابع التحولات المعمارية بمدينة شفشاون عهد الحماية..... 185
I. التهيئة العمرانية والمعمار..... 185

1. نشأة المدينة القديمة..... 186
2. التأثير الأندلسي على العمارة بالمدينة..... 188
II. التحولات المعمارية للمدينة خلال مرحلة الاستعمار..... 190
1. السياسة الحضرية للسلطات الاستعمارية..... 191
2. تأثير الإسبان على المدينة العتيقة لشفشاون..... 194
3. الشكل المعماري للمدينة خلال المرحلة الاستعمارية: التابث والمتحول 196
خاتمة عامة..... 202
فهرس الجداول..... 205
فهرس الصور..... 206
فهرس المبيانات..... 206
فهرس الخرائط..... 206
الملحق..... 207
لائحة البيبليوغرافية المعتمدة..... 223
فهرس المحتويات..... 246